

القافلة
مجلة ثقافية منوعة تصدر كل شهرين • العدد 6 • مجلد 63 • نوفمبر / ديسمبر 2014
ملف العدد..
القلم
آفاق النقل اللاسلكي للطاقة
عين وعدسة:
أيام هيمنجواي في كي ويست
أقلمة الأدب السعودي
الورشة
تقنية الحوار الناجح

القافلة

مجلة ثقافية منوعة تصدر كل شهرين
العدد 6 • مجلد 63
نوفمبر / ديسمبر 2014

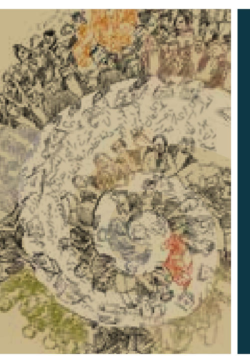
توزع مجاناً للمشتركين
• العنوان: أرامكو السعودية
ص.ب 1389 الظهران 31311
المملكة العربية السعودية

• البريد الإلكتروني:
alqafilah@aramco.com.sa

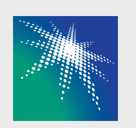
• الموقع الإلكتروني:
www.qafilah.com

• الهواتف :
فريق التحرير: 0175 876 13 966+
الاشتراكات: 0477 876 13 966+
فاكس: 0303 876 13 966+

صورة الغلاف



الغلاف | ورشة عمل «القافلة»
كانت هذه المرة بعنوان «مقوّمات الحوار الناجح ومهارات التعامل مع الآخرين» وهي ورشة أدارها الدكتور خالد البديوي بتاريخ 21 و22 أكتوبر 2014م في الخبر، وحضرها عدد من المشاركين من خبراء ومهتمّين بتطوير مهارات الحوار في هذا المجال.



ارامكو السعودية
Saudi Aramco

النــــــاشر
شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو السعودية)، الظهران

تصميم



www.mohtaraf.com

طباعة
شركة مطابع التريكي
www.altraiki.com

ردمد ISSN 1319-0547

محتوى العدد

الرحلة معاً

المحطة الأولى

علوم وطاقة

حياتنا اليوم

أدب وفنون

التقرير

الملف

تويت
القافلة

تويت
بداية كلام

تويت
الورشة

تويت
عين وعدسة

تويت
ذاكرة القافلة

تويت
التقرير

تويت
الملف





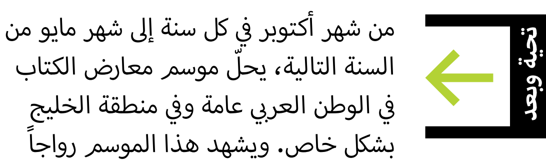
@QafilahMagazine

"الرحلة معاً"

من رئيس التحرير

almohtaraf assaudi / Mubarak Al-Dossary

طبعات شعبية في معارض الكتاب



من شهر أكتوبر في كل سنة إلى شهر مايو من السنة التالية، يحلّ موسم معارض الكتاب في الوطن العربي عامة وفي منطقة الخليج بشكل خاص. ويشهد هذا الموسم رواجاً مهماً لبضاعة الكتب ليصل ذروته في معرض الرياض للكتاب، الذي يُعد الآن من أكبر وأهم المعارض، في عدد الزوار وأرقام المبيعات، على المستوى العربي.

وبقدر ما يُحمد للوزارات والمؤسسات المعنية مبادراتها لإقامة هذه المعارض وتحقيق استدامتها، إلا أن هناك بعض الملاحظات التي نطرحها هنا من باب الإسهام في تحقيق نجاحات أكبر وأفضل لهذه المعارض الناشطة هنا أو هناك. ومن بين هذه الملاحظات غلاء أسعار الكتب الذي يُرجعه الناشرون إلى ما يُفرض عليهم من رسوم المشاركة في المعارض. بمعنى أنه قد يكون سعر الكتاب لدى الناشر في بيروت أو القاهرة عشرة ريالات ثم تجده في معرض الرياض بثلاثين ريالاً، بعد أن يُحمِّلَ الناشر سعر مشاركته في المعرض على جيب المستهلك القارئ.

وحل هذه المشكلة بيد الوزارات والمؤسسات الحكومية التي تتبنَّى إقامة هذه المعارض، إذ يفترض أن تكون لديها مبادرة من قبيل مجانية المشاركة أو تقليل سعرها المفروض على الناشر بنسبة كبيرة، لكي تكون أسعار الكتب في متناول الجميع. وهذا يُعد في صميم هدف هذه المؤسسات من المعارض وهو التشجيع على اقتناء الكتاب وبث ثقافة القراءة لدى كل صفوف المجتمع بلا استثناء.

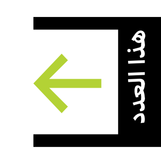
ومن الحلول، أيضاً، أن نأخذ بالطريقة المصرية في طبع طبعات شعبية للكتاب نفسه، فإذا كان هناك كتاب يباع بخمسين ريالاً لجودته الفنية وجودة ورقه فبإمكاننا بيعه بعشرين ريالاً حين نطبع الكتاب نفسه بجودة فنية متواضعة وورق أقل سعراً. وبذلك نتيح للجميع فرصة اقتنائه، كل بحسب قدرته المادية. أي إننا نضع خيارات للشراء والقرار في النهاية للمستهلك نفسه.

من الملاحظات، أيضاً، أن الجهات المنظِّمة لمعارض الكتب تخصِّص مساحات كبيرة لأجهزة حكومية تعرض فيها إصداراتها. وهذا يضيِّق الفرصة على كثير من دور النشر التي يتم الاعتذار عن مشاركاتها لعدم وجود مساحة لهذه المشاركات.

ولو أعدنا النظر في هذه المسألة فسنجد أنه يمكن الاستغناء عن تخصيص هذه المساحات للأجهزة الحكومية التي يمكن الحصول على إصداراتها، في حال الحاجة إليها، بزيارة مقارها أو معارضها المحلية والإقليمية التي تقام طوال العام. وبالتالي نستفيد من هذه المساحات بإعطائها إلى ناشرين عرب وأجانب لا يمكن الحصول على مطبوعاتهم إلا خلال موسم معارض الكتاب.

وبذلك نتيح تعدداً أفضل لدور النشر وخيارات أكثر أمام القارئ الذي يبحث عن الجديد وغير المتاح في سوقه المحلية للكتب، فضلاً عمَّا يمكن أن يحققه ذلك من رفع لمستوى موضوعات الكتب المعروضة، الأمر الذي قد نُحرم منه بسبب المساحة.

رسالة المحرر



لأن تواصل الفرد مع الآخرين سمة من سمات الحياة اليومية والعملية، ولأن الحوار بين أي طرفين هو فعل ثقافي ترتبط نتائجه بمسار هذا الحوار ونوعيته، خصَّصت «القافلة» ورشة العمل التي أقامتها مؤخراً، وتستهل بها رحلتها في هذا العدد لمهارات الاتصال ومقومات الحوار الناجح. وبعد ذلك، وفي زاوية «قول في مقال»، ثمة مراجعة باتت ملحّة لمفهوم تربوي - اجتماعي خطأ وشائع، يرى أن التعليم المهني هو أقل شأناً من التعليم الأكاديمي النظري، بخلاف ما تقرّ به أسواق العمل وتحليلات اقتصادات العالم.



وسعى قسم العلوم والطاقة في هذا العدد إلى أن يجمع أكبر قدر من التنوع في صفحاته المحدودة. وها هو يتأرجح في المواضيع التي يتناولها بين حدث كوني من الماضي السحيق، وموضوع مستقبلي يتعلق بتطوير نقل الطاقة الكهربائية لاسلكياً، وما بينهما ما هو نظري مثل «فلسفة العلم».



الأمر نفسه تقريباً ينطبق على قسم الحياة اليومية الذي يجتمع فيه الشأن البيئي من خلال موضوع «الأثاث الصديق للبيئة»، بشأن ينتمي نظرياً إلى علم الموارد البشرية، ولكنه قابل لأن يكون ذا إسقاطات عديدة على حياتنا الاجتماعية، في بحث بعنوان «طريق البطل». أما الزيارة المصوّرة والرائعة إلى المنزل الذي عاش فيه الأديب الأمريكي العالمي إرنست هيمنجواي في بلدة كي وست، فتشكِّل في ختام هذا القسم تمهيداً ومدخلاً سلساً إلى قسم الآداب والفنون، الذي تحتل صدارة مواضيعه الرئيسة قضيتان أدبيتان.



القضية الأولى هي أقلمة الأدب السعودي وآراء عدد من النقَّاد والأدباء في سلامة إطلاق تسميات مثل الشعر النجدي أو القصة الحجازية أو الرواية العسيرية.. والقضية الثانية هي في منح جائزة نوبل للآداب للفرنسي باتريك موديانو، وما أثارته من ردود فعل كما هو الحال في كل عام.



وبعد تقرير العدد الذي يستعرض التحولات التي طرأت على الإعلام والصحافة بفعل التكنولوجيا الرقمية، نختتم بملف حول أداة تاريخية تشهداليوم هي أيضاً تحولات قد تكون مصيرية بفعل التكنولوجيا، ألا وهي القلم الذي كان لسان البشرية ومدوّن تاريخها ومعارفها، وبات اليوم مهدداً من قبل لوحة المفاتيح الإلكترونية.

تحيّة وبعد

كما هو الحال عند صدور كل عدد، تلقَّت القافلة على موقعها الإلكتروني عدداً كبيراً من الرسائل والتعليقات على المواد المنشورة، نقتطف منها عيِّنة محدودة جداً بسبب ضيق المجال.

فقد كتب **الحسن بن أحمد الحفظي** من أبها، يقول: «منذ ما يزيد على ثلاثين سنة، وأنا أتشرَّف بالحصول على مجلة القافلة، بعد أن كنت قد سرت معها منذ نشأتها، ومنذ صدور العدد الأول من مجلدها الأول. أتصفحها بشوق وتمعن. ويزداد فرحي بها كل مرة لما تحتويه من مواضيع راقية في مضمونها، حتى تمنيت لو أني أستطيع مجاراة هذه الكوكبة الهائلة من المبدعين الذين يكتبون فيها في شتَّى مناحي المعارف والعلوم».

وأضاف: «لقد سعدت بالاطلاع على نحو 400 عدد من المجلة، وصولاً إلى مجلدها الثالث والستين. فحصدت منها ما لا يقدَّر بثمن. ولا أستطيع وأنا اليوم في التاسعة والسبعين من عمري إلا أن أتقدَّم إليكم وإلى الذين سبقوكم في تحريرها وإدارتها بالشكر والتقدير».

ونحن نقول للأخ الكريم إن الشكر موجَّه إليه هو، على هذا الوفاء للقافلة. وتُعد رسالته شهادة على نجاح المجلة في تأدية رسالتها.

وكتب المصوِّر **مفيد جعفر العوامي** يقول: «ورد في مجلتكم (عدد يناير - فبراير 2014م)، وتحديداً في ملف العدد حول «الإلهام»، معلومة تفيد بوجود مواقع إلكترونية تتضمَّن كشوفات كاملة باللوحات الزيتية المستلهمة من الشِّعر، والأغنيات المستلهمة من اللوحات الزيتية. فهل من الممكن تزويدي بعناوين هذه المواقع على الشبكة؟».

والواقع أن هذه المواقع هي بالفعل كثيرة، كما ورد في الملف. ويكفيك يا أخ مفيد أن تبحث في «غوغل» على Poems inspited by paintings مثلاً، حتى يطالعك كثير منها. ويمكنك أيضاً أن تجد ضالتك على هذه المواقع:
www.theartsdesk.com, artsongs.org, www.songfacts.com, painting.about.com.

وردتنا من **الأستاذ معتصم الشاعر** رسالة يقول فيها: لقد أسعدني جداً أن أرى مقالي: «التربية ومستقبل الأدب العربي» منشوراً في مجلتكم. لقد شكَّل الأمر حدثاً مفرحاً بالنسبة إلي، إذ إنه يعني انضمامي إلى قافلتكم المسافرة إلى آفاق التنوير.



وضمَّن الأخ معتصم رسالته بعض الاقتراحات تتعلَّق بمواضيع يرشحها لأن تكون محاور لملفات المجلة، ونحن سنحيلها إلى فريق التحرير لدراستها واتخاذ القرار بشأنها.

وكتب **محمد محمد حتيمش** من جدة، يطلب بعض الأعداد التي لم تصله بالبريد لسبب غير معلوم. ونحن ننصح الأخ محمد بالاطلاع على ما ينقصه من أعداد المجلة على موقعها الإلكتروني، ريثما نحيل طلبه إلى قسم الاشتراكات.

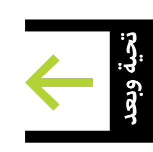
ومن الأردن، سألنا **طالب جميل النهار** عن شروط نشر المواضيع الأدبية في القافلة، وجوابنا هو أن تكون المادة غير منشورة، ورقياً ولا إلكترونياً، سابقاً، وتنسجم مع أبواب القسم الأدبي والمساحة التقريبية المخصصة لكل زاوية من زوايا هذا القسم. ويكفي لذلك الاطلاع ملياً على بضعة أعداد من القافلة، ومقارنة ما ورد في كل باب من عدد ما بالوارد في عدد آخر.



وجاء في رسالة الزميل **حمدي هاشم حسانين**، المحرر في مجلة ماجد، أنه كان يود المشاركة مستقبلاً في الكتابة للقافلة، سواء في ملف العدد أو موضوعات مستقلة، وأضاف: «ولكنني قرأت في العدد الأخير عن ضرورة التواصل مع فريق القافلة قبل كتابة الموضوع، والتنسيق معه بهذا الشأن».

والحقيقة يا أخ حمدي أن التنسيق مع فريق القافلة قبل كتابة الموضوع ليس عقبة، بل يضمن النشر، فنأمل أن تبقى على اتصال، وأن توافينا بما لديك من اقتراحات.

ووردتنا طلبات اشتراك بالقافلة من كل من: الملحقية الثقافية السعودية في أستراليا، والأستاذ الدكتور أحمد صادق عبدالمجيد من جامعة الملك خالد في أبها، ومحمد حسين السماعيل من أمانة الأحساء، وعمري البشير أستاذ الشريعة والقانون في الجزائر. وقد أحلنا هذه الطلبات وكثيراً غيرها إلى قسم الاشتراكات، آملين أن يتسلَّم الجميع الأعداد المقبلة تباعاً، إن شاء الله.



حول التواصل الثقافي

يتم التواصل بين الأفراد على مستويين، وهما مستوى داخل الثقافة نفسها ومستوى عبر الثقافات. أما التواصل ضمن الثقافة الواحدة فذو مواصفات معيَّنة أهمها أن هؤلاء الأفراد يتفاعلون وسط رموز لغوية وثقافية واحدة. ولا يتطلب هذا النوع كثيراً من الجهد والتيقظ الشعوري، فهو يتم ضمن إطار ثقافي معرفي واحد. ومع هذا كله يتخلل هذا النوع من التواصل أحياناً حصول سوء تفاهم مهم لأسباب لغوية أو نفسية أو سياقية معينة. غير أنه يمكن التعامل معها بصورة سريعة ومناسبة لإصلاح الخلل التواصلي.

أما التواصل عبر الثقافات، فهو تواصل بين أفراد ينتمون إلى ثقافتين مختلفتين ويستخدمون إحدى لغتي هاتين الثقافتين، مثل اللغة العربية ليتواصل بها الألماني الذي تعلمها كلغة أجنبية مع العربي، أو اللغة الإنجليزية ليتواصل بها العربي الذي تعلمها كلغة أجنبية مع البريطاني. إن هذا التواصل ليس سهلاً على الإطلاق كما يظنه الكثير. فالمسألة ليست استخدام رموز مثل كلمات وجمل لاستيفاء الغرض المطلوب. بل هو أكثر من ذلك، إنه عملية تفاعلية معقَّدة تتطلب التيقظ الشعوري وتطال المستويات النفسية والاجتماعية والثقافية واللغوية.
من الواضح، على سبيل المثال، أن التكرار في ثقافتنا العربية الإسلامية أمر مقبول خلال التواصل مع الآخرين ضمن هذه الثقافة وهو أمر طبيعي. غير أن استخدام هذا الأسلوب، أي التكرار، للتواصل عبر الثقافات يبدو أمراً غير مقبول، وخاصة عند التواصل مع الأوروبيين.
مثال ذلك ما حصل مع كاتب هذه المقالة عندما ذهب إلى أمريكا لمواصلة الدراسات العليا. فمع انتهاء الفصل الدراسي الأول توجَّه إلى إدارة التسجيل في الجامعة ليستفسر عن درجاته في المقررات التي سجل فيها في ذلك الفصل. وفيما يلي وصف للحوار الذي جرى بين الطالب وموظفة الاستقبال:

- الطالب: لو سمحت أريد أن أعرف درجاتي لهذا الفصل.
- الموظفة: أنا آسفة. إن النتائج غير متوفرة الآن وعليك الانتظار إلى حين إعدادها.
- الطالب: ولكنني أريد معرفتها لأنني على وشك التقديم لبعثة دراسية.
- الموظفة: قلت لك إن الدرجات غير متوفرة ولا أقدر أن أعطيك أي شيء الآن.
- الطالب: ولكن إذا كان بالإمكان الحصول عليها بأي شكل كان لتسهيل التقدم لتلك البعثة الدراسية.
- الموظفة: لقد قلت لك إن النتائج غير متوفرة وإذا لم تقبل هذا الجواب فسأضطر للاتصال بشرطة الجامعة.
- الطالب: شكراً (مغادراً).

أيقظ هذا الحوار الطالب أخيراً من غفلته وأدرك الهوة الكبيرة التي تفصله عن الموظفة.
إن التعثر في التواصل عبر الثقافات يكون مرده بالدرجة الأولى سبب ثقافي / اجتماعي. فقد تجد أمراً مقبولاً في ثقافة معيَّنة لكنه لا يكون مقبولاً في ثقافة أخرى. أما السبب اللغوي فهو فشل المتكلم في استخدام الكلمة أو العبارة الصحيحة للتعبير عن المعنى الذي يرغب في إيصاله إلى المستمع من الثقافة الأخرى.

عبدالله حامد حمد
الرياض

أول مخطوط عربي في أدب الطفل

يخطئ من يظن أن أدب الأطفال لم تعرفه الحضارة العربية والإسلامية إلا بعد معرفة الغرب له. فقد عُثر على أول مخطوط إسلامي اهتم بأدب الأطفال، ويرجع تاريخه إلى القرن العاشر الهجري، ويضم 64 ورقة، وعدد سطور كل منها 21 سطراً. وقد نقل هذا المخطوط من أروقة أحد المساجد في القاهرة إلى مكتبة الأزهر الجديدة.

المخطوط بعنوان (تحرير المقال في آداب وأحكام وقوانين يحتاج إليها مؤدبو الأطفال)، ومؤلفه هو الشيخ العالِمُ الكبير أحمد بن محمد ابن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، وهو فقيه وعالم مصري ولد عام909هـ (1504م) بإحدى قرى محافظة الغربية في مصر تدعى (محلة أبي الهيتم) وتُوفي في مكة المكرمة عام 974هـ (1560م). ولابن حجر الهيتمي عديد من المؤلفات المخطوطة، منها: (مبلغ الأرب في فضائل العرب) و(الجوهر المنظم) و(تحفة المحتاج لشرح المنهاج في فقه الشافعية) و(الفتاوى الهيتمية) و(أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل) وغيرها. وقد تمّ تسجيل المخطوط بمكتبة الأزهر في نطاق علم التربية والأخلاق، ويحمل رقم 743 خاص، ورقم 34106 عام. والمخطوط نفيس في بابه، وهو دليل على تفتّح العقلية العربية على آفاق الإبداع والتأليف في الفنون المستجدة.

والسبب في تأليف هذا المخطوط النادر الذي يُعد باكورة أدب الأطفال في الإسلام؛ أن أحد المؤدِّبين في مصر أرسل إلى المؤلف يستفتيه في بعض الأمور مثل موقفه من الطلبة الذين يتغيّبون عن حضور حلقات تحفيظ القرآن الكريم وتعلُّم العلوم الأخرى؟ وهل يرسل لهم من يُعيدهم للانتظام في الدراسة؟ وهل يجوز الصرف في هذا المجال من أموال الوقف المرصود للكتاب أم على نفقة المعلم أو المؤدب؟ وهل يجوز للمعلّم أن يضرب من يتخلّف عن دروس التحفيظ أو من يأتي تصرفات لا تليق بتصرفات من يتلقون العلم الإسلامي؟

محمد عبد الشافي القوصي
القاهرة





المحطة الأولى

بين فن الحوار والتعليم المهني

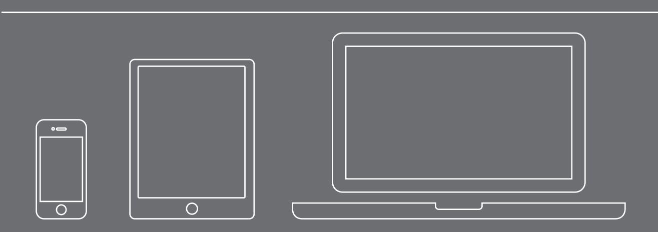
في الأشهر الأولى من السنة الدراسية، حين تكون السنة الجديدة قد أقلعت في المدارس والجامعات، ها هي المحطة الأولى في القافلة، تجمع مواضيع عديدة تراوح بين فن الحوار، وأهمية التعليم المهني.
ففي زاوية «ورشة عمل»، طرحت مسألة أساسية في حياة المرء قد لا يعيرها الانتباه والاهتمام اللازمين، مع أنها مسألة قد تكون الحد الفاصل بين النجاح والفشل في الحياة. إنها مسألة: فن الحوار، وهل نتقنه، وكيف نحسّن قدرتنا على محاورة الغير، ومحاولة إقناعه، أو على الأقل السعي في إيجاد أرض مشتركة، نلتقي عليها معه؟ كثيراً من قوانين علم الاجتماع وعلم النفس، قيل في الورشة، وقد يصح مفتاحاً للتفكير الجدي لتغيير سلوكنا في الحوار.
في بداية كلام، سؤال قد يبدو الجواب عنه بديهياً: أيهما تفضل السكن قرب العمل أم بعيداً عنه. إذا كان الجواب المتوقع هو: بالقرب منه، فقد يفاجئك البعض حين يفضِّل السكن بعيداً عن العمل، رغبة في رياضة المشي، أو حتى، من عدم افتتان بجو العمل.
وبعد زوايا الكتب والمواعيد الثقافية، يتحدث «قول في مقال» عن أهمية التعليم المهني، الذي نُظر إليه طويلاً نظرة دونية، مع أن التفوق الألماني الصناعي استند إلى قوة التعليم المهني، لصنع الازدهار الذي تفوقت فيه ألمانيا.



القافلة أونلاين



www.qafilah.com



تصفّح القافلة أونلاين بحلَّة جديدة وموضوعات موسّعة لتشمل الأفلام الوثائقية والمقابلات المسجلة والشعر بالصوت والصورة.



ورشة عمل | يقال إن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، وهو أمر ندركه جيداً في حياتنا اليومية، فيحتاج الإنسان إلى التواصل مع الآخرين باستمرار، كحاجة ضرورية وفطرة إنسانية، بدافع الرغبة في التعبير عن المشاعر ونقل الأفكار والتعلم وكل ما يتبع ذلك.



عين وعدسة | في الطريق إلى كي ويست، المدينة الصغيرة في جنوب فلوريدا التي تحتضن منزل هيمنجواي ومتحفه، تذكرت بعض ما قرأته من كتبه، السير الشخصية التي كتبت عنه، ولعه المعروف بمصارعة الثيران الإسبانية، رحلاته الإفريقية، وسيرته الآسرة في باريس، وأخيراً الرصاصة التي أوقفت حياته عام 1961م في كيتشوم.



فنان ومكان | من بين كل المستشرقين الأوروبيين، يشكِّل الفنان النمساوي لودفيغ دويتش حالة فريدة من نوعها، تتمثل خصوصيتها في الارتباط بمكان واحد من هذا الشرق: مدينة القاهرة، وتكريس سيرته المهنية كلها لهذا المكان بعد اكتشافه.



أدب وثقافة | مرة أخرى، تفاجئنا الأكاديمية السويدية بمنح جائزة نوبل للآداب لاسم غير متوقع على الإطلاق: الروائي الفرنسي باتريك موديانو. ولا يعود عدم التوقع إلى أي شكل من أشكال التقييم أو التقدير، بل إلى كون صاحب الاسم هو بكل بساطة، وباعتراف الأكاديمية السويدية نفسها، شبه مجهول تماماً خارج بلاده، وخارج دوائر المثقفين الناطقين بالفرنسية.



طاقة | اليوم، نحصل على التيار الكهربائي اللازم لتشغيل أجهزتنا المتنوعة وشحن بطارياتها عبر شبكة معقَّدة لا يرى منها المستخدم العادي إلا قابساً جدارياً يتم تثبيت سلك «الفيش» فيه. إلاَّ أن فكرة النقل اللاسلكي للطاقة تطمح إلى تجاوز ذلك كله، أو على الأقل تعدنا بالاستغناء عن القابس والحصول على الإمداد الكهربي عبر الهواء... بدون أسلاك تنتهي بفيشة من أي نوع.



الملف | لأنه به بدأ التدوين، فكل ما قبله هو ما قبل التاريخ، وكل ما بعد ابتكاره هو ما نسميه التاريخ. فالقلم هو لسان البشرية، الراوية الخالد، والأداة الأساس في حفظ كل المعارف الإنسانية ونقلها. كيف بدأ القلم، وكيف تطوَّر، وما كانت منزلته على مر الزمان، وما مصيره اليوم، بعدما اجتاحت الآلة مهنة الكتابة، مطالبة بالمكانة الأولى، بدلاً منه.

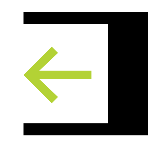
عند مفترق الطريق إلى النجاح أو الفشل

تقنية الحوار الناجح ومهارات التواصل مع الآخرين

الحوار فعل أخطر مما يبدو على ممارستنا التلقائية له. ولأنه مفترق الطريق إلى النجاح أو الفشل، كانت ورشة عمل «القافلة» هذه المرة بعنوان «مقوّمات الحوار الناجح ومهارات التعامل مع الآخرين»، التي أدارها الدكتور خالد البديوي في فندق كارلتون المعيبد في الخبر، بحضور عدد من المشاركين من خبراء ومهتمّين بتطوير مهاراتهم في هذا المجال.

تغطية خالد الجهاد
تصوير: زكي غواص





لو استعدنا أي جانب من جوانب حياتنا والطريق الذي قادنا إليه، لوجدنا أن حواراً ما في وقت ما، كان مفصلاً في وصولنا إلى ما نحن عليه. فمن أبسط الشؤون الأسرية في المنزل، مروراً بحياتنا العملية والمهنية، وصولاً إلى القضايا العامة وحتى ما هو على مستوى الأوطان والعالم، نرى أن الحوار فعل دائم الحضور، سواء أكان للإقناع أو للاقتناع أو للاستطلاع أو للبحث عن حل أو اتخاذ قرار..

وعلى الرغم من أننا جميعاً نعي أهمية الحوار عند إقدامنا عليه، فإن معظمنا يكتفي بالاتكال على ما يعتقد أنه «الحجة القوية»..ويفوتنا أن الحوار مهارة ذات مقومات عديدة، من دونها تضعف أقوى الحجج. لا بل ليس من المبالغة القول إن حظوظ الحجة القوية في أن تفرض نفسها قد تنعدم وتنهزم أمام الحجة الخاطئة إذا لم تعرض ولم يدافع صاحبها عنها بمهارة، ناهيك بأن الحجة القوية قد تصطدم بوجود حجة أقوى.

ولو ألقينا نظرة خاطفة على ما يسمى «البرامج الحوارية» التي تعرضها القنوات التلفزيونية العربية، من باب المثال الذي يعرفه الجميع وليس من باب الحصر، للاحظنا أن مستوى المهارات الحوارية في مجتمعاتنا العربية ليست في أفضل أحوالها، لما نراه من توتر ومقاطعة المتحاورين لكلام بعضهم البعض، ونبرات أصواتهم التي تصل أحياناً إلى الصراخ، والتشابك بالأيدي أحياناً. الأمر الذي يطيح بإمكانية التأثير فعلاً في فكر المشاهد الذي إما أنه ينصرف عن متابعة المشاهدة، وإما أنه يستمر فيها من باب التسلية المثيرة ليس أكثر.

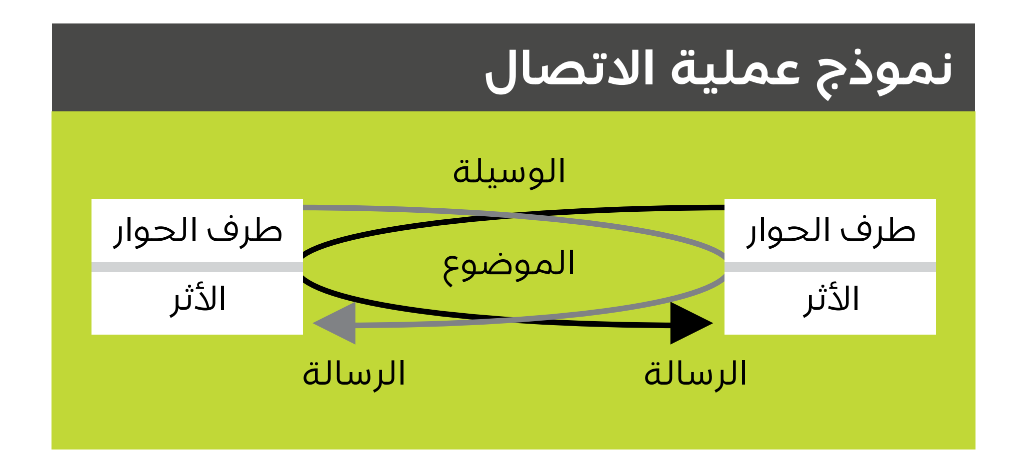
التأثير بالأرقام

في كل حوار ومحادثة، عناصر متعددة تنقل الأفكار والانطباعات بين المتحادثين، وهي العناصر التي يحاول بواسطتها كل متحدث أن يدخل إلى قلوب الآخرين وعقولهم. ويقدّر الخبراء النسبة المئوية لقوة كل من هذه العناصر، بما يلي:



والمقصود بالصورة، لغة البدن وحركة العينين واليدين والجسم إجمالاً في أثناء الحديث. أما الصوت فهو في الإجمال أشد إقناعا حين يكون منخفضاً وهادئ النبرة. وبذلك لا يبقى للكلمة، أي لمضمون الكلام، سوى 7%. وهذا إن صح، فهو يعني أن صاحب الحجة الصحيحة قد يخسر في الحوار، إذا أساء استخدام العناصر الأخرى الأشد تأثيراً في المستمع.

نموذج عملية الاتصال





لغة الجسم تستحوذ على 55% من فعالية قوة الاتصال لدى المتلقي

إن المثل الذي ضربناه هنا يؤكد أن ملكة البراعة في الحوار ليست تحصيل حاصل حتى عند ذوي المستويات العلمية أو الفكرية الرفيعة. إنها مهارة مستقلة، قد تكون بعض جوانبها قابلة لأن تُكتسب بالفطرة، ولكن معظمها يتطلب وعياً وجهداً لاكتسابه. وما تبين من ورشة العمل هذه هو أن هذه المهارة ذات خصائص على درجة عالية من التعقيد، تكاد تجعل تعلمها أو تعليمها صالحاً لأن يكون عبر برنامج دراسة جامعي..!

الحوار ضمن باقة أشكال الاتصال

أثيرت في الورشة مسألة تمييز الحوار عن غيره من أنماط الاتصال. ففي حين أن مصطلح الاتصال يعني تبادل الأفكار والمعلومات بين طرفين أو أكثر عن طريق وسائل الاتصال المختلفة مثل الإشارة والكلام والقراءة والكتابة والمراسلة، فإن الحوار يدل على تفاعل لفظي بالدرجة الأولى وغير لفظي بدرجة أقل، في إطار التواصل وتبادل المعرفة والخبرات بين المتحاورين توخياً للوصول إلى نتيجة معينة.. كما يتميز الحوار بمحدودية الوقت المتاح للتفكير وتمحيص الأفكار وطرحها، عكس ما هو عليه الحال في المراسلة مثلاً. الأمر الذي يجعله يتميز بخصوصية معينة بين باقي أنماط الاتصال. فلا يكفي الأديب أن يكون بارعاً في كتابة الرسائل ليكون حكماً محاوراً بارعاً.

وباتت تنمية مهارة الحوار بحد ذاتها ضرورة لا غنى عنها من وجهات نظر المربّين وعلوم الاجتماع والإدارة والأعمال والسياسة وحتى الاقتصاد. وفي هذا المجال، أورد المدرب د. خالد البديوي قولاً شهيراً للكاتب روبرت كيوساكي يلخص مكانة التواصل من بين عوامل النجاح المهني، ومفاد هذا القول أن «أثرى الناس يبحثون عن التعارف والبقية يبحثون عن العمل». فما الذي خلص إليه العاملون على تطوير مهارة الحوار ومستلزماته التقنية التي توسع آفاق النجاح أمامه؟

روزيتو.. أثر الحوار على الصحة

ما كان أحد من المشاركين في الورشة يربط في ذهنه بين التواصل الجيد وأحوال الصحة العامة، حتى روى المحاضر قصة بلدة أمريكية أسسها في القرن التاسع عشر نحو 1200 مهاجر إيطالي يتحدرون جميعاً من بلدة إيطالية واحدة تسمى روزيتو.
فقد لاحظ الأطباء ما يكاد أن يكون انعداماً للوفيات بسبب أمراض القلب بين سكان هذه البلدة، وكذلك انعدام حالات الانتحار فيها. وبعد دراسات مستفيضة لنمط العيش فيها، خلصوا الى أن التواصل المتين والحوار الدائم في إطار العلاقات الاجتماعية التي تربط ما بين هؤلاء السكان هو السبب في تمتعهم بصحتهم الجيدة!





الانفتاح شرط أما القوة فليست كذلك

انطلقت أعمال هذه الورشة في يومها الأول بقول للإمام الشافعي: «رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب». وهو قول يحمل في طياته قيمة كبيرة ويستحق التأمل كما يستحق أن يدرّس في كل وقت. فالاستعداد مبدئياً للاعتراف بأن رأي الطرف الآخر يحتمل الصواب هو شرط أساسي لتمييز الحوار عن غيره من أنماط الاتصال. ومن دون هذا الاعتراف، فإن الحوار ينقلب محاضرة أو أمراً غير قائم على شيء سوى القسرية.

وفي قول الإمام الشافعي ما ينطوي على اعتبار التكافؤ، في مقارعة الرأي بالرأي الآخر، شرطاً من شروط الحوار. فالاعتماد المفرط على القوة والاتكال على عدم تكافؤ القدرات هو من أكثر الأخطاء شيوعاً لدى أغلب المتحاورين. وفي هذا الإطار تذكَّر المشاركون قصة «الشمس والريح»، حيث راحت كل منهما تتباهى بقوتها، فتحدَّت إحداهما الأخرى في القدرة على إرغام رجل أن يخلع سترة كان يرتديها أو نزعها عنه. فنفخت الريح بكل قوتها حتى تحوَّلت إلى عاصفة هوجاء، دون أن تتمكن من نزع السترة عن الرجل. أما الشمس فراحت ترسل مزيداً من أشعتها ببطء وصمت، حتى أحس الرجل بالحر، وخلع سترته. والعِبْرَة التي سلَّم بصحتها الجميع هي

البديوي: الحوار وسيلة راقية لتبادل الأفكار.. وتأثيره يمتد من الفرد وسلوكياته وحتى صحته إلى المجتمع كلّه

نعم... ولكن!

لعبارة: نعم... ولكن! في أي حوار درجات معينة من الأهمية.
حتى إن المحاضر سمّى العبارة: «تحدي نعم ولكن». ذلك أن العبارة شغلت علماء الاجتماع حتى ظهر كتابان في الموضوع، واحد وضعه شون ستيفنسون، عنوانه: تخلّص من ولكن. والثاني عنوانه: نعم ولكن.
وخلاصة الأمر أن هذه العبارة تبدأ بكلمة: نعم، أي إنك موافق مبدئياً على ما قاله محدثك، وأنك لا تعارضه تماماً فيما قال.
لكن... بعد أن تكون قد قلت نعم، وهي كلمة قد تجرّد محاورك من بعض تشبثه برأيه، حيث إنه توصل إلى إقناعك به، ولو جزئياً، تبدأ لكن، أي يبدأ إظهار الحجج المناقضة، وبذلك يكون استعداد المحاور لقبولها أفضل من استعداده، لو بدأت برفض رأيه.
ومن الأمثلة التي وردت في الورشة حول استخدامات نعم ولكن، قول سعد مثلاً: «إن ألمانيا هي أجمل بلد في العالم»، وردّ سعيد بقوله: «نعم .. إن ألمانيا جميلة، ولكن فرنسا أجمل منها».
وفي تقييم هذا المثل قال المحاضر: كلما زادت الكلمات المقتبسة من سعد، بعد قول نعم، أكثر، كانت ولكن مقبولة أكثر.
إنها لعبة نفسية من أصول فن الحوار، وعلوم المحادثة التي يُقصد بها الوصول إلى نتيجة مفيدة، لا مجرد التصارع غير المجدي بين الآراء.

أن الاعتماد المفرط على القوة غير مضمون النتائج. فتقنية الحوار تولي الأناة والمرونة أهمية أكبر بكثير.

الإنصات..فن لا بد منه مأذا عنه؟

بهذه العبارة الاستفهامية تطرَّق البديوي لمفهوم الإنصات الفعّال الذي يمكن اعتباره عن حق من أبرز مستلزمات المحاور الجيّد، ويعود بالفائدة على صاحبه. وروى المحاضر واقعة من سيرة نبيّنا الكريم (صلى الله عليه وسلم)، حين جاءه أحد المشركين ليعرض عليه بعض ما لديهم من مغريات دنيوية، قابله النبي (صلّى الله عليه وسلّم) بالإنصات الكامل إلى حديثه، فلم يتكلم إلَّا بعدما انتهى كلام الزائر، ليرد بعد ذلك بكل هدوء على ما قاله، مستفيداً من حُسن إنصاته لكل ما ورد في حديث ذلك المشرك. فالإنصات تعريفاً، هو التركيز على ما يقوله المتحدث ذهنياً وبدنياً، والسعي إلى استيعاب كل ما هو وارد فيه، وبالعمق.

قلائل منا يعرفون أن الإنسان يقضي 40% من حياته في الإنصات! وهذا ما يستدعي وجوب تطوير فن الإنصات كمهارة قائمة بحد ذاتها، لاستفادة أفضل من كل هذا الوقت الطويل، بدلاً من أن يضيع إنصاتنا سدى بسبب عدم التركيز لحساب أمور أقل أهمية.

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا ينصت الناس؟ ما دافعهم إلى قضاء وقتهم في الإنصات؟ يمكن القول إنهم ينصتون لكي يتعلموا الجديد، وللتيقن من أمر ما، أو لكسب الاحترام وبناء العلاقات، فالإنصات فن لا يتقنه إلا من يرغب في الحصول على أفضل النتائج غالباً، ويتطلب قدرة على التغلب على العادات السلبية مثل الاستسلام للملل أو المقاطعة أو الإحساس بالمعرفة أكثر من المتحدث..

وللإنصات الجيد درجات!

ومن بين الأمور التي استرعت انتباه المشاركين في هذه الورشة، وكشفت المدى الذي وصل إليه علم الحوار، هو توصل الباحثين إلى توزيع الإنصات إلى خمسة مستويات.

فحين يجلس شخصان أو أكثر للتحاور، فإن مَنْ ينصت إلى المتحدث بينهم، يكون في عدد متفاوت من خمس حالات ممكنة. وتراوح هذه الحالات من التجاهل، إلى الإنصات الفعّال الذي يسميه المتخصصون «التقمص». وهذه الحالات الخمس هي:

- **التجاهل**، وهو عدم الالتفات إلى المتحدث أو إلى حديثه، كالانشغال بأمر آخر، قد يكون هاتفاً أو مجلة أو مشهداً من نافذة الغرفة، وما إلى هذا.
- **التظاهر**، وهو ليس تجاهلاً ظاهراً، ولكنه ليس إنصاتاً صادقاً، بل تكلّفاً للإنصات، فيما الفكر والانتباه مركزان في أمر آخر، غير موضوع الحديث.
- **الانتقاء**، وهو التركيز على جانب معيَّن من الحديث، واختيار ما يهمنا ويخصنا منه، وإهمال ما بقي من عناصر الحديث. وكأن المنصت يبحث سلفاً عن أمر ما في كلام محدثه.
- **الإنصات بانتباه**، وهو الاستماع الواعي والكامل لما يقوله المتحدث، والتفهم التام لمضمون الكلام، دون الموافقة عليه بالضرورة.
- **الإنصات المتفاعل**، وهو لا يكتفي بالإنصات بانتباه، بل يتعدّاه إلى التفاعل مع المتحدث، ومحاولة معرفة سبب رأيه، لا سيما إذا كنا لا نوافقه في حديثه.

وتمّ تلخيص خصائص الإنصات المتفاعل بجملة نصائح ضرورية لمن يهمه الأمر. وهي:

- **استمع** محاولاً أن تتفهم ما يقوله محدثك.
- **كن جاداً في الاستماع**، ولا تتظاهر به أو تمثل دور المستمع.
- **لا تصرف تفكيرك** إلى تجهيز الرد على ما يقال، في داخلك وأنت تستمع.
- **صارع** رغبتك في المقاطعة، واترك مضمون هذه المقاطعة، إلى أن يحين دورك في الكلام.
- **اطرح** بعض الأسئلة، ليدرك محدثك أنك جاد في محاولة فهم وجهة نظره.
- **تذكّر** أن بعض الصمت أبلغ من الرد.

الانطباع والثواني الأولى

أعادت هذه الورشة إلى الأذهان بعض ما كان قد ورد في ورشة عمل سابقة كانت «القافلة» قد نظّمتها حول مهارات الخطابة، ويتعلّق بأهمية اللحظات الأولى للإطلالة. إذ لا يدرك الكثير أن الثواني الأربع الأولى من أي لقاء تكون حاسمة في تكوين انطباع سريع لدى الآخرين عن المحاور. ويمكن تعريف الانطباع بأنه النظرة السائدة والمسيطرة تجاه شيء معيَّن. وهو أمر يصعب تغييره بسهولة بعد تكوينه، ولذا يجب أن نوليه ما يستحق من الاهتمام لنمنح

الإنسان يقضي 40% من وقته في الإنصات

أنفسنا ما نستحق من تقدير الغير لنا. وإذا ما أراد المحاور الحصول على انطباع إيجابي فعليه أن يبعث برسائل متعددة، وأولها القوة في المظهر، ثم التواصل البصري الجيد مع المقابَل، وكذلك إجادة اختيار الكلمات الأولى. ولعل أسلوب المقابلة الشخصية يعطي مثالاً واقعياً لذلك، إذ إن الرأي النهائي عن الشخص المتقدِّم للمقابلة يتكوّن سريعاً وحتى قبل سؤاله عن الموضوع الأساسي الذي جاء من أجله للمقابلة، فالتفاصيل الصغيرة حاسمة في مثل هذه الحالات التي يغفلها البعض، ويولي اهتمامه لصلب الموضوع فقط.

المهارات اللفظية أولاً

وتطرقت الورشة، أيضاً، إلى المؤثرات في الحوار وطرقها، وفي طليعتها المهارات اللفظية التي تصنع الفارق في القدرة على جعل الحديث مؤثراً على المتلقي. وهي على التوالي حسب أهميتها:

- **التأني في الكلام** وهو ما يدلّ على الثقة غالباً.
- **التشديد على الكلمات** المهمة خلال الكلام.
- **تكرار الفكرة** ولكن بطرق مختلفة وبلا تكلف يزعج المتلقي.
- **تغيير طبقات الصوت** خلال الحديث لإبعاد الملل عن نفوس المتلقين.
- **تغيير وتيرة سرعة الكلام** على نحو متدرج وغير مخل والتوقف قبل وبعد الأفكار المهمة التي ترغب في أن تنال اهتمام المقابَل مباشرة.
- **تلافي الصراخ،** فخفض الصوت هو من الأمور المؤثرة خلال الحديث مع الآخرين، لأننا من دون وعي منا ننجذب إلى شخص ما ولا نعلم السبب الذي كثيراً ما يكون في انخفاض صوته، فنرى حديثه مقبولاً، ونخمّن أن الموضوع يتعلق فقط بالجاذبية الشخصية.

وهناك خطوات وأساليب لفظية يمكنها أن تجعلنا أكثر قبولاً لدى الآخر، وهي أمور تكاد لا تظهر في نهاية الأمر ولا يلاحظها الطرف الآخر عادة، فيجب التركيز عليها بشكل متكرر لتحسين الأداء.

تشير الدراسات إلى أن الإنسان يقضي

40% من وقته في الاستماع إلى الآخرين

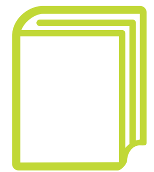




فيما يقضي 35% في التحدث



و16% في القراءة



و9% في الكتابة

من كتاب:
أنصت يحبك الناس

لغة الجسد أهم!

أما المؤثر الفرعي الثاني فهو في جعل تعبيرات الجسد مرتبطة بالموضوع الذي يتحدث عنه المحاور، بحيث يصبح الجسد مرآة صادقة للأحاسيس ليشعر بها جميع من يخاطبهم، وهذا ما يتضمن الظهور بمظهر الخبير الواثق أمام الجميع، فيكون هادئاً وطبيعياً بعيداً عن التوتر الذي يعطي انطباعاً سلبياً بأنه غير متمكن من الحوار، ولديه مشكلة، الأمر الذي ينعكس سلباً على المناخ العام للحوار. فللغة الجسد دور كبير وخفي في إيصال أفكارنا وتقبلها؛ لأنها تنطق بالفعل بما يعبِّر عن حالنا عند الاسترسال في الحوار.

ثمة مفهوم سائد بأن معظم التأثير يأتي من مضمون الكلام. ولكن ما لا يعرفه الناس أن دراسة علمية شهيرة كشفت أن الكلمات لا تؤثر إلا بنسبة لا تتجاوز 7% فقط في الآخرين. أما لغة الجسد فتؤثر في الآخرين بنسبة 55%، فيما ينال الصوت نسبة تصل إلى 38%. وهو ما يعني أن التأثير يخضع لعدة عوامل ولا يعتمد فقط على الكلام. فالمتلقي لا يكون مركزاً فقط على ما يقال بل يستخدم بقية حواسه لاستكمال انطباعه ورأيه، فطريقة اللبس





تنمية مهارات الاتصال في الحوار

نشاط ١٠ | ٢٠ دقيقة

المؤثرات اللفظية

تطبيقات

نموذج(أ) مثال

كسر خالد نافذة الغرفة أمس
كسر خالد نافذة الغرفة أمس
كسر خالد نافذة الغرفة أمس
كسر خالد نافذة الغرفة أمس
كسر خالد نافذة الغرفة أمس

نموذج(ب) للتدريب

تدرّب محمد في المدرسة عصر السبت.

نموذج(ج) للتدريب

اشترى لي أبي يوم عيد الأضحى كتاباً، وفي العيد الآخر اشترى لي كتاباً وشريطاً ..... ثوباً ..... حذاءً ..... شماغاً ..... لعبة .....

نموذج(د) للتدريب

أهدى إليّ صديقي العام الماضي ساعة، وفي هذا العيد أهدى إليّ قلماً وشريطاً وكتاباً

تنمية مهارات الاتصال في الحوار

نشاط ٧ | ٣٠ دقيقة

قياس مهارة الإنصات* نموذج (أ)

بعد قراءة كل بند من المقياس الآتي ضع إشارة (✓) في الحقل الذي يصف ما تقوم به عندما تحاور الآخرين

م	بنود القياس	غالباً	أحياناً	نادراً	أبداً	...
١	أجلس وجهاً لوجه مع من أقابله ودون أي حواجز مادية فاصلة بيننا					
٢	أرتب المقاعد بمسافة واحدة وبأبعاد مناسبة					
٣	أجلس جلسة وقار مع تركيز انتباهي في كل ما يقال					
٤	عندما أتحدث مع من أقابله، فإني أتجه بنظري بشكل ملائم					
٥	عندما أتحدث أستخدم إيماءات طبيعية تصدر بعفوية وتخدم الموقف الذي أتحدث فيه					
٦	يتركز حديثي في الغالب حول ما يخص شأن من أقابله وأتجنب الحديث عن نفسي					
٧	أحافظ على الأسرار والأمور الشخصية للآخرين					
٨	أنادي الحاضرين أثناء المناقشة غالباً، بأسمائهم عند الحديث معهم					
٩	أصغي لكل حديث للآخرين باهتمام وبشكل متواصل					
١٠	أطرح أسئلة بغرض توضيح وجهة نظر من أقابله					
١١	أستنبط المعلومات بأسلوب علمي؛ للتأكد من الشعور الحقيقي للمتحدث					

تطبيق واختبار قياس لمهارة الإنصات، وهو جزء من كتيب برنامج مهارات الحوار المعد من مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني

وحركات الجسم كلها مؤثرة ولن تكون معزولة في الحكم على المتحدث بالمجمل.

المؤثرات غير اللفظية

أما «المؤثرات غير اللفظية» فهو الاسم الذي تنضوي تحته ثلاثة مؤثرات فرعية أخرى، هي:

- **إيماءات الوجه،** حيث من المعلوم أن في الوجه نحو 140 عضلة تتحرَّك معظمها دون وعي منا، ومفتاح استثمارها وحسن توظيفها في الحوار هو في استشعار المواقف وتقمص الوضع المناسب.
- **الاتصال البصري،** مع الحرص على التواصل بالنظر إلى العينين وتوزيع النظر بالتساوي.
- **حركة اليدين،** التي تساعد كثيراً في تكوين انطباع إيجابي عن المحاور.

أما فيما يتعلق باستراتيجية الحوار الناجح، فقد تم تلخيصها بعدد من النقاط هي بالترتيب: أولاً تحديد الموضوع، ثم جني العسل دون كسر خلية النحل، ووضع الاهتمام بالناس قبل مواجهتهم، بحيث لا يسمح للموقف والحوار أن يكون أهم من العلاقة بين المتحاورين. وضرورة العثور على 1% من الأمور المتفق عليها، ومنحها كل الجهد لتكون منطلقاً لتوسعة دائرتها، وهذا ما يسهل الحوار ويجعله ودياً أكثر بمرور الوقت. وأخيراً، ضرورة تواصل الفرد مع الآخرين بصفته واحداً منهم.

مكارم الأخلاق

تناولت الورشة قبيل اختتامها جانباً مهماً يتعلق بأخلاق المحاور الجيد. وهنا استدعى المدرِّب الحديث النبوي الشريف في قوله (صلّى الله عليه وسلم): {إنما بُعثتُ لأتمِّم مكارمَ الأخلاق}، والحديث الآخر الذي يأتي في السياق نفسه:

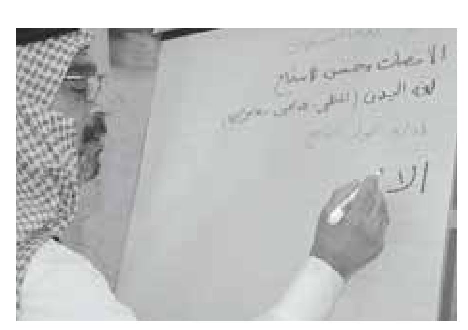
{أقربُكم مني مجلساً يومَ القيامةِ أحسنُكم أخلاقاً}، ليضعنا أمام ضرورة التحلي بآداب الحوار مبدأً ونهجاً. وفي هذا الإطار ذُكرت جملة أمور يجب تلافيها خلال الحوار؛ وهي وإن بدت للبعض أنها ذات تأثير ثانوي، فإنها في الواقع ذات أثر كبير على حسن سير الحوار وضمان استمراريته. ومن هذه الأمور نذكر:

- **عدم رفع الصوت،** لأن تفسير الصوت المرتفع هو قلة احترام للطرف الآخر، مما سيفقد الحوار أي فائدة، إن لم يؤد إلى قطعه.
- **عدم استخدام عبارات الإلزام،** فالمحاور لا يُصدر أوامر.
- **تجنب الشرب والأكل خلال الحوار** إلا على مائدة الطعام.
- **الامتناع عن التشكيك في نية المحاور** وعن شخصنة الموضوع.
- **تجنب الانشغال عن المحاور** بأي مؤثر خارجي كتلقي مكالمة أو محادثة طرف آخر، لأن ذلك كفيل بأن يصل بالحوار إلى طريق مسدود.

الحوار الناجح صناعة

من مسار ورشة العمل هذه بما تضمنته محاضرة المدرِّب والتمارين وما تداوله المشاركون من أفكار، يمكننا أن نخلص إلى أن الحوار الناجح بات صناعة. وقوام هذه الصناعة هو اقتناع كل طرف بالجلوس إلى طاولة الحوار بصفته وسيلة للوصول إلى هدف مشترك بين الجميع. الأمر الذي يتطلب التغلب على معوقات قد تعترض الحوار قبل البدء به، توخياً للوصول إلى مرحلة انطلاقه. ثم تأتي مهمة الحفاظ على استمراريته حتى نهايته. الأمر الذي يفترض ضرورة استيعاب الآراء والمواقف المختلفة، لا إسكاتها عنوة. فالحوار الناجح لا يأتي بشكل مرتجل. ولا يمكن تسمية أي حوار بالناجح إلا إذا توافرت مقوماته. وباكتساب الأفراد قيماً ومفاهيم صحيحة للحوار الناجح يمكن الحديث عن تحسن المستوى العام للمجتمع وانعكاسه بشكل مباشر عليه، وتحقيق بقية الطموحات التنموية وما يتبعها وما هو مخطط له بشكل أسهل من السابق، وهو ما تفعله الدول المتقدِّمة وتحرص على تنفيذه ووضع الخطط له بواسطة مختصين بشكل يضمن أن تؤتي مفاهيم الحوار أكلها.









تبادل الكلام ... أنواع

حين يتبادل شخصان الكلام فيما بينهما، فقد يكون الكلام حديثاً عادياً. لكن في بعض الحالات يكون الحديث، أو الكلام، أو تبادل الحوار، لغرض معيَّن معروف سلفاً، قد يراوح بين عرض وجهات نظر متباينة، أو محاولة كل من فريقي الحوار إقناع الفريق الآخر بأمر ما، أو الوصول إلى حل وسط بين موقفين. وفي هذا الإطار، تدرج الأنواع التالية من تبادل الكلام:

- **المناظرة:** طرفان يعرض كل منهما وجهة نظره مع حججه في أمر ما، ويحاول إثبات صحة موقفه في هذا الأمر، وعدم صحة النظرة الأخرى.
- **التفاوض:** السعي، من خلال تبادل الحديث، والأخذ والرد، إلى إحراز تسوية بين طرفين، بعد تنازل كل منهما، أو أحدهما عن بعض آرائه، أو كلها.
- **الإقناع:** عرض أفكار على طرف آخر، لمحاولة كسب تأييده لهذه الأفكار، واصطفافه مع المحاور الآخر في موقف واحد، أو تليين موقفه من أجل شيء من التقارب.

ومن أنواع تبادل الكلام، ما يسمونه: حوار الطرشان. وغالباً ما يكون سببه، عدم أهلية المتحاورين لإجراء حوار، أو شعور أحدهما، أو كليهما، بشكوك في نيات الفريق الآخر، أو سوء التقدير، أو التعقيد الشديد في العلاقة بين الطرفين. وتؤدي كل هذه العوامل إلى:

- التمسك المطلق بالرأي الشخصي
- عدم سماع الرأي الآخر، والاكتفاء بتصنّع الاستماع
- عدم الاستعداد، منذ البداية، للأخذ والرد.





قالوا عن الورشة:

- **سعد الشهراني (موظف):** كلنا نحتاج إلى التواصل الفعّال. وأعتقد أن الحوار ثقافة راقية ومهمة للجميع. ومن الجيد إقامة مثل هذه الدورات بشكل دوري وعرض آخر المستجدات التي تثري رصيدي المعرفي والفكري عبر متخصصين، وهو الأمر الذي وفرته لنا هذه الدورة، وأدعو كل من تسنح له الفرصة لتطوير نفسه إلى المشاركة في مثل هذه الدورات المتخصصة لأنه سيلحظ أثرها عليه بمرور الوقت.

- **عبد العزيز الموسى (مهندس ميكانيكي):** جاءت دورة الحوار الناجح في وقت مناسب بالنسبة إلي. إذ أعمل دوماً على تطوير ذاتي على نحو علمي وصحيح. والدورة قدمت كثيراً من المدارك الجديدة التي تفتح لنا آفاقاً رحبة في تقبل الآخر والحوار معه بأسلوب مثالي بعيداً عن أي تعصب أو حدة في النقاش. ولأني أهتم بالتواصل مع الناس، أجد أن مثل هذه الدورات مملوءة بالإيجابيات. وهو ما لمست صداه في نفوس المشاركين جميعاً على اختلاف مشاربهم.

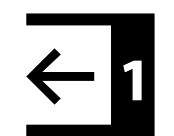
- **محمد القحطاني (فني اتصالات):** بصراحة، هذه الدورة هي الأولى لي في هذا المجال. وبعد نهايتها، يمكن القول إنني أصبت بانخراطي فيها، لأنها عرّفتني على كثير من الأمور التي كنت أجهلها. وبلا شك سأخرج الآن بفكر مختلف، وستكون الأمور أسهل من السابق، وسأكون سعيداً إذا سنحت الظروف في تكرار التجربة في دورة أخرى.

- **أحمد الحمادي (موظف علاقات عامة):** وفرت الدورة معلومات ثرية نحتاج حقيقة إلى تطبيقها في حياتنا اليومية. فهي تُبرز الحاجة إلى النظر بشكل مختلف ومنفتح على الآخر دون أحكام مسبقة. وأعتقد أن التطبيق المناسب لتعليمات الدورة سينعكس إيجاباً على كل المشاركين. وعلى الرغم من أني شاركت في كثير من الدورات إلا أنني أجد نفسي سعيداً بما اكتسبته هنا كثيراً.

- **حمود الشايجي (مهندس مساحة):** أعتقد أنني أحد أكبر المستفيدين من الدورة. فقد جاءت شاملة ومكثفة وغنية بالمحاور التي تقدم الحلول والمعارف بواسطة أخصائي متمكن مثل الدكتور البديوي. وسأعمل على تطبيق كل ما تعلمته هنا بشكل صحيح في علاقتي مع المحيطين بي سواء في بيئة العمل أو خارجه. لأني موقن بصحة كل ما تلقيته هنا فيما يخص الحوار ومهارات الاتصال.

أيهما تفضِّل السِكن قرب العمل أم بعيداً عنه؟



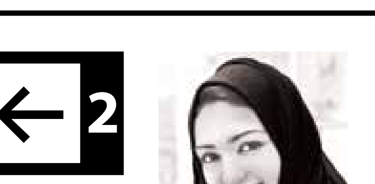


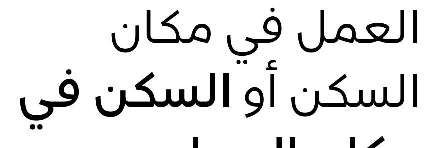
قرب العمل هرباً من فوبيا الزحام

علي عبدالواحد / مدير الإعلام في فرع هيئة السياحة بالأحساء

بالطبع أفضِّل السكن بالقرب من مقر العمل، وهذا هو الحاصل الآن في مقر عملي في الأحساء، فالمشوار لا يتجاوز ربع ساعة في أحلك الظروف.

لكن خلال السنوات العشرين الماضية كانت الرحلة الصباحية للعمل همّاً يومياً أتصبح به مع ملايين من سكان العاصمة الرياض. فالزحام المروري في الرياض «كابوس» يطارد سائقي السيارات خصوصاً في الفترة الصباحية، حيث يهبُّ طلبة المدارس والجامعات والموظفون في القطاعين العام والخاص إلى الطرق تقريباً في فترات متقاربة، فيختنق طريق الملك فهد، ويتعلَّق الجسر المُعلَّق، ويغصّ وادي حنيفة، وتتوقف الحركة غالباً عدة مرات على الطريق الدائري بسبب كثرة الحوادث. لذا كنت أحياناً أخرج «مسافراً» من المنزل في حي السويدي إلى العمل في حي السفارات.





وأنا أرى أن للاختناقات المرورية خلال رحلة العمل الصباحية علاقة وثيقة بزيادة أمراض السكري والقلب والقلق والتوتر والاكتئاب، وهذا ما يحذِّر منه بعض الأطباء هنا في بلادنا، وخصوصاً في المدن الكبرى كالعاصمة.

بصراحة أحياناً كنت أشعر أني مصاب بـ «فوبيا» الزحام المروري، فقيادة السيارة لمقر العمل في الرياض محفوفة بتلف الأعصاب وتعكر المزاج.

العمل في مكان السكن أو السكن في مكان العمل

عائشة الكاف / معلِّمة فنون تشكيلية ومصممة داخلية

أزعم أن لي تجربة خاصة في مسألة قرب أو بُعد السكن عن العمل، فقد جربت كليهما، غير أنه حين بدأت فكرة مشروعنا الخاص أنا وأختاي سلوى ومريم في مجال الديكور الداخلي والتصميم وورشة الرسم للأطفال، قررنا الاستفادة من مقر سكننا، وأن يكون مقراً للعمل والسكن في آنٍ واحد، خصوصاً الطابق السفلي الذي كان يتسعّ لتخصيصه للعمل. لقد كان قراراً صائباً حينذاك للاستفادة من المساحة والوقت والتكاليف وتحقيق الجودة في العمل.

أن يعيش المرء تفاصيل عمله في حياته اليومية بمتعة وحماسة يساهمان في التطوير والتغيير، لهو إحساس لا يعرفه إلا من يجرّبه. ومع مرور الوقت كانت للسكن في مكان العمل أو لنقل كانت للعمل في مكان السكن إيجابيات كثيرة أدّت إلى الارتقاء بالعمل للأفضل دائماً.

المهم في هذا الشأن أن زمن العمل كان يمضي دون هدر للوقت ودون التنقّل من مكان إلى آخر وتكبّد الزحمة في الطريق، والقلق من عدم الوصول في الوقت المحدَّد، لذلك كانت الصعوبات قليلة جداً، وكان الشغف والالتزام يديران العمل ويحققّان إنجازه في أفضل صورة.



بعيدة عن العمل قريبة من الحرية



زهرة مروّة / شاعرة وصحافية

أفضّل الإقامة بعيداً عن مكان العمل. أساساً أستيقظ صباحاً مجبرة على الذهاب إلى العمل، وكلما هممت بالاقتراب من مكتبي تمنيت لو أنه كان أبعد وأبعد. لماذا؟ لأنه مَنْ منَّا يرغب بتمضية سحابة طويلة من نهاره وراء المكتب أو خلف الكمبيوتر وتحت مزاج صاحب العمل. المكتب هو مثال السجن بالنسبة لي، خصوصاً إذا كنت مضطرة للبقاء فيه، ولو أنني لا أقوم بشيء محدد، بل لمجرد الدوام. العمل داخل المكتب قيد وتكبيل، بينما كل ما هو خارجه هو حرية وتحكّم بالذات والنفس وتلبية حاجاتها من الحركة والمشي والنوم والأكل والتحادث مع الآخرين ومن ثم العمل، أي إنهاء الواجب المطلوب.

أفضّل أن أسكن بعيدة عن مكان العمل؛ لأنني بذلك أشعر أن الوقت الذي يفصلني للوصول من بيتي إلى المكتب هو وقت كله ملكي وأستنشقه عن آخره.



علي فايع / كاتب قصة وناقد أدبي

أفضّل السكن قرب مكان العمل لأسباب كثيرة، من أهمها أنّ القرب يمنح الموظف الاستقرار الكافي، ويدفعه إلى الانضباط في العمل وتجاوز كلّ الصعوبات التي قد تعترضه في طريقه إلى مكتبه. كما أنّ القرب من مكان العمل يدفع إلى أن يحصر الموظف تفكيره واهتمامه بعمله أكثر من التشتت الذي يحدث عادة بين الطريق والبيت، ومردّه إلى التفكير في تفاصيل الحياة المختلفة.

من خلال التجربة وجدت أنّ هناك فرقاً كبيراً بين أن أكون قريباً من مقرّ عملي وأن أكون بعيداً عنه. والحسنات في القرب تفوق كثيراً السيئات التي ربما تكون وأنت قريب من مقرّ عملك. بالتجربة أيضاً، وجدت أنّ أحد أسباب التأخير والتسيّب والانقطاع المفاجئ من العمل هو السكن في مكان بعيد.

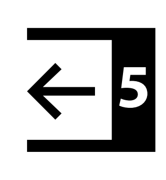
الجدية والمتابعة تعنيان الوصول **بسرعة إلى العمل**







في الوسط.. كي أستحق عدة كيلومترات **أمشيها صباحاً**



أفاميا قدّور / مترجمة مقيمة في سويسرا

أفضّل أن يكون مكان عملي بعيداً بعداً متوسطاً أو قريباً قرباً متوسطاً من البيت؛ لكي يمنحني فرصة المشي عدة كيلو مترات قبل الوصول إلى المكتب. للمشي في الصباح فوائد لا تُحصى، منها تنشيط الدورة الدمويّة في الجسم، فقدان الوزن، تسريع عمليّة وصول الأوكسجين إلى الرأس، كما يعمل المشي على تحسين الحالة المزاجيّة للإنسان، ما يَضمن بداية يومٍ نشيط وشعور بالفرح طوال النهار. طبعاً، لا ننسى أيضاً أنّ التفكير الذي يحدث في رأسنا عند انتقالنا من البيت حتى الوصول إلى العمل، سيُخفّف علينا الضغط الذي نشعر به أثناء ساعات الدوام، ويهبنا بعض الوقت لنستجمع الأفكار الإيجابيّة قبل خوض معركة النهار، كما يمنحنا وقتاً إضافيّاً نُحضّر فيه الأشياء المهمّة التي علينا القيام بها فور وصولنا إلى المكتب أو الشركة أو المحلّ أو أيّ مكان نعمل فيه.

والمشي يُوفّر علينا استخدام السيارة أو الباص، فنكون بذلك قد خفّفنا درجات بسيطة من التلوّث البيئي، وأنقذنا أنفسنا من ورطة زحمات السير الخانقة التي تؤدي إلى نوبات الغضب الصباحيّة المزعجة. كما يمكننا أن نضمن عدم تأخرنا في بلوغ مكان العمل وهو سبب إضافيّ لكي نبدأ يومنا بنشاط وفرح وهدوء وعدم انزعاج فكريّ أو جسديّ.





زوبعة في فنجان:
تأمّلات في العلاقات الإنسانية والذكاء العاطفي

تأليف: سعود بن سعد
الناشر: الآن ناشرون وموزعون (2014)

يشير عنوان هذا الكتاب إلى أن معظم المشكلات التي تواجه الإنسان في حياته يكون حلّها سهلاً لو أنّه منح نفسه فرصة للتأمّل والتفكير بهدوء وعقلانية، تماماً مثل البخار الذي يتصاعد من الفنجان ويزول بسرعة ولا يترك أثراً. وعلى الرغم من ذلك، يصرّ عديد من الناس على تضخيم الأمور الصغيرة وإعطائها حجماً أكبر بكثير مما هي عليه في الواقع، مما يتسبب في حدوث أزمات كبيرة وحادة، تبدأ بالتشابك والتضخّم حتّى يصبح حلّها بعيد المنال.

ويؤكّد الكاتب على أهمّية اتباع أساليب معيّنة يمكنها أن تحقّق التوازن الداخلي والتصالح مع الذات، والانفتاح على المحيط الخارجي عبر تحقيق القبول الاجتماعي. فيركّز على أهمّية تأسيس علاقات اجتماعية مستقرّة وحياة أسريّة تنعم بالرفاه والاستقرار بوصف الأسرة الأساس الأوّل لبناء المجتمع وتحقيق الاستقرار للفرد في حياته.

ويتطرق الكتاب إلى قيمة الذكاء العاطفي بوصفه الاستخدام الذكي للمشاعر. إذ يمكن للإنسان أن يتحكّم بعواطفه لما فيه مصلحته ومصلحة الآخرين في محيطه، فيعمل بذلك على ترشيد سلوكه ونمط تفكيره بطرق متعدّدة تجعل شخصيّته مؤثّرة وبنّاءة.

ويستعرض الكتاب جملة من الفوائد التي تتحقّق من خلال التأمّل والذكاء العاطفي، ومنها تعرّف الإنسان إلى نفسه ودواخله، وتلمّس مواقع الضعف فيها لتجنّبها، ومواضع القوّة لتنميتها.

نظريات الفن

تأليف: آن كوكولان
ترجمة: د. محمد محمود
الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (2013)

يتساءل آن كوكولان في كتابه «نظريات الفن» عما إذا كان باستطاعة الإنسان أن يقف لامبالياً إزاء أي أثر فني حقيقي. وأنّ أولئك الذين يظنون أنّه يكفي استيحاء الأثر الفني أو استلهامه، هم بحاجة أحياناً إلى معرفة مبادئه وأصوله وقواعده معاً، على نحو يغذّي قدرتهم على الاستلهام والاستيحاء.

ولأن الفنون، والنظريات الفنية المتصلة بها وسبل تذوقها ترتبط في الأساس بالتربية الفنية داخل المؤسسات الإعلامية المختلفة، بالإضافة إلى الثقافة المكتسبة من الأطر الأسرية والعائلية والاجتماعية وهذا كله، حسب الكاتب، منقطع الصلة، لذلك هناك حاجة أساسية للتعرّف على النظريات الفنية المختلفة. فهو يتناول، نظريات التأسيس فيعرض للنظريات الحاضنة مع أفلاطون وهيغل وأساتذة المدرسة الرومنطيقية كهالة عظيمة أحاطت بالفن، وكذلك مع نيتشه وشوبنهاور اللذين وجدا في الفن حياة عظمى، ويقول إنّ هذه المؤسسات الحاضنة ترسم مجموعة محدّدة يحقق فيها الفن ذاته ولا وجود له خارجها.

وفي القسم الثاني من بحثه يدرس آن كوكولان النظريات المواكبة للفن. وذلك من خلال التنظيرات الثانوية عبر المحورين الأساسيين: المحور الهيرومينوطيقي التأويلي، والمحور العلامي/ السينمائي.

أمّا في القسم الأخير من كتابه فهو يتحدث عن التنظير العملي أو النقد الفني، وعمل المؤرخين الفنيين والسينمائيين الذين يعدّون الفن نشاطاً إجمالياً كاملاً متكاملاً.

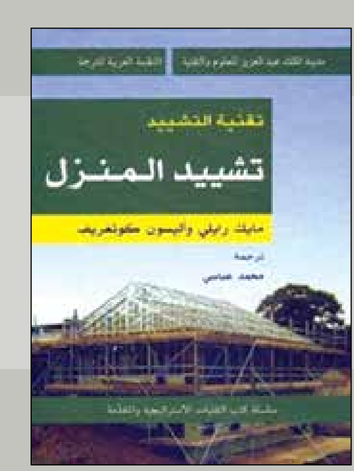


حاضر اللغة العربية

تأليف: الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري
الناشر: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (2014)

يقول المؤلف في مقدّمة كتابه: «لقد علّمنا تاريخ الأمم والشعوب الثقافي والحضاري، أن في ازدهار اللغة ازدهاراً للحياة العقلية والثقافية، وتقدّماً في مضمار العلوم والفنون والآداب، وأنّ في قوة اللغة قوة للأمة الناطقة بها، وإنّ اللغة تكتسب قوتها من إبداع أهلها بها، ومن تفوقهم في هذا الإبداع الذي يشمل نواحي الحياة العامة، وعكس ذلك يكون ضعف اللغة ضعفاً للأمة الناطقة بها ويسري هذا الضعف على مفاصل المجتمع كله، وإلى مرافق الحياة جميعها فيكون التراجع الذي قد يؤدي إلى العجز الثقافي والحضاري وجمود الحياة، ولقد جرى ذلك على اللغة العربية».

وبعد التراجع والضعف الذي شهدته اللغة العربية يقدّم هذا الكتاب القيّم حلولاً لمشكلات عويصة تعانيها لغة الضاد في هذه الفترة المتأخرة من تاريخ العالم العربي والأمة الإسلامية. يتضمن الكتاب كثيراً من الآراء العلمية والطروحات الثقافية العالية التي تمثّل روح المسؤولية لدى العلماء والأدباء الذين طرحوا هذه الحلول العملية.



تشييد المنازل

تأليف: مايك رايلي وليون كوتغريف
ترجمة: محمد عباس
الناشر: المنظمة العربية للترجمة (2014)

يوفِّر كتاب «تشييد المنزل» تقدماً منطقياً وتطوّراً في المعرفة من المبادئ الأولى لتقنية التشييد إلى المفاهيم الأكثر تقدّماً. ويقدّم مقاربة واقعية مختلفة لموضوع تقنية تشييد المنزل فيوفِّر مرجعاً تعليمياً لطلاب التشييد والمواضيع المتعلقة بالممتلكات وقوانين البناء وتشريعات أخرى. وهو يغني عن كتب كثيرة في مجاله ويشكّل وسيلة للتعلّم المستمر.
يعود أصل المسكن إلى الكهف أولاً، ثمّ إلى أبسط شكل للمبنى أنشأه الناس لحمايتهم من الظروف البيئية القاسية. ووظيفة المساكن التي أصبحت الآن أكثر تطوّراً جوهرياً ما زالت كما كانت وقتئذٍ، وإنما مع تطوّر المباني، أصبح دور خدمات المبنى مثل التحكم بالحرارة والإضاءة والتهوية أكثر أهمية.
سعى الناس عبر العصور إلى تعديل البيئة التي يعيشون فيها والتحكم بها... ومع تطوّر الحضارة أصبحت طبيعة المأوى أكثر تشذيباً وتعقيداً، مع أخذ الطبيعة الجغرافية ونوعية التربة ومواد البناء المتوافرة والمناخ في الحسبان، لذلك تطوّرت في المناطق أنماط مبانٍ مميزة، وتمّ تكييف صيغة البناء لتلبي المتطلبات الوظيفية باستخدام المواد والتقنيات المتاحة. ولما تطوّرت عمليات نقل مواد البناء عبر المسافات الطويلة تراجع البنيان في المناطق وصار ممكناً استخدام مواد من مناطق واسعة في المباني الحديثة لتلبي المتطلبات الوظيفية بأفضل طريقة فاعلة وتكاليف قليلة.

هكذا تكلمت الأغاني

تأليف: د. نجوى قصاب حسن
الناشر: دبي للثقافة (2014)

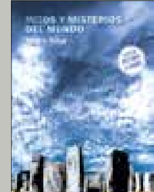
يُعد هذا الكتاب من الأعمال النادرة على المستوى العربي والرائدة في مجال البحث حول موضوع الأغنية ودلالاتها.
تقدِّم الباحثة نجوى قصاب حسن دراسة وصفية تحليلية نقدية لمضامين كلمات الأغاني التي انتشرت خلال نحو 100 سنة، وشكّلت في مجموعها إطاراً فكرياً ثقافياً ومنحى جديداً لمسار التأليف ولأشعار الأغاني وأدبياتها التي يتجدّد حضورها وتتكرر ملامحها عبر العقود المتتالية إلى وقتنا الحاضر، من خلال جمع 2800 أغنية وقراءتها. والأغاني اختارتها حسن بدقة من ست دول عربية هي سوريا ولبنان والعراق ومصر وفلسطين والأردن، وهي في مجملها أغنيات دارجة وشائعة من تلك الدول منذ بداية القرن العشرين وحتى عام 2012.
تقول حسن: «كون الأغاني هي الحامل الحقيقي للمشاعر والمتنفس المعبّر عن لواعج النفس، فإنها تحرّر مكنونات العواطف وتختصر ألوان طيفها لتشكِّل سجالاً حافلاً بتفاصيل الحالة العاطفية، ثمّ تطلقها بعد ذلك في الأثير، كي تكون نفحات جمال وإبداعات تتلقاها الآذان والقلوب وتتبناها وتردّدها وتعيش معانيها على مدى السنين. تمّ تصنيف المشاعر التي تمّ التعبير عنها في أغاني العينة المدروسة وبيان تكرارها لتكون مؤشرات دالة على صور الحُب وحالاته المعيشة، كما تمّ التوسّع في توصيف عالم الحُب والتعريف به وبأحواله وبما كتب عنه في التراث والشعر والإنتاج الأدبي والفكري كمدخل أو خلفية ثقافية مهّدت لقراءة محتوى الأغاني من منظار تاريخي وسوسيولوجي».
تؤمن قصاب بأنّ المعرفة هي في ذاتها الغاية الأسمى والثروة الأغلى لكلّ باحث وفنان يسعى إلى الإسهام في بناء مجتمع عربي أرقى وأكثر تحرّراً واستنارة.



تماس- حياة أخرى

تاليف: سمير عبد الفتاح
الناشر: مركز عبادي للدراسات والنشر (2014)

رواية «تماس-حياة أخرى» من تأليف الروائي اليمني سمير عبدالفتاح وهي ذات طابع فلسفي تقع في 200 صفحة، وتناقش علاقة الفرد بالجماعة وتثير موضوع عبثية الحياة والموت. تجري أحداث الرواية في غالب أجزائها عند ساحل البحر، إذ يجتمع ثلاثة أصدقاء قادمين من المدينة في كوخ صديقهم «أمين» الذي يأخذهم في رحلات ليلية في قاربه. يشتري أحدهم، وهو الطبيب، قارباً آخر ويقترح القيام بلعبة حيث يتم ثقب أحد القاربين، وعن طريق القرعة، تنقسم المجموعة إلى اثنين في كل قارب، ثم يبحرون ليلاً، والقارب الذي يعود -السليم- هو الخاسر.
ومن خلال تلك القصة حاول عبدالفتاح الإبحار في أعماق النفس البشرية والكشف عن الخبايا البالغة التعقيد التي تشكِّل شخصية الإنسان وسلوكه وأفكاره وطريقته في الحياة. وتترك هذه الرواية قارئها مثقلاً بحمولتها النفسية المنذرة بالخطر وتفتح عينيه على الحياة الأخرى التي يكتبها في أعماقه ولا يسمح لها أن تظهر في وعيه، ويكافح بشدة ليمنع أي «تماس» بين هاتين الحياتين.





أسرار العالم
تأليف: بيدرو سيلفا

Mitos Y Misterios Del Mundo
تأليف: بيدرو سيلفا
الناشر: Ediciones Carono Borealis (فبراير 2014)

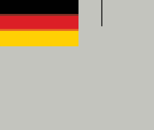
بعد سنوات من محاولة استكشاف ما يسمّى بالألغاز التي حيّرت العالم، قرر الكاتب بيدرو سيلفا، وهو مؤرخ وعالِم اجتماع، أن يختار عشرة منها وهي التي أكثر ما أثارت الفضول والحيرة حولها. ورمت الأبحاث التي قام بها إلى تقديم الأجوبة على قضايا غامضة مثل نشوء حضارة مصر القديمة وحضارة المايا والأزتيك وحضارة الإنكا. وحاول معرفة خبايا هذه الحضارات وأسرارها والغوص لاستكشاف الأشخاص الذين بنوها وكيفية بنائها. حتى إنّه راح أبعد من ذلك ليظهر مفهوم الجنة والحياة بعد الموت في مجموعة كبيرة من الحضارات. كذلك قدّم تحليلاً للمجتمعات السرية المغلقة التي يصعب الدخول إليها، هذا بالإضافة إلى معرفة الأسرار وراء اختفاء شخصيات مهمة في العالم مثل لغز موت الأميرة ديانا.

والكتاب هو مجموعة من المقالات التي جمعها الكاتب عبر السنوات وتتميّز بالدقة والوقائع التاريخية الموثّقة.









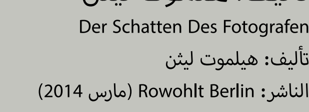
ظلّ المصوّر
تأليف: هلموت ليثن

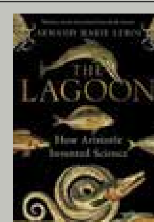
Der Schatten Des Fotografen
تأليف: هيلموت ليثن
الناشر: Rowohlt Berlin (مارس 2014)

لا شك أنّ للصور ميزة خاصة، إذ يمكنها، على سبيل المثال، إعادة أشخاص أو أمكنة معيّنة إلى الذاكرة بطريقة ساحرة. ولكن يمكنها أيضاً أن تصوّر فظائع الحرب بطريقة واضحة إلى درجة قد تكون مؤلمة للغاية. وإنما ما هو الأمر الذي يعطي الصور هذه القوة العاطفية؟ وكم هي درجة الحقيقة التي تظهرها فعلاً؟

انطلق هلموت ليثن في رحلة ساحرة في عالم الفن ووسائل الإعلام في القرن العشرين، وباستخدام الصور التي التقطها المصوّر روبرت كابا لإنزال النورماندي، على سبيل المثال، استكشف كيف يمكن للصور أن تصبح وثائق تاريخية. كذلك تطرق ليثن في كتابه إلى الفن التمثيلي والفن التشكيلي وتفحص صوراً تصوّر المثالية ولكنه رفض كشف الحقيقة وراءها لأنه أراد أن يبقى وفياً لاعتقاد مهم جداً في حياته وهو سحر الصورة وجمالها. "ظل المصوّر" هو كتاب شخصي ومؤثر يعلمنا كيف نرى هذا العصر المذهل من الناحية البصرية.









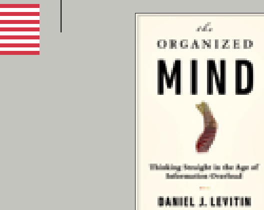
البحيرة: كيف اخترع أرسطو العلوم
تأليف: أرمان ماري ليروا

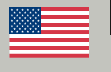
The Lagoon: How Aristotle Invented Science by Armand Marie Leroi
الناشر: Viking Adult (2014)

تسيطر كتابات أرسطو الفلسفية على تاريخ الحضارة العالمية، ولكنّ المادة التي كانت أقرب إلى قلبه هي مادة العلوم. لقد كتب مجلدات كبيرة عن الحيوانات فوصفها وصنّفها، وحدّد أمكنة وطرق عيش كلّ فصيلة منها وكيفية نموها وتطوّرها. وبذلك أسس أرسطو نوعاً من العلوم أو حتى إنه يمكن القول إنه أسس العلوم بحدّ ذاتها.

في كتابه «البحيرة» يعيد عالم الأحياء الشهير أرمان ليروا استكشاف الكتب العلمية التي تركها أرسطو. ولذلك سافر إلى الأمكنة التي كتب فيها مجلداته.فزار جزيرة يسبوس في بحر إيجه لمشاهدة المخلوقات التي وصفها أرسطو. وهناك راح يتعمق بملاحظاته وأفكاره، والأمور التي أصاب فيها بالإضافة إلى ما أخطأ فيها.

ويظهر ليروا بذلك كيف أن العلوم عند أرسطو مترابطة بعمق مع نظرياته الفلسفية وكيف أنّه كان أعظم عالم أحياء على الإطلاق. كتاب البحيرة هو كتاب أسفار ودراسة في أصل العلوم، في الوقت نفسه، يؤكد أنّه ما زال للفيلسوف الذي عاش منذ أكثر من ألفي عام، الكثير لنتعلم منه.





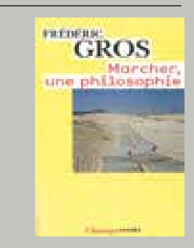
العقل المنظّم: التفكير السلبي في عصر الفيض في المعلومات
تأليف :دانيال ليفيتين

The Organized Mind: Thinking Straight in the Age of Information Overload
الناشر: Dutton Adult (أغسطس 2014)

لا شك في أن عصرنا الحاضر يُغرق عقولنا بكمية غير مسبوقة من المعلومات، وقد أدّى ذلك إلى ضرورة اتخاذنا مجموعة أكبر من القرارات وبطريقة أسرع. لذلك يشعر عديد من الأشخاص بضغوط كبيرة تدفعهم إلى قلة التركيز وإغفال كثير من الأمور المهمة.

ولكن هناك بعض الأشخاص الذين نجحوا بإدارة تدفق المعلومات هذا بطريقة صحيحة ومنظّمة. في كتابه «العقل المنظّم»، يعمد عالِم الأعصاب، دانيال ليفيتين، إلى استخدام عِلم الأعصاب ليظهر كيف برع هؤلاء الأشخاص بتنظيم عقولهم، وكيف يمكن للآخرين الاستفادة من الأساليب التي اتبعوها للتحكّم بفيض المعلومات الذي يشوش حياتهم.

يظهر ليفيتين، من خلال عدة فصول تتناول أموراً مختلفة من تنظيم خزائن المطبخ إلى مكان العمل إلى غرف النوم وغيرها، كيف يمكن تطبيق الأبحاث الجديدة في عِلم الأعصاب الإدراكي المتعلقة بالانتباه والذاكرة على تحدّيات حياتنا اليومية. ومثلما أظهر كتاب ليفيتين السابق «هذا هو عقلك في الموسيقى»، كيف نتقن عزف الموسيقى والاستماع إليها من خلال معرفة طريقة عمل الدماغ، أظهر كتاب «العقل المنظَّم» كيف نخترق بحر المعلومات المتدفق في القرن الواحد والعشرين من خلال منظور عِلم الأعصاب نفسه.



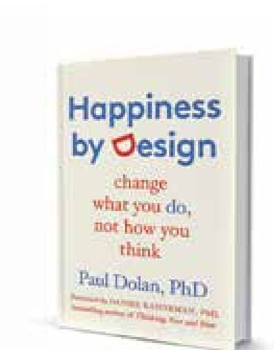
فلسفة المشي
تأليف فريدريك غرو
Marcher, une philosophie
by Frédéric Gros
الناشر: Parution (مايو 2009)

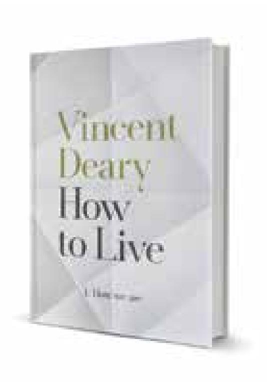
في كتاب «فلسفة المشي» الذي أصبح من أكثر الكتب مبيعاً في فرنسا، رسم المفكر الريادي فريدريك غرو الطرق المتعدّدة التي يمكن أن تأخذنا من مكان إلى آخر والأهداف المتعدّدة لهذه الطرق مثل النزهات الطبيعية والرحلات إلى الأماكن المقدسة والمسيرات الاحتجاجية وغيرها، وكشف ما يمكن أن يقوله كلّ منها عن شخصيتنا.
يقول غرو إن المشي ليس نوعاً من أنواع الرياضة؛ لأنّ الرياضة انضباط وفيها كثير من الجهد والمثابرة، لذلك فهي مجرّد أداء. ولكنّ المشي «هو أفضل طريقة موجودة للانتقال ببطء وتأنٍّ».

وهو يتحدث عن المشي، الوسيلة الأكثر بدائية للتنقل، ويرفعه إلى مكانه الطبيعي في كونه مصدر إلهام ومحفزاً لمشاعر الانطلاق والحرية وراحة النفس.
يتطرق كتاب «فلسفة المشي» إلى مفكرين كبار مارسوا المشي تقليداً أساسياً في حياتهم.كان المفكر الفرنسي روسو يمشي من أجل التحليق بأفكاره، وكان الفيلسوف الألماني كانت يمشي للهروب من أفكاره، أما المفكر الأمريكي ثورو فكان يمشي للتأمل في الطبيعة، بينما كان الفيلسوف الألماني نيتشه يمشي من أجل تحقيق صفاء الذهن وهو الذي أكّد على «أنّها فقط الأفكار الآتية إلينا أثناء المشي التي لها أية قيمة على الإطلاق».

بين كتابين

كيف نعيش سعداء؟





(1) كتاب: السعادة حسب التصميم: إيجاد المتعة والهدف في حياتنا اليومية / تأليف: بول دولن/ Happiness by Design: Finding Pleasure and Purpose in Everyday Life by Paul Dolan / الناشر: Hudson Street Press (أغسطس 2014)
(2) كتاب: كيف نعيش / تأليف: فينسنت ديري / How to Live by Vincent Deary / الناشر: Allen Lane (أغسطس 2014)

تناول كتابان صدرا حديثاً موضوع السعادة وكيفية تحقيقها والعوائق التي تقف حائلاً دونها. يتناول كتاب «السعادة حسب التصميم» لمؤلفه بول دولن، وهو أستاذ الاقتصاد في كلية لندن للاقتصاد، موضوع السعادة من ناحيته العلمية.
يقول دولن إنّ موضوع السعادة مملوء بالتناقضات الغريبة، فمن جهة يؤكّد الأهل أنّ الأبوة تجعلهم أكثر سعادة وتضيف معنىً لحياتهم، لكنهم، من جهة أخرى، في واقع الأمر، ليسوا أسعد ممن لا أطفال لهم. ويعتقد البعض بأن المال يؤدي إلى السعادة ولكنّ الأمر ليس كذلك في كثير من الأحيان.
بالنسبة لدولن، تكمن المشكلة في ذلك بأن علماء النفس يحاولون معرفة أي نوع من «المدخلات»، إن كان المدخول المادي أو العمل أو الوضع الاجتماعي أو درجة الإيمان إلى آخره، له علاقة بـ «المنتج» الذي هو السعادة. ولكن، في الواقع، تعتمد السعادة على طريقة توزيع الاهتمام على هذه الأمور المختلفة. وتوزيع الاهتمام، حسب دولن، هو «بمنزلة عملية إنتاجية تحوِّل المحفّزات الخارجية إلى سعادة».

والاهتمام مورد نادر، ومن خصائصه أنّه إذا ما أعطي إلى شيء معيَّن لا يمكن إعطاؤه إلى شيء آخر في الوقت نفسه، وإذا كان هناك نقص في الشعور بالسعادة فلا بدّ من أن يكون هناك سوء توزيع للموارد، لذلك من الضرورة إعادة تصميم البنية الفكرية لكي تنتج مستوى أكبر من السعادة.
قد يعتقد البعض أنّ دولن تعامل مع موضوع السعادة كعملية اقتصادية بحتة، ولكن لا شكّ في أنّ تحليله ذهب بعيداً في تحديد سبب تعاستنا، وكيف يمكن أن نصبح أسعد. وهو بالتحديد يفّسر كيف يمكن لعاداتنا وسلوكياتنا المتأصلة فينا، بالإضافة إلى التحيّز الفكري لدينا، أن تلحق بنا الأذى من خلال توجيه اهتمامنا إلى الأمور الخاطئة. على سبيل المثال، نحن نأكل الطعام المضرّ لأنه متوافر بسهولة أمامنا، ونقطع صلاتنا مع أصدقاء أعزاء لأن الأسهل مشاهدة التلفاز. ونحن بالإجمال نهتم بما نعتقد أنّه ممكن أن يجعلنا سعداء، حسب أحكامنا الذاتية حول الحياة المثالية، بدلاً من الاستمتاع بردود الفعل الآنية على نشاط يجلب لنا السعادة أو يشعرنا بقيمة أنفسنا.
وفي مزيج من علم النفس والتجارب الشخصية وعلم الأعصاب، ظهر كتاب "كيف نعيش" لصاحبه فنسنت ديري، ليشير إلى أن الأبحاث الحديثة أخذت تؤكد أكثر فأكثر أننا جميعاً مستعبدون لعاداتنا اليومية، نتصرف بدافع السلوكيات وردات الفعل المتأصلة فينا التي لا نملك السيطرة عليها. ولهذا الأمر وجهان، الأول، أنّه إذا لم تكن أدمغتنا مكونّة بطريقة تسمح بتحويل كمية كبيرة من التصرفات إلى أعمال رتيبة وآلية سنتوقف عن التنفس والحركة والقيادة، أو حتى عن العيش. والثاني، هو أنّ هذا الأمر ضروري ومخيف، في الوقت نفسه، إذ إنّه بسبب ذلك يصبح من السهل الغرق في وظائف وعلاقات وطرق تفكير تسهم في تعاستنا، وفي سلوك حياة لم نكن لنختارها. يعّبر عن ذلك ديري ويقول: «هناك نقبع جميعاً كمخلوقات تعمل كآلات تُحرِّك ذاتياً في عوالم تحدّد بمسارات كمسارات القطار ونسير عليها نحن دون أي مقاومة تذكر».
يضيف ديري أنّ إحساسنا بأنفسنا هو أكثر من ذلك التراكم للعادات والعلاقات والذكريات، بل نحن نعمد إلى تكوين عالمنا الخارجي وفقاً لذلك، إذ نرتب كل ما يحيط بنا من الأثاث والملفات وأجهزة الكمبيوتر... لتعكس أنماط التفكير والسلوك المحدّدة لدينا. ويصف ذلك الأمر بقوله إننا نعيش في غرف «تسكنها أشباح أنفسنا».
وتظهر المشكلة عندما نضطر إلى الانتقال إلى مرحلة جديدة، أي عندما نريد أن نبدأ أو ننهي علاقة أو أن ننتقل من مكان إلى آخر أو نغيّر وظيفة أو نتقاعد أو نواجه موت الأحباء. فالأمر ليس صعباً فقط، وإنما فيه إلغاء لجزء منا. ولكنّه أمر لا بدّ منه إذا ما أردنا تجنب «الشلل في الشخصية»، أو أن نتحول إلى مخلوقات تتقوقع داخل عازل كبير من العادات يصعب كسره.
باختصار، يؤكد الكتابان أنّ السعادة يمكن أن تكون في متناول الجميع بمجرد قليل من الإرادة التي تؤدي إلى تغيير بعض السلوكيات وتوزيع اهتماماتنا بطريقة صحيحة.

مواعيد ثقافية

تضع أجندة القافلة بين أيديكم بعض أبرز النشاطات الثقافية خليجياً وعربياً ودولياً، للفترة اللاحقة لتاريخ صدور العدد.



معرض الرسام الياباني هوكوزاي

المكان القصر الكبير، باريس
التاريخ من 22 سبتمبر 2014م حتى 13 يناير 2015م

المهرجان العالمي لمسرح الطفل

المكان ماردين، تركيا
التاريخ من 1 حتى 8 نوفمبر 2014م

التصوير الفوتوغرافي للزمن والصراعات

المكان متحف تايت، لندن
التاريخ من 26 نوفمبر 2014م حتى 15 مارس 2015م

معرض أسطنبول للكتاب

المكان أسطنبول
التاريخ من 15 حتى 23 نوفمبر 2014م

معرض بيروت الدولي للكتاب

المكان بيروت
التاريخ من 28 نوفمبر حتى 11 ديسمبر 2014م

معرض الكويت الدولي للكتاب

المكان الكويت
التاريخ من 19 حتى 29 نوفمبر 2014م

معرض الفن المعاصر في أمريكا اللاتينية

المكان نيويورك
التاريخ من 13 حتى 16 نوفمبر 2014م

معرض الشارقة الدولي للكتاب

المكان الشارقة
التاريخ من 5 حتى 16 نوفمبر 2014م

«أرت ميامي» السوق العالمي للفن المعاصر

المكان ميامي الولايات المتحدة
التاريخ من 2 حتى 7 ديسمبر 2014م

قمة أبو ظبي للإعلام 2014

المكان أبو ظبي
التاريخ من 18 حتى 20 نوفمبر 2014م

ملتقى التراث العمراني الوطني الرابع

المكان أبها
التاريخ من 1 حتى 4 ديسمبر 2014م

بينالي شنغهاي العاشر

المكان شنغهاي الصين
التاريخ من 23 نوفمبر 2014م حتى 31 مارس 2015م

منتدى الإعلام السعودي

المكان جدة
التاريخ من 25 حتى 26 نوفمبر 2014م

بينالي كوشي-موزيريس الثاني للفنون

المكان كوشي، موزيريس، الهند
التاريخ من 12 ديسمبر 2014م حتى 29 مارس 2015م

تراجع الإقبال على الكتاب

ما أن أعلنت إدارة معرض فرانكفورت الدولي للكتاب الذي أقيم خلال شهر أكتوبر عن تراجع عدد الزائرين من 276 ألف زائر إلى 270 ألفاً، حتى علا ضجيج الدوائر الثقافية الأوروبية التي صدمها الأمر وحاولت تفسيره.

فالمعرض الذي شاركت فيه 7000 جهة من 100 دولة، شهد في دورته الأخيرة تراجعاً ملحوظاً في الإقبال عليه من قبل المختصين، للسنة الثانية على التوالي. وفيما يشير البعض أن تفسير الأمر يحتاج إلى استطلاع دقيق للأسباب المحتملة، حاولت جهات أخرى حصر السبب في الضائقة الاقتصادية التي تشهدها بعض الدول الأوروبية مثل إيطاليا وإسبانيا، إضافة إلى استقرار طبيعة المعروضات مقارنة بالسنوات القليلة الماضية.

جائزة «أدبي مكة» للمسرح

اختار نادي مكة الأدبي «المسرح» ليكون موضوع جائزته الثانية للإبداع الأدبي، التي يخصّ بها الكتَّاب السعوديين.

وقال المتحدث باسم النادي إن الجائزة التي تبلغ قيمتها 100 ألف ريال، ستمنح لثلاث مسرحيات سبق أن تمت مسرحتها وكُتبت بالفصحى.

هبة فنية بقيمة مليار دولار

افتتح في متحف المتروبوليتان في نيويورك في 20 أكتوبر معرض ضمَّ 81 لوحة تبرَّع بها رجل الأعمال الأمريكي أ. لودر، صاحب الشركة المصنِّعة لأدوات التجميل «إستي لودر».

وتُعد هذه المجموعة التي يستمر عرضها حتى 16 فبراير من العام المقبل، واحدة من أهم مجموعات الفن التكعيبي في العالم. إذ تضم أعمالاً لبيكاسو وبراك وخوان غري وفرنان ليجيه، وتقدَّر قيمتها بأكثر من مليار دولار.

وقال مانح المجموعة إنه قام بخطوته سعياً إلى تطوير مجموعة الفن الحديث في متحف المتروبوليتان، وتعزيز سمعته كواحد من أكبر المتاحف في العالم.

161 فِلماً في مهرجان الجزيرة

بلغ عدد الأفلام التي شاركت في الدورة العاشرة من «مهرجان الجزيرة للأفلام التسجيلية» 161 فِلماً وثائقياً من 60 بلداً عربياً وأجنبياً.

وكان من المفترض أن يقام هذا المهرجان الذي تنظمه قناة الجزيرة في الدوحة خلال شهر أبريل الماضي، غير أنه تأجل إلى 23 أكتوبر، واستمر حتى 26 منه، دون الإعلان عن ما إذا كان الموعد الجديد سيصبح ثابتاً، أم سيعود المهرجان إلى موعده القديم.

متحف شوقي يحتفي بذكراه

احتفاءً بذكرى رحيل أمير الشعراء أحمد شوقي (في أكتوبر 1932م)، أقام متحفه في القاهرة احتفالية كبيرة تحت عنوان «علاقة شوقي بمعاصريه» تناولت العلاقة التي جمعت الشاعر إلى أعلام السياسة والثقافة من معاصريه مثل سعد زغلول وحافظ إبراهيم ومحمود مختار وتوفيق دياب.

معرض «شيرلوك هولمز»

على الرغم من أن شخصية شيرلوك هولمز لم تكن موجودة سوى في خيال صانعها ومحبيها، لا تزال الرسائل تتقاطر إلى عنوانه الوهمي في شارع بيكر في لندن. وتكريماً لشخصية هذا المحقق الشهير، يقام حالياً في العاصمة البريطانية معرض يستمر حتى أبريل من العام المقبل، ويضم مخطوطات رواياته التي كتبها آرثر كونان دويل، والملابس التي ارتداها الممثلون الذين قاموا بأداء أدواره في السينما والمسرح، وغير ذلك من الأشياء التي ارتبطت بهذه الشخصية الأدبية في الذاكرة الشعبية.

«قاموس الأدب والأدباء في المملكة»

منح نادي الرياض الأدبي جائزة «كتاب العام» في دورتها السابعة لدارة الملك عبدالعزيز، عن الكتاب الصادر عنها، «قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية» المطبوع في عام 2014/1435 في ثلاثة مجلدات، وفي نحو 1900 صفحة.

واعتبر القاموس واحداً من أهم الأعمال العلمية الشاملة، ذات المنهج الصارم والمعلومة الدقيقة. وتتخصّص الجائزة في مجالات الكتابة الإبداعية، ويمنح الفائز مبلغ (100,000) مائة ألف ريال، ودرعاً، وبراءة الجائزة.

جائزة الصحافة العربية

حددت الأمانة العامة لجائزة الصحافة العربية يوم 31 ديسمبر 2014م موعداً نهائياً لتسلّم طلبات الترشيح لجوائزها ضمن 14 فئة تغطي كافة مجالات الإبداع الصحفي.

جائزة «جيونو» للمغربي العروي

حاز الأديب المغربي فؤاد العروي على «جائزة جيونو» التي تطلق موسم الجوائز الأدبية في فرنسا كل خريف، عن روايته «محِن آخر آل سجلماسي» الصادرة عن منشورات جوليار، متفوقاً بذلك على كتَّاب مرموقين كانوا مرشحين للجائزة مثل بولين دريفوس وأدريان بوسك. ويشار إلى أن روايته هذه مرشحة أيضاً لجائزة «غونكور» المرموقة.

الكشَّاف



الفن الإسلامي في متحف المتروبوليتان

بدأ متحف «المتروبوليتان» في نيويورك بجمع التحف الفنية الإسلامية عام 1874م، عندما اشترى مجموعة من الحلي والأختام الإسلامية، أتبعها عام 1879م بمجموعة من النسيج العثماني. ولكن بعد ذلك بسنتين، تلقَّى المتحف أول مجموعة كبيرة من الفنون الإسلامية أوصى بها له أحد الهواة ويُدعى إدوارد مور. ومنذ ذلك الحين، راحت مقتنيات المتحف في هذا المجال تنمو باستمرار، عن طريق الشراء والهبات والحفريات الأثرية التي شارك فيها علماؤه في أماكن عديدة من العالم الإسلامي، وخاصة في إيران خلال العقد الرابع من القرن العشرين.

في العام 1963م، تم فصل هذه التحف الإسلامية عن باقي آثار الشرق الأدنى التي كانت تُعرض إلى جانبها، وتأسس «قسم الفن الإسلامي».

ولأن المجموعة استمرت في التضخم، أطلق المتحف في العقد الأول من القرن الحالي مشروع تأهيل جناح لعرض هذه المجموعة. وبعد ثمانية أعوام من العمل، افتتح «قسم الفنون الإسلامية» في الأول من نوفمبر 1911م، في جناح يضم 15 قاعة تحتوي على 12,582 تحفة تعود إلى ما بين القرنين السابع والتاسع عشر الميلاديين، وتشهد على إنجازات الحضارة الإسلامية من جنوب شرق آسيا وحتى المغرب مروراً بآسيا الوسطى والبلاد العربية.

قول في مقال

ألديك مهارة حرفية؟

كميل حوا

تصدر في هذه الآونة في دول كثيرة دراسات متنوّعة ومهمة تتناول أهمية التعليم المهني في تحقيق التقدّم الاجتماعي والنموّ الاقتصادي، بعدما عانى هذا النوع من التعليم من مشكلتين، أولاهما النظرة الدونية، وثانيهما غياب محاولات التجديد في أساليب التعليم وبرامجه في المعاهد المهنية.

وشاركت في تكريس هذه «المؤامرة» سياسات تعليمية وتربوية سمحت بمعادلة شهادات التعليم العالي والتعليم الجامعي من دون التعليم المهني. فبدا التعليم الجامعي أهم من التعليم المهني، وشهادات المهنيات أقل قيمة من شهادات الجامعات، فابتعد الطلاب عن مثل هذه الاختصاصات أو أبعدوهم أهلهم عنها.. ما عدا ألمانيا، ولا غرابة في أن تكون ألمانيا هي الاستثناء الكبير على مستوى العالم.

المجتمع الألماني مثالاً

إن من يطّلع على بنية المجتمع الألماني الذي حافظ على هذه الدرجة المذهلة من التقدّم الصناعي أمام جميع الدول الأخرى، لا يسعه إلَّا أن يفهم دور التعليم والتدريب المهني في هذا البنيان الصناعي والاقتصادي المتراص الذي لا يكفّ عن النموّ. فلا قيامة لكيان صناعي مبهر من غير سيادة كمّ كبير من العمال المهرة الذين تدرّبوا على ما يؤهلهم ليس فقط للقيام بالمهام الصناعية الروتينية، بل أيضاً كي يسدوا الرأي الصائب للمصمم والمهندس والصناعي.
والحقيقة أن الدراسات الجديدة تكشف أن نسبة كبيرة من الشباب في كثير من البلدان الأوروبية ممن يتلقون أو تلقّوا دراسات جامعية، يفضّلون الانضمام إلى معاهد مهنية.
تعرّض التعليم المهني لظلم كبير عبر التاريخ بسبب فكرة لا تخلو من السطحية تَعُد ما هو أكاديمي وذهني «أرقى» بالضرورة مما هو يدوي وعملي.



وتكاد هذه الفكرة / الانطباع تصبح إحدى أقدم المغالطات في تاريخ التعليم، مع ما تسببه من ضرر في عالم المهن المتقدمة القائمة على التعليم.
مما لا شك فيه أنه لا يكتمل علم إلَّا بنوعي التعليم معاً، حيث لا تقلّ المعرفة الحسية لمكونات الوجود وكيفية التعامل معها يدوياً، عن المعرفة الذهنية.
ويختلف الأفراد في تلقّيهم، فبعضهم يفهم الدنيا وشؤونها بشكل أفضل من خلال التفكير الذهني، والبعض الآخر يفهمها أكثر من خلال «العراك» مع أدواتها والاختبار اليدوي لمكوناتها. فالأول يبدأ من العقل ليصل إلى اليد في تحقيق عمله، والآخر يبدأ من اليد ليصل إلى العقل.

المهن في مجابهة الأزمة الاقتصادية

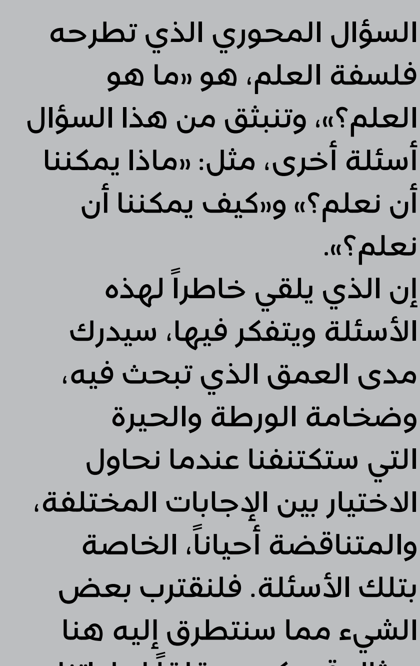
في أغلب الحالات، يحتاج أحدنا إلى الأخذ بنوعي التعليم معاً. ولا تنقص الثقافة الشخصية أو تزيد بالضرورة حسب المهنة أو التخصّص. فلا شيء يمنع معلّم البناء أو الطباعة أو الميكانيكي الماهر من أن يكون له من الثقافة وسع ما يرغب. فكم مرة سمعنا من عمّال مهرة وحرفيين ومهنيين أقوالاً ومأثورات تمثل فهماً حقيقياً للواقع ومعطياته، بينما شعرنا في حضرة أفراد يدعون الثقافة الواسعة، بأنهم لا يفقهون من الحياة وأسرارها شيئاً.
ربما تحرّر الشباب في هذه الأيام من الانطباعات القديمة. وهذا ما جعل هذه النسبة العالية منهم تتمنى لو تكمل الدراسة المهنية أو تنتسب إليها. فالمهنة الحرفية ذات ميزة تضمن عملاً بأجر جيد يسمح لصاحبها بعيش حرّ كريم، يبعد عنه شبح البطالة ويدفعه إلى التخفّف من الاتكال على أهله في مصاريف حياته.
ولا شك أن الشهادة المهنية أينما حصل عليها صاحبها أقدر على تأمين وظيفة مباشرة، وربما أكثر بكثير من شهادة نظرية. خصوصاً في ظلّ الأزمة الاقتصادية العالمية التي دفعت بعدد كبير من علماء الاقتصاد المرموقين إلى الدعوة للعودة نحو العمل باليد، أي الأجر مقابل الجهد الجسدي، بعدما سيطرت الوظائف النظرية على سوق الأعمال في العالم. والحقيقة أن توجّه كثير من البلدان إلى إعطاء التعليم المهني أهمية مضاعفة تقف وراءه رغبة بل حاجة ملحّة لمواجهة موجة البطالة المتزايدة لدى الشباب بالذات.

نظريات وحقائق

العلم ليس مجرد أرقام وتجارب، ولا هو أخبار غاصّة بالمصطلحات المعقدة التي لا تفتأ تمطرنا بها قنوات الأخبار. إن تعريف "العبارة العلمية" سيأخذنا عبر رحلة تاريخية فلسفية يستهل بها براء عرابي هذا الباب بمقالته حول فلسفة العلم.
وفي هذا العدد كذلك، سنرحل الى الماضي عبر خطّين مختلفين. يستعرض أولهما حدثاً فلكياً هائلاً وقع قبل آلاف السنين ولم نبصره إلّا الآن، ويعود بنا الثاني إلى عصر الديناصورات، ليستكشف إمكانية انبعاثها من جديد كما استشرف الخيال العلمي.
أما الدكتور محمد خلف الغامدي فسينطلق بنا في الاتجاه المعاكس، نحو المستقبل، مستكشفاً آفاق النقل اللاسلكي للطاقة الكهربائية وما سيؤدي إليه ذلك من تغيير جذري في تفاصيل الحياة المعاصرة. أما زاوية "ماذا لو" فتبقى على مسافة قريبة نسبياً من السؤال الذي طرحته في العدد السابق، لتسأل هذه المرة: ماذا لو.. توقفت الأرض عن الدوران تدريجياً وببطء؟ وتقدم لنا إجابة مختلفة تماماً عن سابقتها.

د. أشرف فقيه





السؤال المحوري الذي تطرحه فلسفة العلم، هو «ما هو العلم؟»، وتنبثق من هذا السؤال أسئلة أخرى، مثل: «ماذا يمكننا أن نعلم؟» و«كيف يمكننا أن نعلم؟».

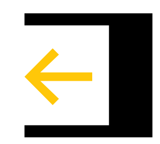
إن الذي يلقي خاطراً لهذه الأسئلة ويتفكر فيها، سيدرك مدى العمق الذي تبحث فيه، وضخامة الورطة والحيرة التي ستكتنفنا عندما نحاول الاختيار بين الإجابات المختلفة، والمتناقضة أحياناً، الخاصة بتلك الأسئلة. فلنقترب بعض الشيء مما سنتطرق إليه هنا بمثال قد يكون مقلقاً لعاداتنا الفكرية بعض الشيء.

براء عرابي

فلسفة العلم:

الأهم أن نعلم أننا لا نعلم!

تمثال لديفيد هيوم



لنقل إنك في شارع مكتظ مملوء بالمحلات والباعة وقت الظهيرة، تمشي وتتبضع لحاجيات سجلتها والدتك على قائمة فيها بعض الخضار والفواكه. توقفت عند محل يبيع فواكه تبدو طازجة وأخذت كيساً بلاستيكياً وملأته من التفاح الأحمر، وقررت أن تعيد تفاحتين أو ثلاث تفاحات من يدك إلى صندوق التفاح، لأنك رأيت فيها لوناً بنياً فشككت أن يكون علامة على سوء جودتها، وقرب انتهاء صلاحيتها.

هنا وبعد أن سردنا قصتك لصديقك الفيلسوف، أخذ يطرح عليك أسئلة ستوصلنا لفلسفة العلم، قال لك: «كيف عرفت أن لدى المحل تفاحاً؟»، «كيف عرفت أن اللون البني على التفاح دلالة على قرب تعفنها؟»، بل وقد يسأل أسئلة أعمق من ذلك: «ما الذي يجعلك تعلم أن ما حدث كان حقيقة خارجية ولم يكن حلماً أو ذاكرة مزروعة في دماغك؟».

هنا قد تعتقد أن صديقك الفيلسوف يهذي، فلا معنى لكل هذه الأسئلة! ولكن في الحقيقة، فإن محاولة الإجابة عن هذه الأسئلة وبناء النظريات الفلسفية حول هذه الإجابات هو ما صاغ شكل العلم الحديث اليوم وبنى له الأساس الصلب الذي يقوم عليه.

يظن الناس أنه من البديهي أن ما نتلقاه من خلال حواسنا عن العالم الخارجي هو حقيقة. ولكن في هذه النظرة إشكاليات وتجاوزات معرفية عديدة ليست مُلزمة منطقياً

لمَ نشُكّ؟

إن أول سؤال يخطر ببال من سمع بأسئلة فلسفة العلم هو: لمَ نشك؟ لمَ نطرح أسئلة عن صحة أشياء يستطيع أي عاقل أن يجيب عنها بشكل بديهي، وبكل ثقة؟ وكي نجيب عن هذا السؤال، لا بد أن نُبيّن أن ما يحسبه معظم الناس بديهياً، ليس كذلك على الإطلاق. يظن الناس أنه من البديهي أن ما نتلقاه من خلال حواسنا عن العالم الخارجي هو حقيقة. ولكن في هذه النظرة إشكاليات وتجاوزات معرفية عديدة ليست مُلزمة منطقياً. فالحواس خادعة، ولا يمكن الوثوق بها وثوقاً أعمى. فعندما نضع عوداً في كوب ماء نراه مكسوراً مع أنه ليس كذلك، وعندما نسير في الصحراء وقت الظهيرة يُخيل إلينا أننا نرى ماء وما هو إلا سراب، فكل هذه عبارة عن حِيل تنطلي على حواسنا الخمس.

وقد يكون المخادِع عقلُنا أو ما نسميه الحس العام. فمثلاً نجد أنّ معظمنا لا يزال يجد صعوبة في استيعاب أنّ كرتين متفاوتتي الكتلة بشكل كبير إنْ رُميتا من الارتفاع نفسه ستصلان لسطح الأرض بنفس الوقت. وحتى إن رأينا ذلك بأم أعيننا فستلازمنا لمحة من التشكيك وعدم التصديق.

كانت الفيزياء من أوائل العلوم التي أظهرت لنا أن حِسّنا العام وحواسنا الأخرى -وإن كانت أدوات مفيدة- إلا أنها غير جديرة بالثقة المطلقة. فمن دون وجود منهج يقودها ويشذب أخطاءها نكون قد أوقعنا أنفسنا في مغالطات معرفية جسيمة، فلا نصل إلى كثير من الحقائق عن عالمنا الخارجي.

مُسلَّمتا العلم الأساسيتان

كل النقاش السابق ما كان ليكون لولا مُسلّمتين فلسفيتين أساسيتين جداً لدرجة أن معظم الناس لا يلقي لهما بالاً؛ وذلك لأن هاتين المسلمتين تبدوان بديهيتين، ولكن في الفلسفة لا شيء بديهي كفاية حتى نتجاوزه دون أن نشير إليه على الأقل. فكل مُسلّمة نؤمن بها نحتاج أن نتيقّظ تجاهها حتى ندرك تبعاتها.

إن أول تلك المسلَّمتين تقتضي أن العالم الخارجي يحمل حقائق موضوعية، والثانية تنص على أن نُسلّم بأنّ العالم الخارجي يتصف بالثبات والاتساق في قوانينه الحاكمة بغض النظر عن الزمان والمكان.

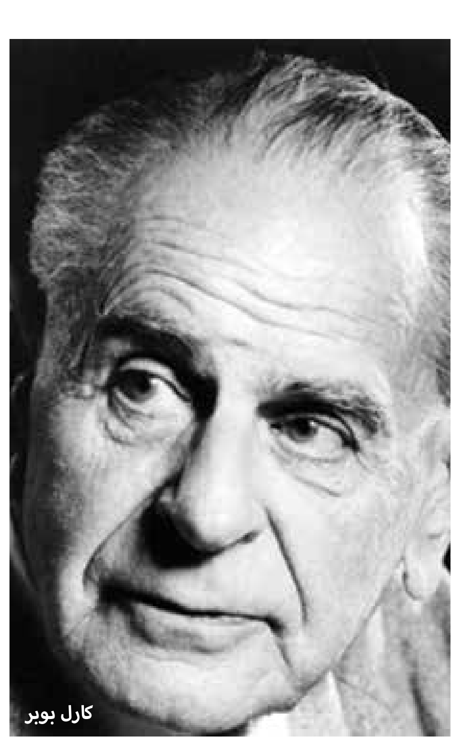
المسلَّمة الأولى تدّعي أن في العالم الخارجي أحداثاً وحقائق لها وجود موضوعي لا يعتمد علينا كمراقبين، فمثلاً نقول إن غابات البرازيل الاستوائية موجودة سواء اكتشفها البشر أم لم يكتشفوها، ولها حقيقة موضوعية لا تتغير بنظرة الإنسان لها. فهي ليست مسألة ذاتية تعتمد على مزاج فرد من الناس، كرأي أحدهم أن الشاي بسكر ألذ بكثير منه دون سكر، فهذه العبارة ليست موضوعية ولا يمكن النظر إليها وكأن لها وجوداً مستقلاً عن مزاج الشخص الذي يعتقد بها.

المسلَّمة الثانية هي أن نؤمن بأن الكون تحكمه قوانين ثابتة، وأن هذه القوانين مهما تغيَّر الزمان والمكان ستبقى ثابتة وصحيحة، فقانون أن الأجسام تنجذب إلى بعضها بمقدار قوة تتناسب طرداً مع كتلتيهما وعكساً مع المسافة بينهما هو -وفقاً لهذه المسلَّمة- قانون ثابت أينما كنا في هذا الكون ومهما مضى من زمن، فالعلم ما كان له أن يكون إلا إذا كانت القوانين التي توصلنا له ثابتة، وإلا لما وثقنا بأن أيّاً منها ستبقى حقائق غداً.

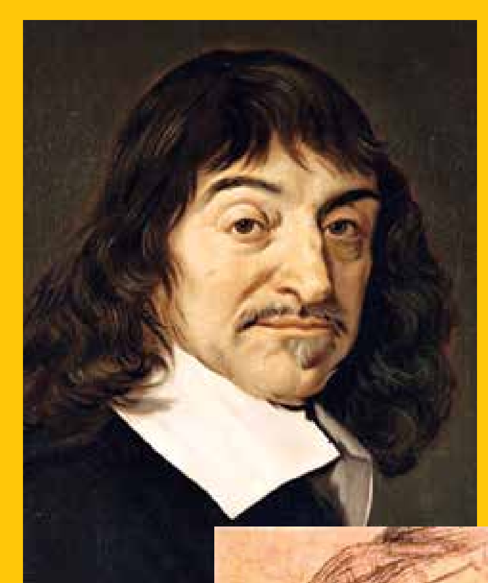
تُعدّ هاتان المسلّمتان مواقف فلسفية سابقة للعلم، ويكاد يكون من المستحيل إثباتها أو التدليل عليها، فهي نقطة ارتكاز ابتدائية وبدونها لا يمكن أن يُبنى العلم الطبيعي ولا يمكن أن نصل إلى أيّ من الحقائق عن العالم الخارجي. حتى إننا لن يسعنا الوثوق بأن أيّاً من الأشياء أو الأشخاص الذين نراهم هم موجودون حقاً، فهم قد يكونون سراباً آخر، أو نسجاً من خيالنا، وبمجرد أن نشيح بأعيننا ووعينا بعيداً عنهم فلن يصير لهم وجود أبداً!

الاستقراء كمنهج للعلم

الاستقراء هو من أقدم النظريات للوصول إلى الحقائق العلمية ومحاولة إثباتها، وتكمن فكرة الاستقراء في الوصول إلى استنتاجات عامة من حوادث منفصلة تتكرر مراراً وتكراراً، فلنأخذ مثالاً: استيقظتَ فجأة على ظهر كوكب مجهول لا تعلم عنه شيئاً. بدأتَ تلاحظ الأشياء من حولك، كانت


كارل بوبر

كان رينيه ديكارت René Descartes 1650 - 1596 من أعظم الفلاسفة الذين تبحّروا في مسألة أننا نحتاج إلى أن نسلّم بالوجود المستقل للعالم الخارجي إذا أردنا أن نصل إلى حقائق علمية موضوعية. وكانت أشهر كتاباته في هذا الموضوع مقالة بعنوان «تأملات»، حيث تكلَّم عن عدم وجود ما يمنعنا من الشك في أن العالم الخارجي هو حلم آخر نحلم به. ولكن -ولكي نتمكن من الوصول إلى حقائق في الوجود- فينبغي لنا أن نتجاوز شكنا هذا.
كان لبعض فلاسفة الحضارة الإسلامية أطروحات مشابِهة، ومن أشهرها محاجّة «الرجل الطائر» لابن سينا (980-1037) في كتاب الشفاء.


رينيه ديكارت


ابن سينا

ولكن كيف نصل إلى الحقائق العلمية؟ لقد مرت الطريقة المنهجية العلمية بمراحل عديدة وتغيرات كثيرة، فنظرة فلاسفة العلم إلى ما هو علمي وما هو لا علمي تطورت على مر العصور، وكان لهذا النقاش الذي امتد عبر قرون أثر عظيم على تقدم مسيرة العلم.

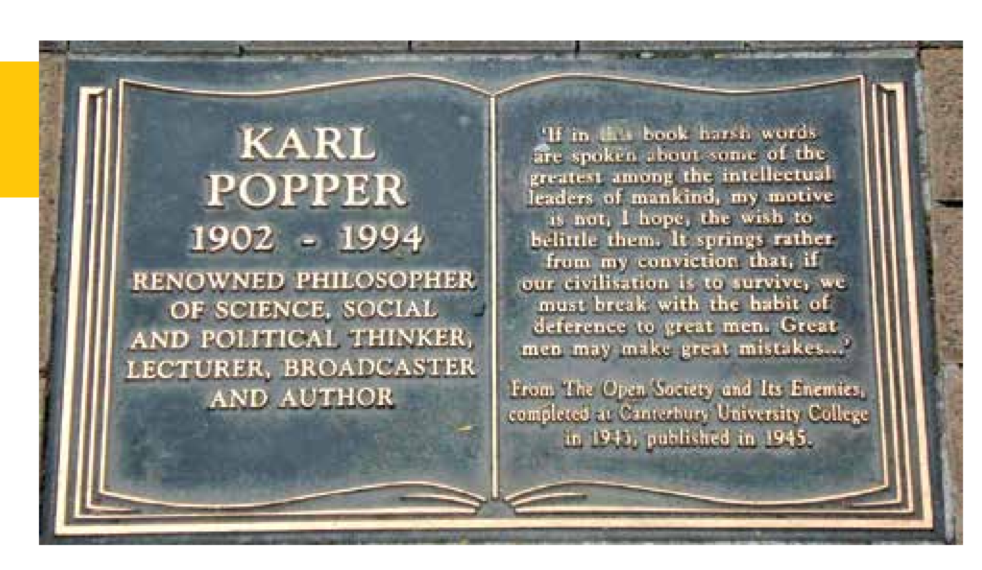
لا توجد طريقة تجعلنا نتيقن من أنّ حدثاً تكرر عشرات المرات سيتكرر من جديد، سنجد أنه ووفقاً لوجهة نظر بوبر لم تَعد لمشكلة الاستقراء علاقة إشكالية بنظرتنا للعلم

السماء مظلمة، ولم ترَ أجساماً كبيرة في السماء، ثم بدأ النور يزداد، ورأيت جسماً مستديراً يشرق من الأفق، ارتفع الجسم حتى وصل إلى منتصف السماء. وفجأة أشرق جسم مضيء آخر من نفس الموضع الذي أشرق منه الأول، بعد مدة من الزمن غَرُبَ الجسم الأول فالثاني، وعاد الظلام للسماء. تكررت الحادثة مرة واثنتين بل عشرات المرات. هنا، وبعد استقرائك لكل هذه الأحداث استنتجت قانوناً: أن في السماء جسمين مضيئين يُتمّان دورة ثابتة منتظمة. هذا الأسلوب في الوصول للقوانين الطبيعية معروف بالاستقراء، وهو منهج يتصف بأنه ينطلق من الجزئيات إلى الكليات.

ولكن في هذا المنهج العلمي إشكالية خطيرة في صلبه، وهو ما يعرف بـ «مشكلة الاستقراء»، التي كان أبرز من تحدث عنها الفيلسوف الأسكتلندي ديفيد هيوم (1711-1776). كان اعتراض هيوم متركزاً على اعتبار الاستقراء ملزماً وذا نتائج يقينية، فلو أخذنا مثالنا السابق وعرضناه على هيوم لسألك: «كم مرة تحتاج لأن ترى الجسمين يشرقان ويغربان حتى تصل إلى قانون يقول إنهما سيفعلان ذلك بشكل ثابت ومستقر؟ مرة، أم مرتين، أم عشرة؟ أم لعلك تحتاج ألف مرة؟ وما الفرق الذي ستحْدِثه المرة الأولى بعد الألف عن المرة الألف؟ وحتى بعد ألف مرة، هل ستكون تلك المرة الأولى بعد الألف الحدَّ الفاصل الذي سيجعل من المستحيل ألا يشرق الجسمان إلا وفق قانونك؟»، ببساطة لا يوجد ما يجعل ذلك مستحيلاً، وجميع ما ستتوصل إليه من قوانين استسقيتها من تكرار حدث ما تظل غير ملزمة لك منطقياً. ذلك أن كل ما يجعلك تثق أن الجسمين سيشرقان من جديد هو حالة نفسية نسميها التعوّد!

العبارات (المقولات) العلمية

ما هو الحل إذاً؟ ما هو المنهج الذي ينبغي أن نتخذه للوصول إلى النظريات العلمية؟ لنصل إلى



لوحة تذكارية نحاسية في مركز الفنون في مدينة كريستشورش في نيوزيلندة نُحت عليها أحد أقوال كارل بوبر

إجابةٍ مُرْضيةٍ علينا أولاً أن نسلك طريق سؤالٍ آخر، هل يمكننا أن نقول إن هناك عبارات علمية وأخرى لا علمية؟ وكيف لنا أن نضع تعريفاً لكل منهما؟ ربما نجد لدى الفيلسوف النمساوي-البريطاني كارل بوبر (1902-1994) إجابة مُرْضية لهذه الأسئلة، فقد استطاع بوبر أن يصوغ نظريته الخاصة في فلسفة العلم، التي حظيت بقبول واسع في الأوساط العلمية، حتى إن عدداً من فلاسفة العلم يعدونه فيلسوف العلم الأبرز في القرن العشرين.

تُركز نظرية بوبر على مشكلة فلسفية تُعنى بتعريف ما هي العبارات أو المقولات العلمية مقابل تعريف ما هي المقولات اللاعلمية، ولكن لنسرد قصة تساعدنا على فهم ما نقصد بالعبارات العلمية والعبارات اللاعلمية:

ذهبتَ ذات صباح مشمس إلى بيت أختك، فقد طلبَتْ منك -ولأنك أخوها الأصغر كان طلبها أمراً أكثر منه طلباً- أن ترعى ابنها ثامر ذا الخمس سنوات ريثما تذهب هي للسوق، جلستَ معه في غرفته ولعبتما لساعة، ثم قال لك ثامر إن لديه تنيناً صغيراً في غرفته! ابتسمتَ في سِرّك وقررتَ أنْ تُجاريه، سألته كيف عرف أن هناك تنيناً، فقال إنه رآه! فسألته عن مكان التنين حتى تراه أنت أيضاً، فقال لك إنّ التنين خفيٌّ لا يراه إلا الأطفال! فسألته إن كان صديقه ابن الجيران قد رآه، فقال لا لم يفعل؛ لأن التنين لا يُظهر نفسه إلا لثامر لأنه صديقه! هنا أُسقِط في يدك إذ لم تنجح أسئلتك كلها في دحض نظرية التنين... رغم أنك تكاد تجزم أن ثامر قد اختلق التنين من خياله؛ لكنك لم تجد طريقة لكي تدحض ادعاءه، فلا يوجد في كلامه أي تناقض منطقي، فالبناء العقلي لادِّعائه متسق داخلياً تماماً، ربما هنا عليك أن تستنجد بكارل بوبر! نعم، بالتأكيد هو ليس مربية أطفال بارعة، ولكنه فيلسوف متمرس، ونظريته في فلسفة العلم التي تفرق العبارات العلمية واللاعلمية تقدم الحل لورطتك مع ثامر.

القابلية للدحض

يرى بوبر أن العبارة العلمية هي تلك العبارة القابلة للدحض، أي إنها عبارة نستطيع أن نبني نموذجاً أو أن نصمم تجربة يمكننا من خلالها إظهار خطأ تلك العبارة، وبالتالي فإنّ العبارة العلمية عليها أن تتصف بالمجازفة والمخاطرة في ادعاء ما قد يُظهر خطأها يوماً ما. وبالمقابل؛ فإنّ العبارات اللاعلمية لها القدرة على أن تَبني حلقة منطقية مفرغة، فتجد مدعيها يتفاخر ألا أحداً يستطيع أن يُخطّئ مقولته أبداً. السبب في أنّ بوبر وصف هذا الصنف من العبارات باللاعلمية هو أنّ أي أحد -حتى ثامر ابن الخامسة- يستطيع أن يختلق ما شاء من تلك العبارات، وقد يَنتج أن بعضها متناقض مع الآخر.

وهكذا يرى بوبر أن النظرية العلمية هي النظرية القابلة للدحض عن طريق الاختبار، وكل اختبار تخضع له نظرية ما، هو ليس محاولة لإثباتها بقدر ما هو محاولة لدحضها، وكلما استطاعت نظرية معيَّنة أن تتجاوز اختباراً زادت ثقتنا بها. ولكن ذلك لا يعني أننا نستطيع أن نقول إن نظرية ما أصبحت يقينية. وهنا يظهر جلياً كم كان بوبر حريصاً على أن يوصل فكرة أننا يمكننا أن نتيقن من أن نظرية من نظرياتنا خاطئة، وليس أن نتأكد من صحتها. كان كارل بوبر من أكبر المعجبين بديفيد هيوم.

القدرة على التنبؤ

من ميزات النظرية العلمية من جانب آخر أن لها القدرة والجرأة على التنبؤ بما قد يُكتشف في المستقبل. فالنظرية العلمية تستلزم حدوث أشياء وعدم حدوث أخرى، وهذه الدعوى هي المحك التي تُمتحن فيه النظرية العلمية.

لنأخذ قوانين الجاذبية والحركة التي وضعها إسحق نيوتن مثالاً على القدرة على التنبؤ. فقد استطاع علماء الرياضيات التنبؤ بوجود كوكب نبتون قبل مشاهدته بالتلسكوب، وذلك عبر ملاحظة مسار كوكب أورانوس المجاور، الذي كان يعاني مما بدا وكأنه اختلال في مساره. وكان التفسير الوحيد لذلك وفقاً لقوانين نيوتن أنه لا بد من وجود كوكب يؤثر عليه بقوة جاذبيته. هكذا وقبل أن يُشاهد (نبتون) بسنوات، وقعت قوانين الحركة النيوتنية تحت الاختبار: هل سيُكتشف هذا الكوكب، فتصمد قوانين نيوتن أمام الاختبار؟ أم أنها ستفشل؟ وهنا نلاحظ كيف أن النظرية أمام خيارين: أن تُدحض أو ألا تُدحض، وليس أمامها خيار أن تُثبت.

مما يمتاز به هذا التعريف لما هو علمي أنه يحفز عجلة التقدم العلمي. فكارل بوبر كان حريصاً على أن ندرك جهلنا بالأمور أكثر من معرفتنا بها.

عصفوران بحجر واحد

عوداً على بدء وباستحضار «مشكلة الاستقراء» التي تحدث عنها هيوم، وكيف أنه لا توجد طريقة تجعلنا نتيقن من أنّ حدثاً تكرر عشرات المرات سيتكرر من جديد، سنجد أنه ووفقاً لوجهة نظر بوبر لم تَعد لمشكلة الاستقراء علاقة إشكالية بنظرتنا للعلم. فالعلم بعد بوبر لم يكن هدفه إثبات النظريات كيقينيات كما كان يحاول الاستقراء أن يفعل؛ بل أصبح هدفه طرح النظريات القابلة للخطأ، ومحاولة إثبات خطئها مرة بعد مرة بالتجريب، وفي كل مرة تصمد فيها النظرية يزيدنا العلم ثقة -لا يقيناً- بها.

بهذا أصبح العلم ذا لمحة تتصف بالتواضع المعرفي، العلم أصبح وسيلة لنعرف أننا لا نعرف، ولربما كان هذا أجمل ما يتسم به العلم، وأعظم ما قدمه للإنسانية: أن نكون متواضعين.



الآن، ولأول مرة على شاشات العلماء

ثقب أسود يلتهم غمامة فضائية

حدث كوني هائل وقع قبل 260 قرناً، يراقبه اليوم علماء الفضاء: الثقب الأسود الذي يتوسط مجرتنا: درب التبانة، بدأ منذ الصيف 2013م في التهام غمامة فضائية ضخمة وزنها يساوي ثلاثة أضعاف وزن الكرة الأرضية. إنه مشهد لم يَرَ مثله علماء الفضاء من قبل.

فريق القافلة



وقعت الحادثة الكونية العملاقة منذ 26000 سنة. لكننا نحن على كوكب الأرض بدأنا نرى ما حدث في الصيف الماضي فقط، ثم بدأ هذا المشهد الكوني في الاكتمال في بداية سنة 2014م. لأن الأمور تحدث في مركز مجرتنا، درب التبانة، على مسافة تبلغ 26 ألف سنة ضوئية، أي إن ما حدث آنذاك قد بدأت تصل صورته إلينا حديثاً. فما هي قصة هذا الحدث الفلكي وما مدى أهميته؟

الشمس التي تدور من حولها كرتنا الأرضية، هي واحدة من مليارات النجوم التي تقع في مجرة درب التبّانة. وفي مركز مجرتنا هذه ثمة ثقب أسود هائل الحجم اسمه: «القوس أ» (Sagittarius A)، ضبطه علماء الفضاء في الصيف الماضي، وهو يستعد لالتهام غمامة فضائية اجتذبها وأخذ في ابتلاعها. الثقوب السوداء عموماً هي ظواهر فلكية ناجمة عن انهيار كتلة إحدى الشموس بحيث يتكون مجال جذب رهيب لا يسع حتى الضوء الإفلات منه.. ومن هنا كانت التسمية.

أما ثقبنا الأسود «القوس أ» فوحش كوني مرعب في حجمه، فهو يساوي في وزنه 4,3 مليون مرة وزن الشمس. أما الغمامة التي أخذ يلتهمها فوزنها يساوي ثلاثة أضعاف وزن كرتنا الأرضية، أي 18,000 مليار مليار طن.


مرقاب كبير جداً (Very Large Telescope VLT)


الغمامة الغازية «ج 2»

يقول ستيفان غيلسن، الباحث في معهد ماكس بلانك لأبحاث الفضاء، الذي كان فريقه أول من تنبه للأمر: «إنه حدث فريد. فنحن لم نشاهد مثله من قبل على الإطلاق».

صحوة «القوس أ»

ففي نهاية سنة 2011م، استطاع عالم الفضاء غيلسن، وزملاؤه في المرصد الجنوبي الأوروبي أن يتوقعوا حدوث ما يحدث الآن، بفضل مرقاب كبير جداً (Very Large Telescope VLT). فقد لاحظوا كتلة «صغيرة» من الغازات، سموها «ج 2» وهي تتحرك على مدار يبدو متجهاً مباشرة صوب الثقب الأسود «القوس أ» في مركز مجرتنا. وشرع هذا الفريق من علماء الفضاء في إصدار إعلانات علمية في هذا الشأن منذ بداية العام 2012م، ذكروا في أحدها أن حسابهم الفضائي، يحدِّد صيف 2013م موعداً لبدء التهام «القوس أ» كتلة الغاز «ج 2». ووضعوا سيناريوهات لما يتوقعونه. بل صوروا فِلماً بالأبعاد الثلاثية، يُظهِر ما يعتقدون بأنه سيحدث، منذ بداية التهام الوحش فريسته الفضائية، حتى سنة 2020م.

وقد نفذ الفِلم عالم الفضاء كريس فراجيل، من معهد تشارلستون، مع زميله بيتر أنينوس، من مختبر لورانس ليفرمور الوطني (بجامعة كاليفورنيا). وتوقع الفِلم بداية الالتهام «في منتصف عام 2013م وبداية عام 2014م»، حين تصل الغمامة الغازية «ج 2» إلى أقرب نقطة من وحش «القوس أ»، أي على مسافة 40 مليار كيلومتر من مركز الثقب الأسود. ويقول فراجيل، إن هذه المسافة (على كبرها) كافية لبدء عملية الالتهام.

كل مليون سنة؟

هذا الحدث يُعد من أندر الحوادث الكونية؛ لأن ثقب مجرتنا الأسود «القوس أ»

ستتخذ النار الناتجة من ذلك شكلاً لولبياً. ويقول فراجيل، إن المشهد سيكون براقاً جداً بأشعة إكس. وسيتعاظم المشهد شيئاً فشيئاً مع تسارع الغازات المقتربة من الثقب الأسود..

يكاد يكون هامداً، ويعد أقل الثقوب السود المعروفة «شراهة». وقد أجاب غيلسن، حين سئل: كم يمكن أن ننتظر لنرى حدثاً كونياً مشابهاً، فقال: «لدي أرقام تراوح بين 1000 سنة ومليون سنة. والأمر المؤكد هو أن هذه هي أول مرة نشاهد فيها مثل هذه الحادثة، منذ بدء الرصد الفضائي العالي الدقة قبل 10 سنوات».

هل سيكون المشهد مخيباً للآمال التي تتوقع مشاهدة منظر فريد؟ ذلك أن المعروف أن أي مادة تقترب من ثقب أسود، وتدخل في مجال جاذبيته التي ليس بعدها من عودة، تغوص فيه وتختفي في سواده، ولا تظهر للعيان، ولا يكون من أثر إلا زيادة وزن الثقب الأسود، وهو أمر لا ترجمة بصرية له. لكن علماء الفضاء يتوقعون مشهداً لن يخيب آمالهم، مع أنه لن يكون ظاهراً للعين المجردة. فالمسافة بعيدة جداً، وشكل مجرة درب التبانة يكاد أن يكون مسطحاً، تتراكم فيه النجوم، وتكاد تخفي وسطه. وبين الثقب الأسود وبيننا غمامات كونية هائلة وكثيرة، تحجب كثيراً من الرؤية بالمراصد الفضائية.

غير أن الحدث سيكون مدهشاً مع ذلك. فقبل أن تغوص الغمامة الضخمة في فم الغول الكوني الكبير، ستُحدث ما يشبه الألعاب النارية وتضيء فضاءها المجاور. وستتخذ النار الناتجة من ذلك شكلاً لولبياً. ويقول فراجيل، إن المشهد سيكون براقاً جداً بأشعة إكس. وسيتعاظم المشهد شيئاً فشيئاً مع تسارع الغازات المقتربة من الثقب الأسود.

المراصد جاهزة

كل «العيون الفلكية» في مراصد الأرض استعدّت للحدث الكبير. ويقول خورخي كوادرا، من قسم الفلك وفيزياء الفضاء في الجامعة الكاثوليكية في تشيلي: «هذه أول مرة سيتسنى لنا فيها أن نشاهد كيف تتصرّف المادة، فيما يجتذبها مجال جاذبية ثقب أسود. ومن وجهة نظر عامة، سيكون هذا مفيداً جداً لنفهم كيف يتعاظم حجم الثقوب السود بابتلاعها المادة».

كذلك ستتيح مراقبة الحدث العظيم لعلماء الفضاء، التعرف بشكل أفضل إلى هذه المنطقة من المجرة، التي يكاد علم الفضاء لا يعرف شيئاً عنها.

وستحاول معاهد علم الفضاء من خلال هذه التجربة النادرة، الرد على عدد كبير من الأسئلة، مثل: لماذا هذا الثقب الأسود هامد لا يتسم «بالنهم» لابتلاع المواد «القريبة» منه؟ ما هي خصائصه، من كثافة ودرجة حرارة ومواد؟ وما هي النجوم التي تقع على مسافة ثابتة من الثقب «القوس أ» تكفي لتدور من حوله دون أن يبتلعها؟ مجتمع علوم الفضاء مستنفر بحماسة لمراقبة الحدث ومعرفة الأسئلة الكثيرة التي يطرحها.



متى ستفتتح الحديقة الجوراسية؟

في رواية مايكل كرايتن الشهيرة «الحديقة الجوراسية – Jurassic Park»، التي تم إنتاجها عام 1993م فِلماً سينمائياً، قام العلماء بإعادة إيقاظ الديناصورات من سباتها الطويل، الذي دام لأكثر من 65 مليون سنة، عن طريق استخراج جزيئات الحمض النووي لكائنات ديناصورية، كانت محفوظة في الدماء التي امتصتها حشرات تنتمي إلى تلك الحقبة وعثر عليها متحجّرة في أحافير الكهرمان منذ ملايين السـنين. قد تبدو هذه حبكة مقبولة لنـص رواية خيال علمي.. لكن ما مـدى مقاربتها للواقع؟

راكان المسعودي

إن الانقراض ليس بظاهرة غريبة على كوكبنا. إذ تشير التقديرات إلى أن الغالبية العظمى من الأحياء التي وُجدت على مر التاريخ قد انقرضت في النهاية ولم تستمر. بل إن آلاف الأجناس التي تشاطرنا الحياة اليوم تمثل أقل من الواحد بالمئة من تلك التي عاشت على سطح هذا الكوكب.

قد يتبادر إلى أذهاننا على الفور بعض موجات الانقراض الجماعية تلك كانقراض العصر الطباشيري-الثلاثي الذي يسمى بـ «انقراض الديناصورات»، لكن يتضح لنا في الواقع أن 95% من حالات الانقراض كان مردها فشل الكائنات في التكيّف مع التغيرات الطفيفة التي تحل ببيئاتها.

إن إعادة إحياء المنقرض هو فرع من فروع علم الأحياء. كانت نشأة هذا الفرع أمراً حتمياً بعد الأشواط التي قطعها العلماء في علوم الأحياء الجزيئية والكيمياء الحيوية والوراثة، بالإضافة إلى التطورات المتسارعة في تقنيات تسلسل الحامض النووي (DNA) والاستنساخ. كما يعد هذا المجال من أكثر المجالات البحثية المثيرة للجدل الأخلاقي كذلك.

لكن، بعيداً عن رغبتنا الجامحة وفضولنا في رؤية التيرانوصور رِكس (سحلية الرعد) الشهير بكل هيبته، هل توجد هناك أسباب أخرى تدعونا لإعادة الأنواع المنقرضة إلى الحياة؟

أحد أهم هذه الأسباب يكمن في عقدة الذنب..! فنحن كبشر كنا ولا نزال عوامل سلبية أدت إلى انقراض كم كبير من أشكال الحياة الأخرى، لأسباب مباشرة كالصيد الجائر واستغلال الموارد الطبيعية، أو لأسباب غير مباشرة كاتساع الرقعة السكنية وإدخال كائنات مجتاحة طارئة على البيئة كما حصل في الأمريكتين وأستراليا ونيوزلندا، ومؤخراً، نتيجة للاحتباس الحراري. لذلك، ومن منطلق تصالحي بحت، فنحن ملزمون بتصحيح الضرر الذي أوقعناه بها وبالنظم البيئية التي تنتمي لها. وجزء من عملية التصحيح هذه هو استعادة هذه الأنواع وإعادة إحيائها مجدداً.

الفكرة تبدو جنونية بعض الشيء، لكن إلى أي مدى يمكن لها أن تُطبق؟ وهل من الممكن أن نعيد الديناصورات من انقراضها الطويل؟ هناك ثلاث إجابات علمية لهذا السؤال.

الانتخاب الصناعي

وهو انتقاء الأصلح من الصفات من أجل الوصول إلى نتيجة معينة، كصفة إدرار الحليب وكثرة اللحم والصوف بالنسبة للماشية. هذا السلوك المتوارث منذ آلاف السنين أخرج لنا الكلاب من الذئاب، والبقر من الثيران البرية، وكثيراً من الخضراوات والفواكه.

يمكن أن نستخدم الطريقة نفسها لإحياء الأنواع المنقرضة، عن طريق انتقاء الصفات التي تمثل تلك الموجودة في الكائنات البائدة. لنقل مثلاً إننا نريد إعادة إحياء الثور البدائي المعروف بالأُرْخُص (Aurochs) المنقرض منذ ما يقارب 400 سنة. الأُرْخُص هو السلف البرّي للبقر المستأنس الذي تنحدر منه جميع الأبقار الأليفة اليوم. وبالتالي فمن المتوقع أن نصل إلى نوع شبيه بالسلف عن طريق اختيار صفات شبيهة بصفات الأُرْخُص. أي أن يتم انتقاء صفات كطول القرن، وضخامة الحجم والجمجمة من البقر المستأنس لكي يصل بنا المطاف بعد سنين إلى الأرخص أو لنوع شبيه به.

وهذا ما فعله العلماء في مشروعهم الذي بدأت بوادره في عشرينيات القرن الماضي في ألمانيا، وتكلل


الماموث

بالنجاح بعد أكثر من خمسين عاماً من العمل الدؤوب، ليعود لنا الأُرْخُص من جديد. لكن، وعلى الرغم من هذا النجاح، تبقى هناك بعض التساؤلات التي لا يمكن الإجابة عنها. ربما نجح العلماء في إعادة نوع شبيه بالأُرخص من الناحية الشكلية فقط، لكن ماذا عن النمط الجيني والسلوك؟ هل ما حصلنا عليه من الانتقاء الصناعي هو الأُرخص الذي انقرض منذ أربعة قرون؟ وكيف لهذه العملية أن تعيد لنا الديناصورات من انقراضها؟ الانتخاب الصناعي يشترط وجود سلالات منحدرة من السلف، والديناصورات بالطبع انقرضت هي وسلالاتها المباشرة. وهذا ما ينقلنا إلى الطريقة الثانية من طرق إعادة إحياء المنقرض.

الاستنساخ

وهو استخلاص المادة الوراثية من نواة خلية كائن منقرض، لنقل مثلاً مما تبقى من جلد الماموث ووبره، ومن ثم إدخالها مرة أخرى في بويضة أنثى كائن حي قريب للماموث من الناحية الجينية كالفيلة، ليخرج لنا من رحمها جنين الماموث. بهذه الطريقة تمكن العلماء في الحديقة الجوراسية من استنساخ الديناصورات من بقايا أحماضها النووية المحفوظة في أحافير الكهرمان.

بدأ مشروع الاستنساخ بداية مدوية قبل نحو عقدين مع النعجة دوللي (أول حيوان ثديي يتم استنساخه بنجاح من خلية جسمية). لكننا اليوم قد تخطينا النعجة دوللي بمراحل، وأصبحنا أفضل في عملية الاستنساخ. بل أضحى الاستنساخ في متناول اليد وبأسعار زهيدة، ليس عليك سوى إرسال الحمض النووي الخاص بحيوانك الأليف لمركز أبحاث كوري (مركز SOOAM) لينتج لك نسخاً مطابقة منه. لكن


النعجة دوللي

كالنعجة دوللي، سرعان ما تواجه الكائنات المستنسخة مشكلات صحية في حياتها تؤدي في غالبيتها إلى الموت السريع. ويصبح الاستنساخ أكثر صعوبة عندما يتعلق الأمر بالكائنات المنقرضة، لسبب مهم تغافل عنه كاتب الحديقة الجوراسية. وهو أن الحمض النووي له تاريخ انتهاء، وهو ما يعرف بمنتصف العمر. فبعد موت الكائن الحي، تبدأ الروابط الكيميائية لمكونات الحامض النووي بالتكسر بمعدل متزايد، حيث يفقد نصف مكوناته كل 521 سنة تقريباً. هذا يعني أن متوسط عمر الحمض النووي هو 6.8 مليون سنة، وهذه مدة قصيرة مقارنة بالوقت الذي مضى منذ انقرضت الديناصورات. لذلك يُعد من المستحيل الحصول على حمض نووي ديناصوري.

ونواجه المشكلة نفسها مع كائنات منقرضة مؤخراً كالماموث. فالحمض النووي الذي حصلنا عليه لم يتفكك بشكل كبير، لكنه يبقى ناقصاً، مما يجعل مهمة الاستنساخ أمراً مستحيلاً كذلك، إلا إذا استطعنا ترميم ما فقدناه من هذا الحمض. وهذا ينقلنا إلى طريقتنا الثالثة لإعادة إحياء المنقرض.

الأحياء التركيبية (الأحياء التخليقية)

أي إعادة تركيب وهندسة الحمض النووي من لبناته الأساسية. لنقل مثلاً إننا استطعنا الحصول على 80% من جينوم الحمام المهاجر المنقرض منذ أكثر من قرن، عن طريق مقارنته بجينوم أقرب كائن حي له من الناحية الجينية (في هذه الحالة الحمام ذو الذيل الريشي) نستطيع تحديد الجينات الناقصة وبالتالي صناعة ما تبقى منها مخبرياً. يتم بعدها إدخال الجينوم الجديد إلى الخط الإنتاشي (Germline) للحمام ذي الذيل الريشي (الخلايا المسؤولة عن إنتاج الحيوانات المنوية والبيوض) ليخرج الحمام المهاجر المنقرض بعد تناسل أفرادها.

من الواضح أن هذه الطريقة مختلفة عن الاستنساخ، فعلى عكس الاستنساخ الذي يحتاج إلى توفر الحمض النووي للكائن المنقرض بشكل كامل، يقوم علماء الأحياء التركيبية بهندسة الجينوم من الصفر. وهذا يفتح لنا آفاقاً واسعة لا تقتصر على بعث الأمل في قابلية إعادة الديناصورات للحياة مرة أخرى، بل قد يصل بنا المطاف إلى إحياء أنواع لم نعلم أبداً بوجودها.

لكن يبقى السؤال الأهم، كيف لنا أن نسيطر على هذه التقنية الجديدة؟

في رواية الحديقة الجوراسية خرجت الكائنات التي يُعاد إحياؤها عن السيطرة، فأصبحت خطراً يهدِّد سكان الجزيرة ويعبث بنظامها البيئي. وهذا أمر يساوي في فداحته مأساة الانقراض نفسها. فإضافة أنواع جديدة أو منقرضة إلى نظام بيئي مغلق ومستقر سيخلّ بتوازنه الطبيعي. فربما يُعد إعادة إحياء المنقرض واجباً أخلاقياً تجاه الأنواع التي كنا سبباً في انقراضها، لكنه كذلك نموذج آخر لتلاعب الإنسان في محيطه الحيوي.



في الرياضيات، يرمز الحرف الإغريقي روه (ρ) لما يعرف بالعدد أو الثابت البلاستيكي. هذه التسمية المضحكة تشير لعلاقة القربى التي تربط الثابت ρ بالثابتين فاي (ϕ)، الخاص بالنسبة الذهبية، ودلتا (δ)، الخاص بالنسبة الفضية، اللذين سبق استعراضهما هنا. لكنها علاقة وثيقة غير متكافئة، فالنسبة البلاستيكية أقل استمساكاً بمعايير الجمال الرياضي من ابنتي عمومتها. إنها بالكاد تمثل حلاً وحيداً للمعادلة:

$$x^3 = x + 1$$

أما القيمة التقريبية لهذا الثابت البلاستيكي فتساوي تقريباً: 1,3247179572 .. وهكذا إلى المالانهاية كما هو ديدن الأعداد النسبية كما بتنا نعرف.

مثلما هي النسبة الذهبية مقترنة بمتتالية معروفة في الرياضيات اسمها «متتالية فيبوناتشي»، فإن النسبة البلاستيكية مقترنة بمتتالية أقل شهرة هي متتالية «پادوفان»، التي تعرف وفق القانونين التاليين:

$P_n = P_{n-2} + P_{n-3}$ و $P_0 = P_1 = P_2 = 1$

وبالتالي فعناصرها العشرة الأولى هي:

1,1,1,2,2,3,4,5,7,9...

تنسب هذه التسمية للرياضي دوم هانز فان دير لان، الذي لم يقصد أي تقليل من قيمة الثابت ρ حين نعته «بالبلاستيكي» عام 1928م، بل أراد أن يشير إلى خصائصه المرنة والتعددية لكونه يقدم حلاً لمعادلة من الدرجة الثالثة.

تنويه واعتذار:

عنونّا هذه الزاوية خطأ في العدد الماضي بالثابت روه (ρ)، والصواب أن العنوان هو دِلتا (δ) الخاص بالنسبة الفضيّة. عليه ننوِّه ونقدِّم اعتذارنا لهذا الخطأ التحريري!



منتج

التايملاين



د. أشرف فقيه

في صالات الانتظار المكتظة حتى على طاولات الطعام التي يفترض بها أن تلم شمل الأسرة، تجد الناس منهمكين في التحديق في شاشات هواتفهم الذكية. يمارسون هذا النشاط بمنتهى السكون، لا شيء يتحرك فيهم إلا كريات أعينهم، وأصبع واحدة تمارس «التقليب».. أو «الإبحار» عبر التطبيقات الذكية التي لا حصر لها... والتي تشترك في معظمها في أنها تختزل لك العالم السايبري، كما تراه أنت، ويراه متابعوك (أصدقاؤك كما تصرّ الشبكات الاجتماعية على تسميتهم). وهذا الاختزال للعالم يتم تقديمه لك في صيغة اسمها «خط الزمن – Timeline»... وسنعتمد فيما يلي لفظة «تايملاين» إمعاناً في تسليط الضوء على القيمة الثقافية والسلوكية التي يرسخها هذا المنتج الرقمي.

إن التسمية في حد ذاتها شاملة حدّ الصفاقة، لأنها –بمزيد من التدقيق- تعطي الانطباع بأن هذا «الشيء» حصرَ ما كان وما هو كائن من معارف وعلوم وأحداث. لكن، وكما نعرف جيداً، فإن هذا الـ «خط الزمني» ليس سوى مسرد لحظي منهمك جداً في الآن وفي التو... أو في «المستقبل الفوري الحدوث» إن جاز التعبير. التايملاين ذو ذاكرة قصيرة جداً ولا يكاد يكفي لاستيعاب البرهة الحالية المثقلة بطوفان الـ «داتا» الذي ينتجه كل منها... فضلاً عن أن يكون أرشيفاً معتبراً لرحلة أيّ منا... عبر الزمن!

مع الشكر للفيس بوك

يسود اعتقاد بأن موقع فيس بوك كان له الفضل الأول في ترسيخ فكرة التايملاين وجعلها ذات شعبية كاسحة بين ما يزيد على المليار مشترك. وهذا صحيح إلى حد ما. لكن فيس بوك ليس هو أبو الفكرة ولا موجدها الأول. فالتايملاين –كمبدأ- قديم قِدَم فكرة الحاسوب الشخصي المرتبط بالشبكة. وهي فكرة سبقت حتى هذه المصطلحات وسبقت الحاسوب الإلكتروني. لكن ظهرت كتصوّر مبدئي عام 1945م قدّمه العالِم الأمريكي العظيم ڤانيڤار بوش وسمَّاه الميمكس Memex.

في ذلك الجهاز الافتراضي، تصور بوش سطح مكتب آلي يعرض لصاحبه النصوص والصور، ويتواصل مع أسطح مكاتب شبيهة -بطريقة ما- كي يتبادل الوثائق النصيّة وسواها معها. واقترح بوش في جهازه ذاك آلية عرض سردية شبيهة إلى حد بعيد بالتايملاين الذي نعرفه اليوم. طبعاً فإن الميمكس الموعود قد بات في جيب كل منا اليوم أو بين راحتيه في هيئة هاتف أو جهاز لوحي أو حاسوب محمول. أما التايملاين فتطور كثيراً منذ ذلك الحين وشهد طفرة قوية أيام المدونات. قبل أن يطوّره أصحاب مواقع التواصل الاجتماعي بدءاً من فيس بوك مروراً بتويتر والإنستاغرام وسواها من المواقع والتطبيقات التي تحتل حيزاً من حياتنا الرقمية اليوم.

خط زمني لا يعترف بالماضي

هناك دراسات عدة حول التأثير السلوكي والاجتماعي للإنترنت بصيغتها الحالية، حيث يشكل المحتوى السريع والخاطف جلّ ما يُعرض. وحيث يصل مستوى «التواصل» لمستواه الأدنى تماماً، في تعارض مدهش مع اسم «التواصل» الذي تروِّج له كثير من مواقع الموجة الجديدة من الإنترنت. نحن ننقر على زر «لايك» دون أن نقرأ فعلاً ولا نعرف. نتشارك الصور دون أن نكترث لجمالها أو محتواها الحقيقي. نمر سريعاً على ملايين وملايين البايتات من النصوص والفديوهات والروابط لمواقع لا حصر لها، بما فيها أخبار «أصدقائنا الافتراضيين» وأحداث حياتهم التي لا يفتأون يدونونها والتي قد لا تعدو كونها احتفاء أحدهم بمطعم جديد عثر عليه أو وصوله سالماً إلى مقر عمله في الصباح. كل هذه التفاصيل يزخر بها التايملاين الخاص بأي تطبيق شهير. والسؤال الكبير الذي يطرح نفسه هنا هو: ما مصير كل هذه الذكريات؟ هل التايملاين هو أرشيف لحياتنا ومن نعرف؟ أم إنه استعراض مبتذل للحظات عابرة لا تعني شيئاً لكننا مهتمون بها لأننا نحرص على أن نكون فاعلين في تلكم الحياة الرقمية.

إن التايملاين متهم دوماً بأنه حافل بالغثاء. وهذا الاتهام يسهل إعادة توجيهه للمشترك أو المستخدم لهذا المنتج، الذي يفترض به أن يختار رفاقه الرقميين على نحو يرتقي بمحتوى تايملاينه. بطبيعة الحال فالعبارة الحقيقية هي أقرب للنكتة، لأن التايملاين هو كذلك مرآة صادقة لمقدار التضارب والسذاجة والتعقيد التي تشكلها أذواق ونفسيات أية عينة عشوائية من البشر المتعايشين معاً في بيئة رقمية أو سواها... كما أن تحديد سلوك الناس، على الإنترنت بالذات، هو ضرب من المستحيل عطفاً على هامش الحرية الذي تفسحه فكرة العالم الرقمي في أساسها.

يبقى وصف التايملاين بأنه خط للحاضر وللمستقبل المباشر، وأنه مضاد جداً بطبعه لاستحضار الماضي بشكل بنّاء، وصفاً واقعياً تصدقه طبيعة تفاعل المستخدمين معه. وإذا كان معظم أولئك المستخدمين شباباً نشأوا في ظل ثقافة الإنترنت ويدينون لها بالانتماء المطلق، فسيكون من الممتع أن نراقب تطور تفاعل هؤلاء مع التايملاين، اللحظي جداً، إذ يتقدمون في السن ويكبرون. فالكبار، كما يقال، يمسون ميالين أكثر للتأمل فيما مضى، عوضاً عن مواصلة اجترار الحاضر، كما فعلوا كثيراً في ماضي أيامهم.

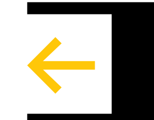
اليوم، نحصل على التيار الكهربائي اللازم لتشغيل أجهزتنا المتنوعة وشحن بطارياتها عبر شبكة معقدة لا يرى منها المستخدم العادي إلا قابساً جدارياً يتم تثبيت سلك «الفيش» فيه. خلف هذا القابس البسيط تكمن منظومة مهولة من الأسلاك والموزعات والمولدات وأبراج النقل. إلاَّ أن فكرة النقل اللاسلكي للطاقة تطمح إلى تجاوز ذلك كله، أو على الأقل تعدنا بالاستغناء عن القابس والحصول على الإمداد الكهربائي عبر الهواء... أو عبر أي سطح موصل... إنما بدون أسلاك تنتهي بفيش من أي نوع.

د. محمد خلف الغامدي

آفاق النقل اللاسلكي للطاقة الكهربائية



Corbis



البداية مع تِسلا

لا يسعنا التطرق لموضوع النقل اللاسلكي للطاقة الكهربائية دون استحضار تاريخ المخترع الأمريكي- الصربي نيكولا تِسلا (1856 - 1943م)، «أعظم مهندس كهربائي في التاريخ» كما يعدّه البعض، ونجاحه في نقل الطاقة لاسلكياً في عدة تجارب متفرقة. أولها حين نجح مع شريكه الاستراتيجي المستثمر جورج ويستنغهاوس في كسب مناقصة تزويد احتفالية الذكرى الأربعمئة لعثور كريستوفر كولومبوس على العالم الجديد في معرض World's Columbian Exposition بمدينة شيكاغو عام 1893م. في ذلك المحفل، كرر تِسلا تجربة مثيرة كان قد قام بها في معمله الخاص قبل عامين، حين أضاء مصباحي غاز مفرَّغين دون أسلاك معتمداً على الحقل المغناطيسي لتيار متردِّد (AC) ناتج من فرق جهدٍ ذي قيمة وتردد عاليين.

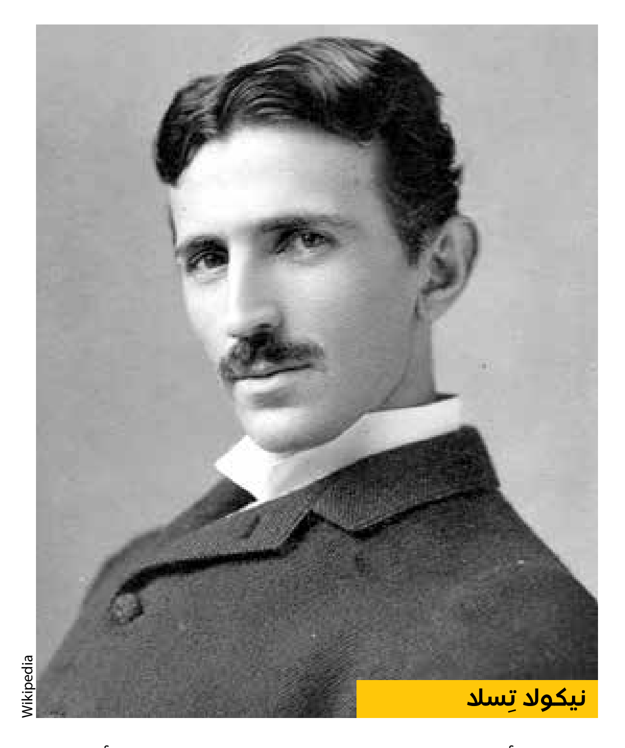
أثارت تلك التجربة الدهشة وعجز الحضور عن فهم شرح تِسلا لها. في ذلك الحين، كان تِسلا يخوض حرباً غير نزيهة مع منافسه اللدود ثوماس إديسون (1847 - 1931م) الذي سوّق بحماسة بالغة للتيار المباشر (DC) عبر الشركة التي أسسها برفقة آخرين وصار اسمها لاحقاً «جنرال إلكتريك».

خرج تِسلا من المعركة منتصراً بأن تبنَّى العالم منذ ذلك الحين التيار المتردد كوسيلة أجدى وأكفأ من التيار المباشر لنقل الكهرباء، فأدى هذا إلى خسارة «جنرال إلكتريك» عديداً من المناقصات والاستحقاقات، وصعَّد بالتالي وتيرة الحرب بين المخترعين العظيمين، إديسون وتسلا، حتى أُحرق معمل تِسلا في مدينة نيويورك. وغَمر مجهولون أجهزته ونماذج مخترعاته وأوراقه بالماء في عام 1895م.

أعاد تِسلا بناء معمله من جديد مركزاً جهوده على تطوير تقنيات الراديو مستخدماً موجات كهرومغناطيسية ذات جهد منخفض وتردد عالٍ. وفي عام 1898م، تمكن تِسلا من عرض أول جهاز يتم التحكم به من بُعد (نموذج قارب صغير). وعلى الرغم من تلك الفتوحات التقنية الباهرة، قوبل تِسلا المهاجر الصربي، بتجاهل معظم المستثمرين الأمريكيين.

لكن تِسلا لم يستسلم للإحباط طويلاً. وكان مؤمناً بأن الموجات الكهرومغناطيسية قادرة على الانتقال عبر الهواء مشكّلة مجالين، مجالاً قصير المدى وآخر طويل المدى ناقلة الطاقة بمستويات مختلفة. كانت تجارب تِسلا لنقل الطاقة الكهربائية لاسلكياً بمستويات طاقة أعلى، تحتاج إلى مساحة أكبر من معامله في شيكاغو أو نيويورك. لذا قرر الانتقال إلى مدينة كولورادو سبرينغز عام 1899م، لينشئ معملاً لتجاربه على التيارات العالية الجهد والتردد.

خرج تِسلا من المعركة منتصراً بأن تبنّى العالم منذ ذلك الحين التيار المتردد كوسيلة أجدى وأكفأ من التيار المباشر لنقل الكهرباء.



نيكولا تِسلا

Wikipedia

لم تمضِ أشهر قليلة على ذلك حتى تمكن تِسلا من إطلاق أول شحنة كهرومغناطيسية لاسلكية ناقلاً التيار الكهربائي بين نقطتين في الفراغ. تبعتها شحنات أخرى بلغ مدى أطولها 135 قدماً. بنهاية ذلك العام تمكن تِسلا من نقل 100 مليون فولت لاسلكياً مسافة 26 ميلاً واستخدمها في إضاءة 200 مصباح كهربائي ومحرك كهربائي واحد. زعم تِسلا أن كفاءة النقل تجاوزت 90%. وأنفق ما يربو على مليون دولار أمريكي -تعادل عشرين مليون دولار في عام 2014م- على تجاربه تلك التي تُوجت ببناء برج واردنكلِف (Wardenclyffe Tower) الذي كان يفترض به وفقاً لحسابات تِسلا، أن يزود مدينة نيويورك الطاقة الكهربائية لاسلكياً من جزيرة لونغ آيلاند على بعد يزيد على خمسين ميلاً.

لكن أحلام تِسلا تلك لم تبصر النور لتوقف الدعم المالي لعدة أسباب، أهمها فشله في شرح تجربته للممولين إضافة إلى محاربة توماس إديسون الذي حشد أباطرة إنتاج الكهرباء التقليدية (السلكية) إلى صفه وأقنعهم بأن تجارب تِسلا ستؤدي إلى إفلاسهم.

عاد تِسلا إلى نيويورك خائباً ومعه دفتر ملاحظات ونتائج تجارب كولورادو سبرينغز، وقد حوى أسرار نقل الطاقة الكهربائية لاسلكياً. أما المعمل الذي بُني هناك ففُكِّك عام 1904م، ودُمّر برج واردنكلِف الخاص بنقل الطاقة لاحقاً عام 1917م. أما تِسلا فتوفي عام 1943م في أحد فنادق نيويورك حيث قضى معظم حياته. والمدهش أن السويعات الأولى لوفاته شهدت تطويق قوات المباحث الاتحادية لمكان إقامته، ومصادرة كل دفاتر ملاحظاته!

عقبات أساسية

بعيداً عن نيكولا تِسلا وحياته الحافلة، ركَّز الباحثون في أواسط القرن الماضي على تطوير تقنيات تسخِّر الموجات الكهرومغناطيسية إنما لنقل «المعلومات». بالتوازي مع ذلك، دخل العالم عصر الإلكترونيات مع ابتكار الترانزيستور وتطوير الشرائح المدمجة، فيما اقتنعت الحضارة المعاصرة،كما يبدو، بأن لا سبيل

أجدى وأعلى كفاءة لنقل الطاقة الكهربائية من شبكات التوزيع السلكية التي نعرفها اليوم.

لكن الملاحظ أن معظم أجهزة الاتصالات الحديثة تعتمد على بطاريات تخزِّن الطاقة الكهربائية لتشغيلها ويُعاد شحنها دورياً. ويعتمد الزمن التشغيلي لكل جهاز على كفاءة البطارية المدمجة وبروتوكول الاتصال المستخدم. ويتسابق المصنِّعون على إطالة أعمار البطاريات ولكن ذلك مرتبط بأوزانها وعوامل عديدة أخرى تجبر مُصنّعي الأجهزة المحمولة على التأقلم مع منتجات البطاريات المتوافرة الآن، مع محاولات للالتفاف على طول المدة التشغيلية باعتماد تقنيات حصد الطاقة من مصادرها المحيطة، كالضوء والحركة. كل تلك الأساليب تظل قاصرة ولا يعتمد الباحثون عليها كلياً لرفع كفاءة البطاريات.

لنعرّف الآن الطاقة اللاسلكية، أو النقل اللاسلكي للطاقة. فالفكرة تقوم على نقل الطاقة الكهربائية من مصدر الطاقة إلى الأحمال الكهربائية (مجموعة من الأجهزة المنزلية أو الآلات الصناعية التي تتطلب جهداً معيناً) دون موصلات من صنع الإنسان، كالكوابل. يشبه هذا الوصف كثيراً ما يحدث عند نقل المعلومات عبر موجات الاتصالات. السؤال هنا، لم لا يمكن نقل الطاقة الكهربائية بسهولة كما نفعل مع موجات الاتصالات؟

في مجال الاتصالات اللاسلكية، تنقل المعلومات بواسطة موجات منخفضة الطاقة (الإشارة) ولا يتوقع المستقبِل مستويات عالية منها. تصبح نسبة الطاقة الملتقَطة حرجة إذا كانت الإشارة منخفضة جداً بحيث لا يمكن تمييزها عن الضوضاء المحيطة في الخلفية. أما في حال نقل الطاقة الكهربائية لاسلكياً، فتصبح كفاءة نقل الطاقة وجودة الاستقبال أهم، إذ إن جزءاً كبيراً من الطاقة المرسلة من محطة التوليد يجب أن يصل إلى المتلقي أو المستقبِل بما يكفي لجعل النظام ذا جدوى اقتصادية مقبولة.

هل تقدِّم اللاسلكيّة الحل؟

نستطيع القول إن عبارة «نقل الطاقة الكهربائية لاسلكياً» فيها شيء من المجاز، فالحقيقة أن العملية تشمل نقلاً لاسلكياً لصورة من صور الطاقة (طاقة كهربائية سلكية تتحوَّل إلى طاقة كهرومغناطيسية لاسلكية تتنقل في الهواء فيستقبلها مستقبِل يحولها إلى طاقة كهربائية سلكية مرة ثانية) كما سنبيِّن فيما يلي.

الوسيلة الأكثر شيوعاً لنقل الطاقة الكهربائية لاسلكياً هي الحثّ المباشر Induction بواسطة الموجات الكهرومغناطيسية الناتجة من تمرير تيار متردد عبر موصل، فيتولد مجال مغناطيسي على شكل موجات تنتقل عبر الأثير، ليستقبلها هوائي في الجهة الأخرى محولاً إياها إلى تيار متردد مرة أخرى. الموجات الكهرومغناطيسية تشكِّل حقلاً كهرومغناطيسياً تنتجه الشحنات المتحركة وينقسم الحقل المخترق للمحيط إلى حقل قريب وحقل بعيد. تعتمد أبعاد الحقلين ومقدار توزيع الطاقة خلالهما على مقدار استجابة الإلكترونات للحقل الكهربائي ودرجة استجابة الإلكترونات للحقل المغناطيسي.

هذا المبدأ هو المعتمد عموماً منذ أيام تِسلا. لكن التطورات المطّردة في تقنيات الإلكترونيات والاتصال اللاسلكي فتحت آفاقاً أوسع. فمنذ العام 1998م، شاع استخدام معرّفات الذبذبات الراديوية Radio-Frequency Identifiers اختصاراً (RFID) كابتكار


منافسة تسلا وأديسون

The Economist

ذي علاقة وطيدة بأبحاث نيكولا تِسلا ومن تبعه من العلماء في مجال الاتصالات اللاسلكية بالموجات الكهرومغناطيسية.

تتكون رقاقة الـ RFID أساساً من هوائي لاقط للموجات الكهرومغناطيسية، وشريحة ذاكرة تخزّن عليها معلومات لا تتجاوز 512 حرفاً رقمياً Bit، وكل هذه المكونات مطبوعة على رقاقة صغيرة بفضل التقدم الكبير في مجال الدوائر المتكاملة.

الأجيال الأولى من تلك الرقاقات كانت تدعى رقاقات (سلبية) لأنها لا تعمل الا بمفعّل خارجي يمدها بالطاقة اللازمة. ذلك المفعّل ما هو إلا موجات مغناطيسية صادرة من جهاز «قارئ» يطلق تردداً معيناً ذا مستوى طاقة يكفي لتشغيل المكونات الإلكترونية المطبوعة على الرقاقة الراديوية، التي بدورها ستبدأ عملية بث لاسلكي للمعلومات التي بحوزتها إلى القارئ الذي فعّلها ابتداء. هذه الشرائح نشاهدها اليوم ملصقة على أغلفة الكتب أو البضائع المعروضة للبيع لتعقبها في حال اختلاسها مثلاً.

يمكن اعتبار رقاقات RFID السلبية كأول منتج إلكتروني يعمل دون مصدر طاقة متصل معتمدة على نقل الطاقة لاسلكياً من طريق الموجات الكهرومغناطيسية. تركزت الأبحاث لاحقاً على إنتاج دوائر كهربائية تستهلك الحد المتاح من عملية حصاد الطاقة في أنظمة RFID وتطورت تلك الرقاقات لتحمل بطاريات لا متناهية في الصغر تشحن تلقائياً عند عدم عمل الرقاقة فأصبحت لدينا شرائح RFID (إيجابية) تؤدي عملها حتى مع غياب مجال مغناطيسي كافٍ. مجموعات بحثية عديدة حاولت جاهدة أن ترفع مدى وقوة المجال المغناطيسي لأنظمة RFID التي وصلت في أحسن الأحوال إلى عشرة أمتار بطاقة كهربائية محصورة لا تتجاوز 2 واط. المشكلة

حقل قريب
حقل بعيد
غير مشع (تفاعلي)
مشع (عدسة فريسنل)

الجوهرية في هذا الشكل من نقل الطاقة اللاسلكية اعتماده على ترددات عالية لنقل الطاقة تتراوح مابين 2 و10 غيغا هيرتز واقعة في مدى ما يدعى بـ «المايكرويف» وهي موجات ذات تردد تعتقد شريحة كبيرة من العلماء أنها تؤثر على الخلايا الحية سلباً مما قد يؤدي إلى نموها بنسق غير طبيعي نمواً سرطانياً.

حلم تِسلا يتجسَّد

ثمة جهود عدة لإيجاد بدائل أفضل في هذا الصدد. فمثلاً، تعاونت أقسام الفيزياء، وهندسة الكهرباء، وعلوم الحاسب، ومعهد تكنولوجيا النانو في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا MIT في مشروع بحثي كبير حظي بتمويل معتبر لتتوصل في النهاية إلى نقل طاقة بمقدار 60 واط مسافة مترين استخدمت في تشغيل مصباح كهربائي تقليدي. أهمية هذا الإنجاز هي في اعتماده على نقل الطاقة الكهربائية باستخدام مبدأ الرنين المغناطيسي بترددات منخفضة (100 كيلو هيرتز إلى 25 ميغا هيرتز) لنقل الطاقة بكفاءة



صورة لإحدى تجارب تِسلا في النقل اللاسلكي للكهرباء

Google

عالية وأمان. تعتمد هذه الطريقة على استخدام قطعة باعثة وأخرى مستقبلة لهما تردد الرنين نفسه، مما يسمح بنقل الكهرباء بينهما حتى في حال وجود حائل، شريطة أن تتمكن الموجات المرسلة من الباعث من اختراق الحائل في مبدأ مطابق تماماً لانتقال الموجات الصوتية.

تخيل، عطفاً على هذه التقنية، أن تتخلص من سلك شاحن جهازك الذكي للأبد، كل ما عليك هو أن تلقي بهاتفك على سطح لوح الشحن المتصل دائماً بالكهرباء، وقد يكون مدمجاً بسطح مكتبك أو بأية قطعة أثاث ذكية لن تتأخر عن الأسواق. فقد نال هذا المشروع اهتماماً كبيراً وتحول من مجموعة براءات اختراع وأوراق علمية إلى شركة ناشئة أطلق عليها اسم WiTricity نحتاً من كلمتي Wireless Electricity أو «كهرباء لاسلكية».

توسعت WiTricity توسعاً كبيراً في زمن قياسي وتمكنت خلال سنوات خمس من عقد شراكات مهمة تشمل ترخيص تقنياتها والسماح باستخدامها لشركات رائدة تغطي أغلب التقنيات والتطبيقات اليومية كعملاق المعالجات الحاسوبية Intel وTDK الشركة اليابانية الرائدة في الإلكترونيات الاستهلاكية، إضافة إلى مصنع السيارات «تويوتا» لأجل تطبيقات إعادة شحن بطاريات السيارات الكهربائية. وفي العام 2008م، نشأ تحالف ضخم بين المصنعين ومعامل الأبحاث في أوروبا وأمريكا وآسيا أطلق عليه اسم Wireless Power Consortium. نتج من هذا التحالف وضع معيار دولي لنقل الطاقة لاسلكياً وكأولى النتائج استناداً إلى هذا المعيار، أعلن تحالف من شركات «نوكيا» و«سانيو» و«فيليبس» و«هواوي» تدشين أول شاحن لاسلكي للهواتف الذكية، وشاحن مماثل لأجهزة التحكم الخاصة بمشغلات الألعاب الإلكترونية. وتوسع هذا التحالف في 2012م بانضمام عملاق الإلكترونيات الكوري «سامسونغ» إليه.

اليوم، تقدم شركة WiTricity حلولاً متكاملة توائم طلبات المستخدمين التشغيلية والأحمال الافتراضية لأجهزتهم الكهربائية. يتألف الحل التقني WiTricity بشكل مبسط من باعث رنين متصل بشبكة الكهرباء المحلية ومستقبلات رنين (اتصال من طريق الحقل البعيد). مستقبلات الرنين هذه مصممة خصيصاً بقدرات متفاوتة لتوائم متطلبات تشغيل الأجهزة، فهي تنقل الطاقة من طريق إعادة إرسالها إلى مستقبلات داخل الأجهزة بقدرة وتردد عاليين في مسافة قصيرة جداً.

هنا تجدر الإشارة إلى أن الترددات المستخدمة في أنظمة نقل الطاقة الحديثة ركزت على تجنب الترددات العالية التي يتنامى الاعتقاد في الأوساط الطبية أنها ترفع درجة حرارة الخلايا الحية مما يجعلها عرضة للتكاثر السرطاني.

الحلول التي تقدمها الشركات، كـ WiTricity و«نوكيا» وغيرها، تعتمد المبدأ نفسه تقريباً. فالجهاز الأساسي في نظام نقل الطاقة لاسلكياً «الباعث - مصدر الرنين المغناطيسي» يتصل بشبكة الكهرباء المحلية ليحول التيار المتردد إلى حقل مغناطيسي ذي قدرة تتواءم مع الأجهزة المراد تشغيلها. على الطرف الآخر -على سطح طاولات المطبخ أو في جدار غرفة المعيشة- يوجد جهاز آخر (مستقبل الرنين) يتألف من ملف يستجيب لاستحاثة المجال المغناطيسي منتجاً حقلاً مغناطيسياً آخر ذا قوة أعلى ينتج بدوره تياراً كهربائياً متردداً سيغذي الأجهزة المتصلة به مباشرة.

إن تيسير نقل الطاقة الكهربائية لاسلكياً لا يمثل مغامرة بحثية وتسويقية فحسب، بل إنه سيعيد رسم تفاصيل حياتنا المعاصرة على أكثر من صعيد. تخيل أن تشحن هاتفك الذكي، حاسبك المحمول، وأن يعمل التلفاز ومستقبل القنوات الفضائية والثلاجة دون أن توصل أياً منها مباشرة بمأخذ الكهرباء الجداري. تخيل أن تتخلص من كل التوصيلات والأسلاك التي طالما تعثرت بها في مكتبك أو منزلك، وألا يرتهن تصميم منزلك وتوزيعك للأجهزة الجديدة بمواقع المقابس الجدارية كما قرر المقاول أن يوزعها! وأكثر من ذلك، يسعنا أن نفكر في تأثير هذه التقنية في الأجهزة الطبية المزوَّدة بطاريات والمزروعة في أجساد المرضى، كمنظِمات دقّات القلب وغيرها، التي يضطر حاملوها إلى الخضوع لعملية جراحية قبيل انتهاء عمر البطارية -كل 7 إلى 10 سنوات-.

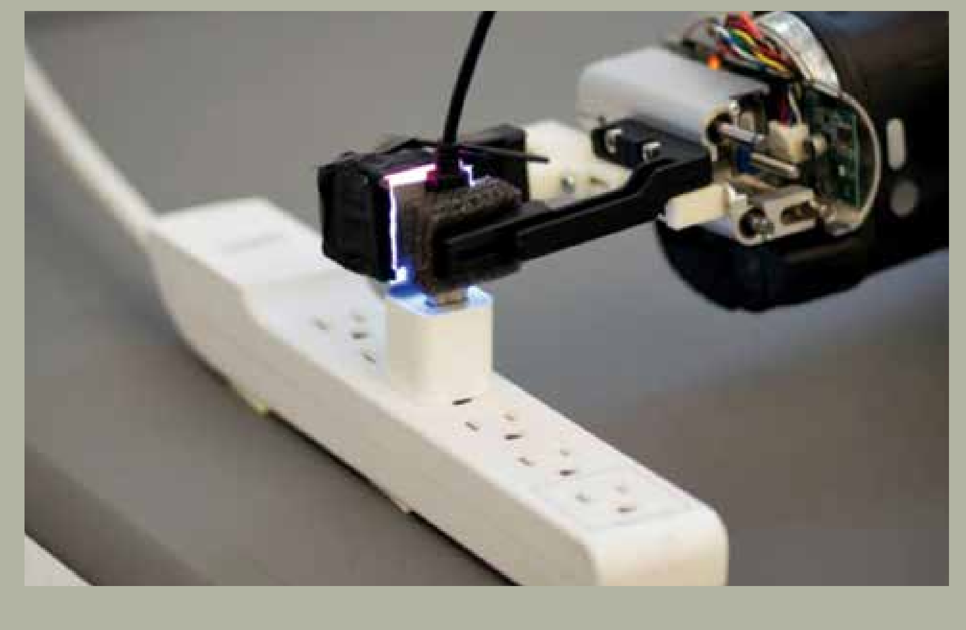
بإعادة حلم نيكولا تِسلا للحياة، يمكننا أن نتوقع التخلص من كل ما يتعلق بشبكة توزيع الكهرباء في محيط منزل أحدنا الخارجي، لا كوابل أرضية، لا محولات ضخمة، لا كوابل هوائية سميكة وبشعة كتلك التي أصبحت مكوناً أساسياً في صور ذكرياتنا وكأنها من رحم الطبيعة. لعلنا لا نزال بعيدين عن تلك الرؤية، لكن أسطورة نقل الطاقة لاسلكياً التي اختفت مع مذكرات كولورادو سبرينغز، قد بدأت في التجسُّد حقاً.


Google


Shutterstock



خطوة جديدة في تطور الروبوت



بعكس الاعتقاد الشعبي السائد، فإن إمكانات الروبوت الحالي لا تزال محدودة، خاصة إذا ما قورن بإمكانات الدماغ البشري. فالروبوت الصناعي (الذراع الآلية مثلاً) لا يمكنه للآن التمييز الدقيق بين الأشياء التي يتعامل معها إلَّا إذا كانت متموضعة تموضعاً مثالياً مسبقاً. إن أي تغيير صغير، مهما كانت مدته الزمنية قصيرة، في وضعية الشيء سيشل حركة الروبوت.

في سبيل تجاوز هذه المحدودية، توصل فريق من باحثي عدة أقسام علمية من معهد ماساتشوستس للتقنية MIT، إلى تصميم نوع جديد من مجسات الأذرع الآلية، سموه GelSight، لا يستخدم القياسات الميكانيكية لحساب القوة الميكانيكية للأشياء، بل يستخدم البصريات وحسبريات (حساب + برنامج) الكمبيوتر الرؤيوية.

وبالاستناد إلى كيفية تمييز الدماغ البشري بين المسطحات اللامعة والأخرى المدبة بالرغم من تعرضها لكمية ونوعية الضوء نفسها، يعطي إدوارد أديلسون أستاذ علم البصريات في MIT مثلاً على ذلك: تخيل كمية من الحليب مندلقة وأخرى من السكر. الروبوت الحالي لا يمكنه التمييز بينهما، بينما الدماغ يستطيع إدراك علاقة انعكاسية الضوء مع اللمعان، تعتمد على الخبرة المتكررة لرؤية هذا المشهد المخزنة في خلايانا العصبية وتستجيب بشكل مختلف للبقع الفاتحة والأخرى الداكنة.

المسألة الأساسية التي أنجزها فريق العمل هي محاكاة وظيفة الدماغ. يقول أديلسون إنه استوحى تصميمه من مراقبة الكيفية التي يستعمل بها أطفاله أنظمتهم البصرية أثناء نموهم، وارتباط ذلك بتطور استخدامهم لحاسة اللمس. تلك كانت البداية للتيقن من أن المسألة الحساسة هي معرفة كيفية تحول الإشارتين الميكانيكية واللمسية إلى إشارة بصرية.

يتألف مجس أو جهاز الاستشعار GilSight الذي هو مكعب بلاستيكي بحجم طرف الإصبع، من لوح من المطاط الصناعي الشفاف، مطلي من جانب واحد بطلاء معدني. المطاط بإمكانه التكيف مع أي شيء يلمسه. والطلاء المعدني يميز بين الخصائص الضوئية المنعكسة من مختلف المواد. كما أن جدران المكعب المحاذية لوجه المجس شفافة وكل واحدة تتأثر بلون مختلف من الضوء: الأحمر، الأخضر، الأزرق والأبيض، المنبعثة من ثنائيات كهربائية باعثة للضوء من الطرف المقابل من المكعب. عندما يتغير وجه المطاط، بملامسته الأشياء، يرتد الضوء ثانية من الطلاء المعدني فتلتقطه كاميرا مثبتة مع الثنائيات، على وجه المكعب نفسه. هكذا يصبح بالإمكان القيام بقياسات ضوئية دقيقة.

http://newsoffice.mit.edu/2014/fingertip-sensor-gives-robot-dexterity-0919

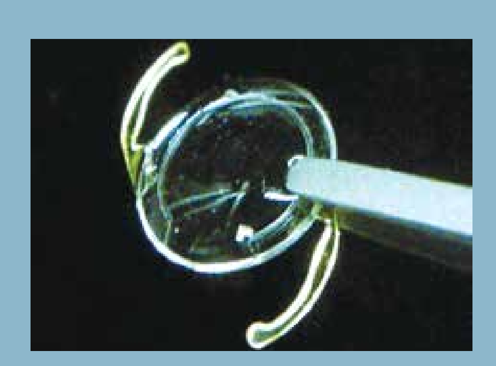
جهاز استشعار يريح مرضى المياه الزرقاء

مرض الزرق، أو المياه الزرقاء في العين (الغلوكوما)، هو ثاني أكبر مسبب للعمى في العالم. وهو يؤثر في 65 مليون إنسان. إن عوامل الخطر الرئيسة المسببة لهذا العمى هو ضغط السائل في مقلة العين. وهو يمكن أن يتراكم إلى حد إتلاف العصب البصري. ويقيس الأطباء اليوم هذا الضغط في مقلة العين بجهاز يدعى «التونومتر». كذلك يوجد جهاز إلكتروميكانيكي صغير طوّره باحثون من جامعة ميتشيغان. وشركة المعدات السويسرية «سايسماد» أيضاً تسوق لجهاز استشعار للعدسات اللاصقة. لكنها جميعاً تعتمد على مقياس لاسلكي للبيانات يتطلب هوائياً ضخماً نسبياً ومصدراً للطاقة، ونتائج الفحص ليست دوماً دقيقة.

لقياس أكثر دقة، طوَّر علماء بينهم فريق من جامعة ستانفورد جهاز استشعار جديداً يقوم على جزيئات سائلة يُرسخ داخل عدسة تزرع في العين. وهذا الجهاز هو بشكل قناة متصلة من جهة واحدة إلى سائل العين بينما الطرف الآخر متصل بخزان صغير من الغاز. عند توصيل هذه القناة إلى غرفة العين، يدفع الضغط السائل في مقلة العين إلى القناة فيؤدي إلى عصر خزان الغاز الصغير حتى يصل ضغط السائل وضغط الغاز إلى مستوى التوازن. إن أي زيادة أو نقصان في ضغط مقلة العين تدفع السائل للتحرك باتجاه خزان الغاز أو الابتعاد عنه.

والحال أن كاميرا للهاتف الذكي مجهزة بمحول بصري وبرنامج تحليل للصور يمكن استعمالها لقياس دقيق لوضع السائل. يضع المحولُ البصريُ الكاميرا أمام البؤبؤ ليخيم على العين حيث يتم تمدده، بفعل الظلام، فينكشف بذلك جهاز الاستشعار أمامه.

إن تركيبته البسيطة وسعره المنخفض يتيحان للأطباء تشخيصاً سهلاً لخطورة العمى، ويتيحان للمرضى مراقبة على مدار الساعة دون أي عناء.



بحركة بسيطة لليد يستطيع المريض الحصول على قراءة أي تغير لضغط العين بواسطة كاميرا الهاتف الذكي. ويقول العلماء إن عمر الجهاز قد يصل إلى سنوات عشر.

http://spectrum.ieee.org/tech-talk/biomedical/diagnostics/implanted-eye-sensor-with-smartphone-readout

العلماء يستجيبون لنداء العشب المقصوص



توصل العلماء في السنوات الماضية إلى معرفة ماهية الرائحة المنبعثة من العشب المقطوع، إنه نداء استغاثة: أنقذوا أنفسنا. لكن الأبحاث الجديدة اليوم تقول إن هذا النداء هو أيضاً دعوة للحشرات النافعة لإغاثتها. ويعوّل العلماء ومربو النباتات على هذا الاكتشاف لتطوير أصناف جديدة تكون مقاومة للآفات والجفاف.

فعند تعرضها للجوائح الفطرية مثلاً، ترسل النباتات إشارات إلى البيئة المحيطة من خلال انبعاث جزيئات عضوية متطايرة تدعو الحشرات النافعة، خاصة الدبابير الطفيلية للدفاع عنها، فتأتي إلى النبتة المقطوعة وتضع بيضها في جسم اليرقة الضارة فتقضي عليها. هذا ما يقوله الدكتور مايكل كولوميت الخبير بعلم أمراض النبات في جامعة Texas A&M، وينطلق بحثه من فحص وظيفة إشارات عائلة واسعة من الجزيئات المشتقة من الدهون التي تنظم العمليات التفاضلية للبشر والحيوان والنبات. لكن فهمها في النبات هو أقل منه في البشر والحيوان.

يضيف كولوميت إن الناس يتناولون بعض الأدوية كالأسبيرين لقمع نشاط هذه الإشارات، لأن الإفراط في إنتاجها يؤدي إلى الصداع والألم وأنواع كثيرة من الاضطراب. إنها ذات المجموعة من الأيض التي تنتجها النباتات والتي ما زلنا لا نعرف كثيراً عنها.

فالنباتات تتواصل حين تتعرض للاعتداء، سواء أكان المعتدي هو فكّي حشرة مفترسة أو شفرة منجل في قبضة البستاني. ويتم هذا التواصل من خلال بث بروتينات دفاعية ومركبات ثانوية لصد الآفات أو جعل نفسها أقل فتحاً للشهية. ما يحدث بعد هذا هو ما يحاول العلماء معرفته.

لاختبار كيفية عمل هذه الظاهرة، استخدم كولوميت وفريقه نبات الذرة المهجن الذي لا يمكنه فرز هذه الجزيئات وبالتالي لا تصدر رائحة بعد قطعه.

ولاحظوا أن الدبابير الطفيلية لم تنتبه لها. في النهاية يعلّق كولوميت بقوله: إن هذا هو رأس جبل الجليد فقط. لقد وجدنا أن جينة المتطايرات هذه مطلوبة لعديد وعديد من العمليات الفيزيولوجية المختلفة كتحمل الجفاف وغيره.

http://www.sciencedaily.com/releases/2014/09/140922145805.htm



سدادة القنينة - الليغو

فكرة أفضل حتى من «تدوير» النفايات



مشكلة النفايات المنزلية والصناعية تؤرِّق أصحاب الفكر البيئي، وعلماء العالم. لذلك أقنعت فكرة «تدوير» النفايات، أي إعادة استخدامها في صنع منتجات جديدة، الكثير من الصناعيين، حرصاً على البيئة والموارد الطبيعية.

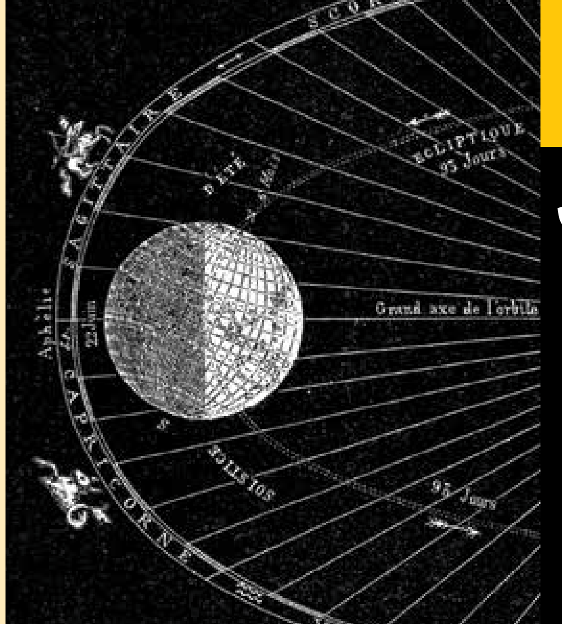
لكن أحد أصحاب المصانع في البرازيل، كلاوديو باتريك فولرز، لم يكتف بذلك، بل أراد أن يجعل منذ البداية، منتجاته قابلة للاستخدام مباشرة، حتى دون «تدوير». فهو يرى أن إعادة تصنيع النفايات تستهلك أيضاً كثيراً من الطاقة والموارد، بدءاً بالنقل، ثم بالمراحل التصنيعية التالية، التي تجعل من النفاية سلعة قابلة للاستخدام من جديد.

قرر فولرز أن تكون سدادات القناني التي يصنعها، مباشرة في آنٍ معاً، سدادات للقناني، وقطعاً من ألعاب «ليغو»، فلا يحتاج المرء إلى إعادة «تدويرها»، بل تكون جاهزة بعد الاستعمال الأول، لتصير لعبة للأطفال، بأشكال وألوان منوعة، لكنها مدروسة الأحجام، لتكون قابلة للتركيب، حين يكتمل جمع عدد كاف منها.

إذا اعتقدنا أن الفكرة غير ذات قيمة، لأن «سدادة القناني ليست من النفايات ذات الحجم الكبير» في النفايات المنزلية، فإن الأرقام تقول، إن الولايات المتحدة الأمريكية وحدها تنتج كل سنة نحو 87 مليار قنينة بلاستيك، لها بالطبع... 87 مليار سدادة. أفليس مجدياً أن نجعل منها ألعاباً لأطفالنا، بدلاً من أن نلوث بها التربة والبحار؟



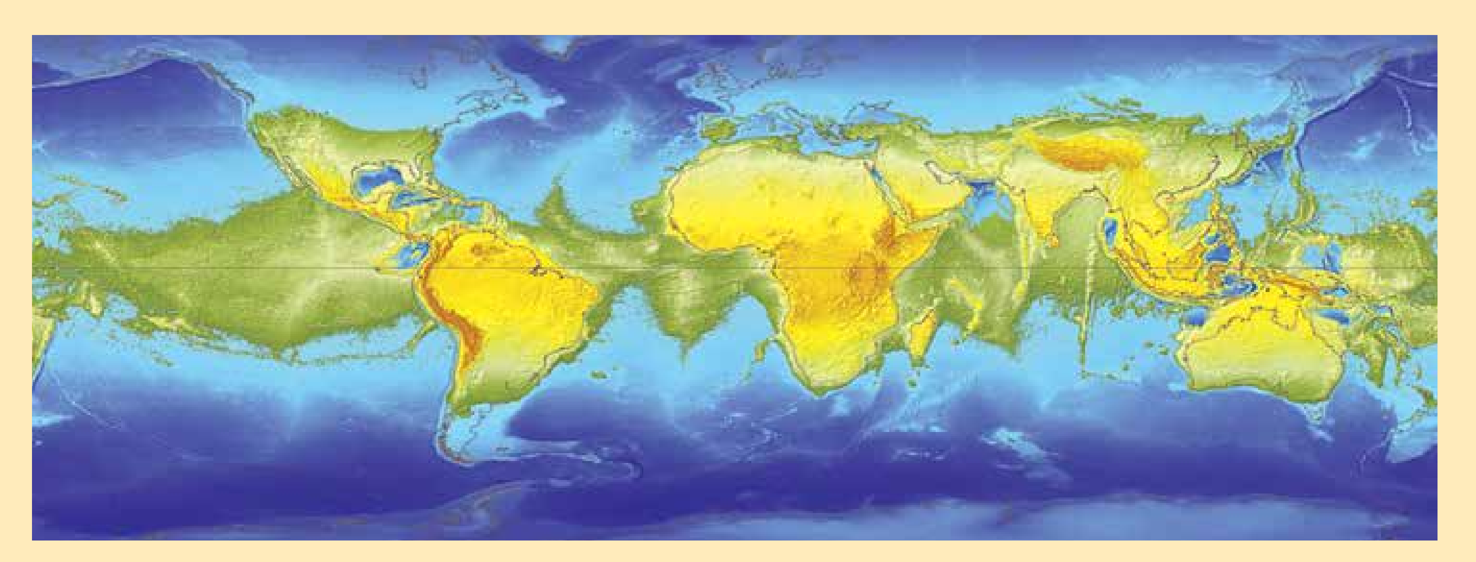




ماذا لو؟

ماذا لو توقفت الأرض عن الدوران بالتدريج؟

عُمير طيبة



في مقالة العدد الماضي قدَّمنا إجابة محتملة عن السؤال: ما الذي سيحدث إذا توقفت الأرض عن الدوران فجأة؟ وفي هذا المقال سنحاول أن نجيب عن سؤال مشابه: ماذا إذا توقفت الأرض عن الدوران.. إنما تدريجاً عبر ملايين السنين مثلاً؟

إن نتائج هذين التوقفين مختلفة تماماً كما سنرى. فمن باب التبسيط سنفترض أن أحد أوجه الأرض بعدما توقفت تماماً عن الدوران سيكون مقابلاً للشمس دائماً، مثل الوجه المنير للقمر بالنسبة للأرض. بمعنى آخر، ستدور الأرض حول نفسها مرة في السنة فيما يسمى بالمدار المتزامن مع الشمس، كما هو القمر في مدار متزامن مع الأرض حالياً.

عطفاً على هذا التصور، فسيكون الوقت هو منتصف الليل، أو قبيل المغرب، طوال السنة على أحد وجوه الأرض. وسيكون الوجه المقابل للشمس في حالة نهار دائم سرمدي. هذا الوضع سيرفع درجة الحرارة في المناطق حول خط الاستواء بمستويات أعلى بكثير من المعروف حالياً، وسيكون التفاوت في درجات الحرارة بين خط الاستواء والقطبين أشد تطرفاً مما هو الآن. ومع استمرارية هذا الفرق الكبير -بحكم أن الأرض باتت لا تدور- ستتحول مسارات الرياح لتهبّ من خط الاستواء إلى القطبين، على عكس ما هو حاصل حالياً من تكوّن نطاقات للرياح الدائمة (قطبية، تجارية، موسمية) بموازاة خط الاستواء.

من ناحية أخرى، يعتقد العلماء أن دوران الأرض حول محورها هو أهم أسباب تكوّن مجال الأرض المغناطيسي. وبالتالي فإن توقف الأرض عن الدوران سيلغي وجود هذا المجال في معظمه، مما سيوقف حدوث ظاهرة الشفق القطبي (الأورورا). لكن هذه ستكون أهون مشكلاتنا؛ لأن مجال الأرض المغناطيسي يحمي سطحها من الأشعة الكونية والجسيمات عالية الطاقة التي تضربها من الفضاء الخارجي وتهدِّد جميع الكائنات الحية.

أخيراً، فإن دوران الأرض حول محورها ينظم التيارات المائية في المحيطات، وهو السبب الرئيس في وجود ما يسمى بمستوى سطح البحر. إذ إن قوة الطرد المركزية الناتجة عن الدوران تلغي تأثير قوة الجاذبية الأرضية، وهذه الأخيرة فعلياً أقوى على سطح الأرض من ناحية القطبين مقارنة بقوتها على خط الاستواء بسبب انبعاج كرة الأرض عند قطبيها (شكل الأرض هندسياً أقرب للقطع الناقص). وعند توقف الأرض عن الدوران، ستُلغى قوة الطرد المركزية وبالتالي سيبقى تأثير قوة الجاذبية فقط. وتدريجاً ستنحسر المحيطات ناحية القطبين. وعلى مرّ السنين، ستنمسخ خارطة الأرض إلى التالي: في الشمال محيط كبير يمتد من القطب وحتى كندا وأوروبا وسيبيريا، حول خط الاستواء حزام قاري متصل يكوّن كل اليابسة في العالم، ومن الجنوب محيط هائل آخر يلامس الأجزاء الجنوبية من إفريقيا ويغطي أمريكا الجنوبية بالكامل كما في الخارطة التخيلية أعلاه.

بالمختصر، فإن التوقف التدريجي للأرض عن الدوران لن ينهي الحياة على سطحها بالضرورة، لكنه حتماً سيقلبها رأساً على عقب!

المصدر: http://www.esri.com/news/arcuser/0610/graphics/nospin_9-lg.jpg

حياتنا اليوم

الاستدامة كدليل للعيش في حياتنا المعاصرة

أصبح عنوان الاستدامة يطغى على مختلف الأمور في حياتنا المعاصرة. ولم يعد تحقيق الاستدامة مجرّد مسؤولية اجتماعية، وإنّما أصبح أساسياً في الطريقة التي تُدار بها الأعمال. فهناك ثلاثية ذهبيّة للنجاح في عالم الأعمال المعاصر يمكن اختصارها بالناس والأرض والأرباح. لهذا أخذت مختلف الشركات تلجأ إلى ممارسات عملية أكثر استدامة وحتى وصل الأمر إلى عالم المفروشات، حيث أصبحت قطع الأثاث تصنَّع بطرق ومواد تحافظ على البيئة لكي تضمن استدامة المواد الأولية الطبيعية. وحتى لو أن الاستدامة دخلت إلى عالم التواصل البشري في عديد من المؤسسات المصرفية والتجارية والعملية، فقد أصبح عديد من هذه المؤسسات يفرض على موظّفيه المشاركة في ورش عمل لضمان الاستدامة في ريادة العمل. تتضمن هذه الورش تطبيقات ترشد إلى التواصل الداخلي الفعَّال وتساعد على التغلب على كل ما يعيق التواصل الشخصي بين الموظفين ويضمن الفعالية التنظيمية.

وبما أنّ وسائل التواصل الاجتماعي أخذت تسيطر على مختلف مجالات الحياة الحديثة، كان لا بد من ظهور تخصصات جامعيّة جديدة تعلِّم كيفيّة الاستفادة من هذه الوسائل في مجال الأعمال. والتسويق باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي هو تخصص جامعيّ جديد يدرِّس مهارات التسويق والترويج للمنتجات المختلفة على فيسبوك وتويتر وإنستغرام وغيرها من وسائل التواصل الأخرى.

وفي وجه آخر من وجوه حياتنا المعاصرة يستمر الاهتمام بالمتاحف التي تعيد إحياء ذكرى أهم الشخصيات العالمية. وفي هذا القسم نعرض لمتحف الأديب العالمي الشهير إرنست هيمنجواي، صاحب المؤلفات الرائعة ومن أهمها «الشيخ والبحر» و«وداعاً أيّها السلاح». وهذا المتحف الذي يقع في موقع رائع في جنوب ولاية فلوريدا الأمريكية كان منزلاً عاش فيه هيمنجواي لمدّة سنوات عشر، حيث وجد الهدوء والسكينة واستمد الإلهام من الطبيعة الجميلة التي تحيط به. ويبقى الاهتمام بزيارة مثل هذه المتاحف ليؤكد على مكانة الثقافة في حياتنا المعاصرة.

مهى قمر الدين





التواصل الداخلي الفاعل **طريق البطل**

من أهم العوامل التي تجعل الموظف في أي مؤسسة منتجاً وموالياً للمؤسسة ويعمل على نجاحها، هي طريقة التواصل بينه وبين رؤسائه ومرؤوسيه وزملائه، فهي التي تؤدي إلى تحقيق بيئة عمل منتجة ومريحة ومثلى أو العكس. ولكن، إن كان الجميع في المؤسسة يعمل على تحقيق هدف واحد ورؤية واحدة ورسالة واحدة، فلماذا نفشل في تحقيق هذا الهدف أحياناً؟ ولماذا نختلف ونضيع الطريق إلى ذلك؟

وحيد البلوشي



للإجابة عن تلك التساؤلات التي تدور في أذهان كثير من القادة والمديرين والمعنيين وغيره وإيجاد الحلول الناجحة، نبدأ بالإشارة إلى واحدة من أحدث التقنيات النفسية في مجال التواصل بين المجموعات البشرية، ألا وهي تقنية «التواصل الموجّه»، وهي تقنية نفسية جديدة ومبتكرة في مجال تحسين التواصل وفهم النفس والآخرين في بيئات العمل والعائلة والأصدقاء والمعارف، وهي تقنية مبنية على تجارب علمية ونفسية موثَّقة وأثبتت فاعليتها عملياً، ويمكن تلمس نتائجها سريعاً في التغيير الذاتي والجماعي لدى فريق العمل وتأثير ذلك على المؤسسة التي ينتمون إليها، وتعتمد في منهجيتها على التدريب العملي والنشاطات والتمارين.

وقد ابتكر هذه التقنية المدرِّب العالمي في مجال تطوير الذات والقيادة السيد آرثر كارمازي، الذي اختير ليكون ضمن أفضل 30 متحدثاً ومدرِّباً في آسيا، وتم اعتماد هذه التقنية من قبل المعهد الأمريكي لعلم النفس المتعلّق بالأعمال (American Institute of Business Psychology).

تُعنى هذه التقنية الحديثة بأفضل السلوكيات المتبعة بين الأفراد لإيجاد بيئة فضلى ومثلى للعمل، ووضع أرضية مشتركة للتفاهم بين الأفراد ضمن المجموعة، مما ينعكس إيجاباً على العمل الجماعي ونفسيات الموظفين ويزيد من إنتاجيتهم وعطائهم للعمل ويغيِّر من السلوكيات السلبية تجاه أقرانهم وزملائهم ورؤسائهم ومرؤوسيهم والعملاء من خارج المؤسسة.

«طريق البطل» أو The Hero's Way هو اسم برنامج عالمي مسجل رسمياً لصالح Directive Communication International التي تتخذ من شرق آسيا مقراً لها. والدورة التطبيقية لهذا البرنامج التي تبلغ مدتها 18 ساعة تقريباً، تغطي ثلاثة جوانب أساسية، هي: النفس والعقل والجسد. وتهدف

إلى اكتشاف الذات وتطويرها ومن ثم تحسين مستوى تواصلها مع الآخرين وتفهمهم، وتوسيع دائرة التسامح في المجموعات لإيجاد بيئة مثلى يرتاح الجميع فيها من زملاء وموظفين ورؤساء ومرؤوسين وأزواج ووالدين وأصدقاء وغيرهم.

لماذا أنا على حق؟

واحد من العناصر الأساسية في سيكولوجية الإنسان هو في أننا جُبلنا لنكون «دوماً على صواب» مهما أخطأنا. وإن توجهت إلينا أصابع الاتهام أو اللوم من قِبل الآخرين، فإننا نميل إلى إلقاء اللوم في أخطائنا على عوامل أو جهات أخرى. وهو ما يؤدي إلى نشر ثقافة اللوم والعتاب في المحيط الذي ننتمي إليه «Blame Culture».

يعود منبع هذه الثقافة إلى جنوح الإنسان إلى تجنب المكوث في موقف المخطئ. وفي حال وقوعه في خطأ ما، نراه يجنح إلى إظهار مظلوميته وبأنه ضحية ظروف أو أشخاص أو غير ذلك.

المعوِّقات الأربعة للنجاح

هناك معوقات لنجاح التواصل مع الآخرين. وخلال تواصلنا اليومي المستمر معهم، نقع من حيث نشعر أو لا نشعر في فخ أحد معوقات النجاح أو كلها. وهي تتلخص في التالي:

- **الأمور المتعارف عليها واضحة للجميع:** فالأمور المتعارف عليها تبقى واضحة عندي بسبب البيئة التي عشت وترعرعت فيها وخبراتي الحياتية وقدراتي العقلية الإدراكية. ولكنها قد لا تكون كذلك للآخرين، وهنا تكمن مشكلة التواصل في الحكم على الناس بأنهم لا يفهمون أو أنهم أغبياء أو غير ذلك من التهم المعلبة تجاه الآخرين.

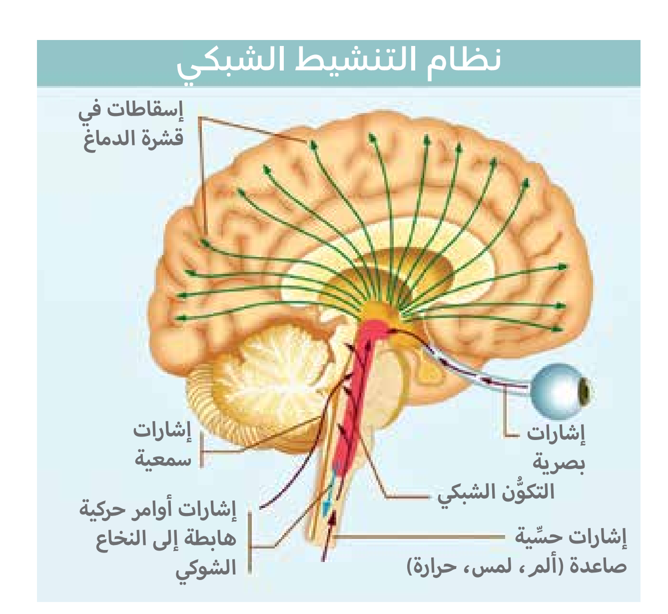
- **ما أستطيع فعله يستطيع الآخرون فعله أيضاً:** وهذا خطأ شائع نقع فيه من حيث لا نشعر. فالحكم على الناس وفق القدرة الذاتية على إنجاز الأمور، غير منصف ويشكل مشكلة أخرى.

- **العدالة موجودة أستطيع البحث عنها:** فحيننا نعتقد أن الإنسان يمكنه أن يكون عادلاً عدالة مطلقة فلنتذكر أن المحكوم عليه أو الذي لا ينال ما يظن أنه حق له، يجد الأمر ظلماً له، مهما اتبعنا المعايير والقوانين...

- **توجد حقائق لا تقبل الجدل:** والواقع أنه لا توجد حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل. فما نعتقد أنه حقيقة كونية لا جدال فيها، نفاجأ بأن هناك آخرين لا يؤمنون بها كما نؤمن، وهنا أيضاً ننتهي بمشكلة في التواصل مع الآخرين.

يجب أن نعلم أن الإنسان، مهما أخطأ فإنه لا يجب أن يكون موطن تهمة أو شعور بالتقصير بتوجيه أصابع اللوم والعتاب إليه

نظام التنشيط الشبكي



التركيز ووظيفة «RAS»

حبانا الله تعالى بعضو صغير جداً في أجسامنا يقع في منتصف المسافة بين الأذنين تقريباً يدعى «Reticular Activating System» واختصاراً نسميه (RAS)، ووظيفته الأولى إحياء الذكريات الخاصة لدى الإنسان، ووظيفته الأخرى هي لعب دور الرادار الداخلي الذي يعمل على تركيز الذهن على أمور معيَّنة تدخل في نطاق اهتمام الإنسان ودائرة تركيزه كشراء ساعة جديدة أو سيارة أو حذاء أو غير ذلك من الأمور التي تجعل الإنسان يركز على السلعة نفسها لدى الآخرين.

وفي مجال العلاقات الإنسانية فإن الـ RAS يبدأ لدينا بمجرد أن تُلقى اللائمة على الشخص من قبل الآخرين، فيتركز رادارنا الداخلي RAS على أخطاء الآخرين وإبرازها لنقنع الآخرين بأننا لم نخطئ وإنما نحن ضحايا للظروف.

والعيش في هذه القوقعة يؤدي حتماً إلى ثقافة اللوم والعتاب في البيئة الإنسانية. وهذه الثقافة لا تؤدي إلى التواصل الإيجابي بين البشر، بل تجعل التواصل سلبياً ومتوتراً، فتنشأ هنا «ثقافة الشرير» في التواصل. وتتمثل هذه الثقافة في عدم التبرير، ورد الفعل في إلقاء التهم على الآخرين، وتوجيه أصابع العتاب، والدافعية المنخفضة والخوف، وعدم المبادرة، والنظرة السلبية، والعمل المنفرد، وترصد أخطاء الآخرين وغير ذلك..

كيفية التعامل مع ثقافة اللوم والعتاب؟؟

يجب أن نعلم أن الإنسان، مهما أخطأ فإنه لا يجب أن يكون موطن تهمة أو شعور بالتقصير بتوجيه أصابع اللوم والعتاب إليه. فقد يجنح عندها إلى إثبات صوابه بتوجيه اللوم إلى آخرين وهكذا دواليك، مما ينتج عنه تضييع الوقت والجهد والمال في إثبات من فعل ماذا ومتى ولماذا؟ بدلاً من توجيه الجهود إلى تحقيق الغايات والأهداف المرصودة. فتخيلوا موظفاً أو فريقاً كاملاً من الموظفين يستغرقون جلَّ وقتهم في استرجاع الإيميلات مع مرفقاتها أو المخاطبات أو المذكرات أو حتى المكالمات الهاتفية لإثبات أن إدارتهم أو مديرهم طلب بعض المعلومات من إدارات أخرى ولم تستجب تلك الإدارات، مما حدا بهذا المدير لأن يتأخر في تسليم التقرير.

فالسؤال: هل يهم إثبات من الذي أخطأ؟ وإذا أثبتنا ذلك، فما العمل؟ ما زال التقرير عالقاً يحتاج إلى إنجاز، أليس كذلك؟ فثقافة اللوم تركز الجهود على الإجراءات دون تحقيق الأهداف.

قواعد الاشتباك – رد الفعل التلقائي للواقع المخالف للتوقعات

عندما نخرج للشارع نسوق على أساس أن الشارع سالك وأن كل السيارات الأخرى ملتزمة بمساراتها وقوانين المرور محترمة، وعلى هذا الأساس نسوق سيارتنا، وهو افتراضنا العالق في الذهن، فإذا خالف الواقع ذلك الافتراض فإننا نميل إلى تطوير قواعد للاشتباك، فإذا كان الشارع مزدحماً أو دخل أحد السائقين في مسارنا عنوة أو صدمنا أحدهم، فماذا تكون ردة فعلنا؟

بعضنا يغضب ويزمجر ويوقف السيارة ويشتبك لفظياً أو جسدياً بالآخر، وبعضنا يقول بضع كلمات غاضبة، وبعضنا يدعو لهم بالهداية، وهكذا تختلف ردة الفعل من شخص لآخر بناءً على خبراته التراكمية في الحياة. فلكل إنسان منَّا

توقعات أو افتراضات عالقة في ذهنه لمختلف المواقف والشخصيات بناها عبر تراكمات من الخبرات. وحين يخالف الواقع ذلك، نركن إلى قواعد الاشتباك مع الطرف الآخر حسب خبراتنا، وغالباً ما تكون قواعد الاشتباك هذه سلبية لا تضفي إيجابية على الموقف. لذلك، وبالفعل الواعي والإيجابي، تتحوَّل من الاعتماد على رد الفعل إلى موقف ينطوي على فعل ذكي أسهم في إضفاء الإيجابية بطريقة البطل، فالبطل هنا هو من يتغلب على نزعاته النفسية التي تنزعه إلى الاعتماد على رد الفعل، والبطل هو الذي يدحر الشر الذي فيه من ظروف وانفعالات وسلبية، وكلما قوي الشر قوي البطل فينا.

العقول الملوَّنة
متلازمة النظارات الملوَّنة

هل جربت قط توضيح مسألة لأحدهم، وتكون واضحاً جداً ودقيقاً جداً فيما تقول، فتُفاجأ بأنه لم يفهم أو فهم غير المطلوب؟

كذلك الحال مع أولادنا وبناتنا وأزواجنا وخدمنا في المنازل وعمالنا وأصدقائنا وغيرهم، نوجههم ونشرح لهم ما نريد منهم إلا أن النتيجة غير مضمونة في غالب الأحيان، فما السبب في ذلك؟؟

هذا ما نسميه متلازمة النظارات الملوَّنة. فإذا كنت تلبس نظارة ملوَّنة، فإنك سترى الأمور بلون معيَّن. وغيرك يلبس أيضاً نظارات ملوَّنة بلون آخر، فحتماً سيرى نفس الأمور لكن بلون آخر، وكلاكما يُقسم على أن ما يراه هو الصحيح، وكلاكما محق في قوله وقسمه.

المشكلة تكمن هنا في أن صاحب السلطة الأعلى بينهما يلزم الآخر بتبني وجهة نظره التي يراها من خلال نظارته الملوَّنة، حتى لو كان الآخر غير مقتنع بها، فينتج عن ذلك إنتاجية وجودة متدنيين لا يرقيان إلى مرحلة الجودة المطلوبة.

ومن هنا نأتي إلى حقيقة علمية قائمة على نتائج دراسات طبية وعلمية سابقة تؤكد أن كل إنسان مزوَّد بمعالج منذ ولادته يجعله يفهم الأشياء والأمور من حوله ويتعامل معها بطريقة معينة. فإذا فهمنا هذه الطريقة، عرفنا كيف نتعامل مع الشخص، وفهمنا لماذا يتصرف بهذه الطريقة أو تلك، لأنها ببساطة طريقته التي وُلد بها وليس لأنه غبي أو يحاول أن يُفشل المؤسسة أو لديه أجندة خاصة..

العقول الملوَّنة

خلصت الدراسات إلى أن أنماط التفكير لدى الإنسان هي أربعة :

1- النمط الأول هو العقل الأخضر (الفوضوي)

وأهم سمات تفكيره:

• ينظر إلى الصورة الكبيرة والنهائية
• لا شيء متصل لديه
• يجد بدائل
• مبتكر وخلَّاق وفوضوي
• يستوعب أكثر أثناء العمل
• يسمع للآخرين أثناء العمل فيصحِّح مساره
• يعمل على أكثر من أمر في وقت واحد

نقاط ضعفه:

• لا يجيد التخطيط المسبق
• لا يحب الجلوس في اجتماعات طويلة مملة
• سريع الفعل والعمل والآخرون يرونه أنه غير صبور ومتسرع



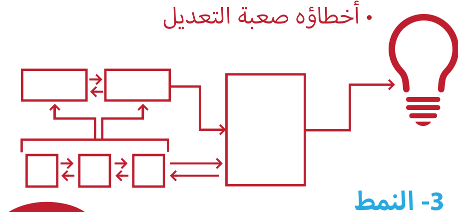
2- النمط الثاني هو العقل الأحمر (الخطي/ المنظم)

وأهم سمات تفكيره هي:

• يجب أن تكون الصورة النهائية عنده واضحة
• موضوعي
• منطقي
• يجب أن يحلل
• يجد الهيكلية أو البناء

نقاط ضعفه:

• ليست لديه المرونة في العمل على أمر آخر بنفس الوقت
• لا يجيد التعبير عن مشاعره وعواطفه كما ينبغي
• أخطاؤه صعبة التعديل



3- النمط الثالث هو العقل الأزرق (عاطفي/حدسي)

وأهم سمات تفكيره هي:

• كل شيء متصل
• الشعور بالبيئة
• حساسية تجاه المحيطين
• متعدد المهام في نفس اللحظة
• عاطفي تجاه الغير
• هو الذي يجمع الفريق على قلب واحد

نقاط ضعفه:

• قد يمرض بسبب هموم الآخرين
• سريع التحسس لأية كلمة أو موقف
• كلماته رقيقة قد تُطمع الآخرين فيه

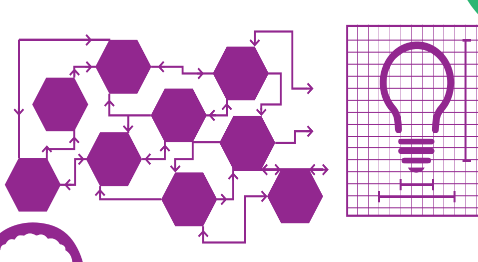
4- النمط الرابع هو العقل البنفسجي (التحليلي)

وأهم سمات تفكيره هي:

• نهم وجوع للمعلومات
• كل البيانات متصلة وذات علاقة
• يحتاج إلى التفاصيل
• يبني أنظمة (أتمتة)
• يجب أن يعرف البدائل

نقاط ضعفه:

• لا يلتزم بمواعيد التسليم
• أسئلته الدقيقة قد تؤخذ على أنها مزعجة



فمعرفة الأنواع الأربعة من أنماط التفكير للناس من حولنا يجعلنا أكثر تقبلاً لهم وأعمق تفهماً لتصرفاتهم وسلوكياتهم التي قد تجعلنا نظن فيهم الظنون في الأحوال العادية فتتسع دائرة التسامح تجاههم.

جدير بالذكر أن بإمكان الشخص الواحد أن يكتسب من أنماط التفكير الأخرى حسب تجاربه العملية والحياتية التي يمر بها مع شيء من التدريب، بإمكان الأخضر أن يفكر بطريقة الأحمر أو الأزرق.

وبهذه التقنية يمكن للقادة تكوين فرق عمل فاعلة حسب طبيعة الفريق المراد تكوينه، فيتم


Shutterstock

توظيف الشخص الأحمر في فريق المحاسبة أو الاستراتيجيات أو التخطيط أو التدقيق، والأخضر في فريق تنفيذ المشاريع والابتكار والعمل الجماعي، والبنفسجي في فريق بناء أنظمة تقنية أو كتابة مواد قانونية أو التحليل للمخاطر المحتملة لمشروع ما، والأزرق في فرق التواصل الاجتماعي واللجان الاجتماعية وفرق المسؤولية الاجتماعية وغيرها.

ويمكن أيضاً استخدام هذه الألوان والاستفادة منها في عمليات التوظيف إلى جانب إنهاء العقود إن لم يصلح الموظف في وظيفة معينة.

يمكن زيارة الموقع التالي والخضوع لاختبار تحديد لون العقل: www.coloredbrain.com

الجزء الثالث: الدوافع النفسية

هل تساءلت لماذا تعمل؟ أو ما إذا كان المال هو دافعك ومحركك الأساسي للعمل؟

معظم الناس يقولون نعم، لأجل المال. إلا أن الصحيح أننا نعمل لما يجلبه المال وليس المال بحد ذاته. والدليل أننا عندما نحصل على المال، فإننا ننفقه في أمور نظن أنها تأتينا بالسعادة.

ولكي نعرف دوافعنا ومحركاتنا النفسية علينا أن نسأل أنفسنا (لماذا) عدة مرات ومرات وهي إحدى تقنيات حل المشكلات حتى نصل إلى النتيجة أو السبب الحقيقي وراء فعلنا، وفي الغالب سنصل إلى أننا نسعى إلى تحقيق متعة ما، أو تفادي ألم معيَّن، ولعل أبرز ما يمثل ذلك هو شكل جبل الجليد الذي تظهر قمته كسبب ظاهر وبديهي لما نفعله، إلا أن السبب الحقيقي يكمن في اللاوعي أي الجزء المخفي من جبل الجليد.

في عالم العمل نحن نبحث عن المهارات، فنوظف العمال ونقبلهم في مؤسساتنا حسب مهاراتهم وخبراتهم وشهاداتهم. ولكننا أيضاً نشجعهم على ممارسة سلوك جيد أثناء وجودهم في المؤسسة كي ينعكس الجو الإيجابي على جو العمل والعلاقة مع الزملاء.

وعندما نُشرك الموظف أو العامل في وضع الأهداف ونشعره بأن العمل هو قضيته، نكون بذلك كسبنا الولاء المطلق لهذا الموظف فنجده يعمل بطاقة كبيرة لأنه شعر بأنه جزء من منظومة أكبر ينتمي إليها ويفتخر بها. أما الذي يعمل 8 ساعات فقط فهو يعمل من أجل الراتب. وهنا نصل إلى دور الدافعية النفسية التي تُكتسب من خلال البيئة، وقد تتغير أهميتها وترتيبها حسب ظروف الشخص وبيئته. فدوافعك النفسية أثناء الدراسة تختلف عندما كنت موظفاً وتختلف عندما تزوجت وتختلف عندما صرت والداً وتختلف عندما تتقاعد وهكذا.

الدوافع النفسية

لدينا ثمانية دوافع نفسية أساسية يشترك فيها جميع البشر، إلا أنها تختلف من شخص إلى آخر حسب أولوياتها عنده في المرحلة الحالية من حياته، وهذه الدوافع هي:

- **الإنجاز:** وهي الحاجة لرؤية التطور في خططنا وبنائنا، وصاحب هذه الدافعية يتميز في تنفيذ المشاريع التي تحتاج إلى سرعة واتقان.
- **التحدي/ النمو:** هو التعلم والتطور وصاحبها لديه ميل إلى الدراسة وتطوير نفسه ومن حوله.
- **الإتقان:** الرضا والفخر بما نفعله وإضفاء اللمسة الذاتية التي يفتخر بها صاحبها ويتميز بها عن أقرانه.
- **المسؤولية/ الإسهام:** الحاجة للإسهام مع الآخرين تطوعياً، لديه قابلية عالية في بذل الجهد والمال والوقت في سبيل مساعدة الآخرين.
- **الحب/الانتماء:** الاتصال بالآخرين أو الاتصال بالنفس. ويحب أن يشعر بأنه مرغوب في المجموعة التي يصاحبها أو يعمل معها.
- **التحكم/الأمان:** القدرة على الحفاظ على الأمان في حياتنا وذلك عبر سلسلة من الإجراءات والسلوكيات الهادفة إلى الحفاظ على ما نحن فيه.
- **التنوع/التغيير:** لا يستقر على حال واحدة فيغيِّر من وضعه الوظيفي أو مؤسسته أو عمله أو أثاث مكتبه أو منزله وهكذا..
- **التميز/التكريم:** نحتاج أن يلحظ الآخرون منجزاتنا. وهذا الشخص بمجرد أن يحصل على التكريم المناسب أمام الجميع فإنه يكون عالي الهمة وذا دافعية عالية جداً.

المشكلة في الدوافع والمحركات النفسية أنها إن لم تُشبع بطريقة إيجابية فإنها ستُشبع بطريقة سلبية، فمثلاً الشخص الذي يسعى إلى التكريم والتميز، إن لم يجد ما يصبو إليه فإنه سيبدأ في نشر ثقافة اللوم وعتاب الآخرين كي يتميز هو ويثبت للإدارة العليا بأنه كفء وأنه متميز وأن المسؤول أخطأ في عدم ملاحظته وتمييزه.

ويبقى الفخ الذي يقع فيه القائد أحياناً كثيرة، وينطبق ذلك على أي شخص، هو أن يمارس عليه ما نسميه «Need Sucking» أو منعه من إشباع حاجته النفسية بطريقة إيجابية.

ولكي نفهم معناها جيداً فلنفرض أننا نقود السيارة وبجوارنا الوالد أو الوالدة يوجهوننا ويتدخلون في طريقة القيادة، فما الذي يحصل لك حينها؟

معظمنا يتوتر ولا يستطيع التركيز جيداً في السياقة، وبعضهم قد يوقف السيارة ويطلب من أبيه أن يسوق بدلاً عنه، وذلك لأن الشعور بالأمن والتحكم في هذه اللحظة يكون عالياً جداً، فإذا سُلب منَّا فإننا نتوتر. وكذلك الأمر حينما نمنع الشخص من إشباع أي حاجة من حاجاته أو دافعيته فإنه يبقى متوتراً.

إذن البطل هو الذي يفهم نفسه ودوافعها وطريقة تفاهمها وفهمها لما حولها، ويبتعد عن افتراضات عالقة قد لا تكون صحيحة، ويسعى في تعامله مع الآخرين من حوله على إيجاد بيئة مثلى قائمة على التفهم والتفاهم وحسن الظن واتساع دائرة التسامح.. فماذا نختار أن نكون؟؟ أبطالاً أم أشراراً؟

بطريقة ما يمكننا القول إنّ «الأثاث الصديق للبيئة» أو «الأثاث الأخضر» أو «الأثاث المستدام» كان موجوداً منذ مئات السنين، حين كان الناس يلجؤون إلى بناء منازلهم وأثاثهم المنزلي بأنفسهم. ولكن مع الانفجار السكاني وزيادة الاستهلاك، كثر التصنيع. ودخلت الأساليب المضرة بالبيئة في صناعة الأثاث.

مهى قمر الدين

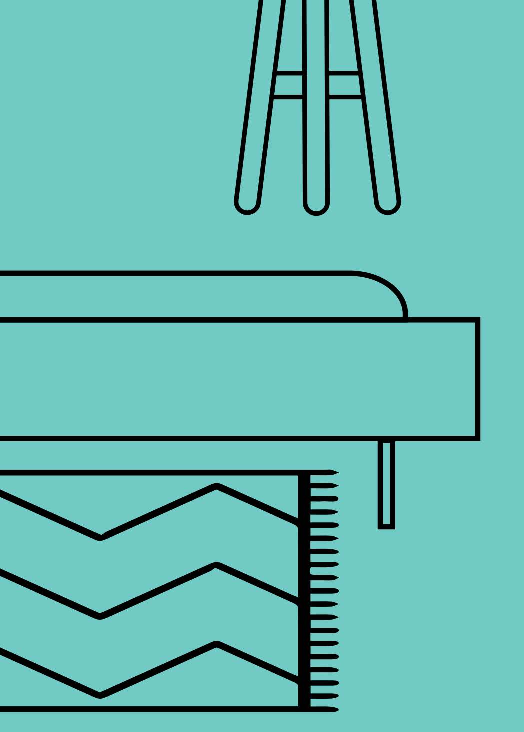
الأثاث صديقاً للبيئة

ولكن، شهدت الآونة الأخيرة اهتماماً متزايداً بالأثاث الصديق للبيئة وذلك لسببين: أولهما، أن عدداً كبيراً من الناس بدأوا يهتمون بما يسمى بالبصمة الكربونية، وثانيهما، التطوُّر اللافت الذي طرأ على التصاميم الجديدة لقطع الأثاث الصديقة للبيئة، فبات هناك تنوع كبير في الأسواق من قطع الأثاث المختلفة بدءاً بالمزهريات والأباريق والثريات المصنوعة من المواد المعاد تدويرها، وصولاً إلى السجاد المحاك من خيوط البلاستيك المذاب، إلى الكراسي المصنوعة من أخشاب بقيت عليها ثقوب المسامير الصدئة. وهناك بعض المفاهيم يمكنها أن تُرشدنا إلى اختيار الأثاث الصديق للبيئة.

أخشاب صديقة للبيئة وأخرى ليست كذلك

يوجد اليوم ما يعرف بمفهوم «الحراجة المستدامة»، وهي الحراجة التي تحافظ على التوازن بين الطلب المتزايد على الأخشاب وصحة الغابات وتنوعها. وقد أنشئت شركات تُعنى بالحراجة المستدامة، كما تمّ تشكيل مجلس عالمي للإشراف على الغابات «FSC»، وهو هيئة عالمية لا تبغي الربح، تشجِّع تلك الشركات بمنحها شهادة يمكن وضعها على الأخشاب التي تنتجها. ومن خلال تلك الشهادات بالإمكان التأكد من أن الأخشاب تطابق المواصفات الموضوعة من قبل المجلس وتحافظ على سلامة البيئة.

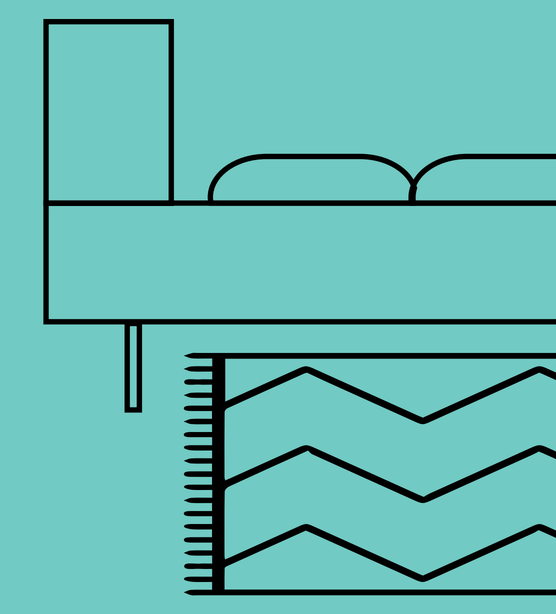
بالإضافة الى ذلك، هناك ما يُعرف بـ «الخشب المستصلح»، فإذا ما تمّت العناية بالخشب أو لم تتم، يمكن للأخشاب أن تبقى بحالة جيدة لمدة طويلة، أو قابلة للإصلاح. لذلك يمكننا الاستفادة من معظم الأخشاب المصنَّعة الموجودة. وهناك عديد من المصمِّمين الذين يعتقدون بأنهم يستطيعون القيام بذلك. وعادة ما تأتي هذه الأخشاب من قطع الأثاث والأبنية القديمة والأخشاب التي تحتوي على عيوب، ومن بقايا الأخشاب في المصانع. حتى إنّ بعض الأخشاب يمكن أن تُستخرج من قيعان الأنهر. ولكن مهما كان المصدر، فقطع الأثاث المصنوعة من الأخشاب المستصلحة هي مثال ممتاز عن الكفاءة

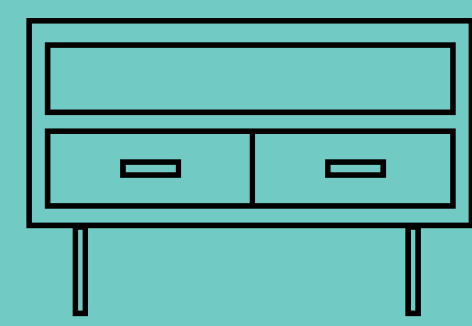


في استخدام الموارد. إلى ذلك، أصبح الخيزران (البامبو) العنوان غير الرسمي لكثير من المصممين الذين يهتمون بصناعة الأثاث الصديق للبيئة. إذ يمثِّل الخيزران مجموعة من الأعشاب التي تتراوح في أحجامها من الصغير إلى الكبير وباللون من الأخضر إلى الكستنائي. فهو ينمو بسرعة كبيرة ويأتي معظمه من الصين. يمكن للخيزران النمو دون استخدام المبيدات، على الرغم من أنّ بعض المزارعين يلجؤون إلى استخدامها. وعلى الرغم من أنّه يستهلك كثيراً من المياه وأنّ حصاده بسرعة كبيرة قد يستنزف خصوبة التربة إلا أنّه يُعد، بالإجمال، من أكثر الأخشاب رفقاً بالبيئة. ويمكن استخدام الخيزران في الأرضيات وفي صناعة عديد من قطع الأثاث وكستائر للنوافذ، أو حتى بالإمكان بناء منزل كامل منه. ويمكن لاستخدام الخيزران في الأبنية أن يُكسب المهندسين نقاطاً في الـ «LEED» أي القيادة في الطاقة والتصميم البيئي، وهو برنامج لتوثيق المباني الخضراء التي تلحظ أفضل الاستراتيجيات وممارسات البناء التي تحافظ على البيئة.

المفاهيم المتعلِّقة بالمعادن والمواد البلاستيكية

بما أنّ المعادن ومعظم المواد البلاستيكية قابلة لإعادة التدوير، على الأقل من ناحية المبدأ، يمكن اعتبارها مواد صديقة للبيئة لتستخدم في صناعة الأثاث. وتتطلب المواد المعادة التدوير معالجة أقل وكمية أقل من الموارد، كما أنّ التطوّر في التقنيات أدى إلى تحسّن نوعية المعادن والمواد البلاستيكية المعادة التدوير. ولكن الأمر لا يتعلق فقط بالمواد المستخدمة، لذلك هناك بعض النقاط التي يجب أن تؤخذ في الحسبان عند اختيار قطع الأثاث.





1 - قطع قابلة لإعادة التدوير والتفكيك والتجميع

على قطع الأثاث الصديقة للبيئة أن تكون سهلة الإصلاح والتفكيك وإعادة التجميع، بالإضافة إلى إمكانية إعادة تدويرها عند انتهاء فترة استخدامها. لهذا السبب، يجب الابتعاد عن القطع المصنَّعة بطريقة المزج الكلي بحيث يصعب تفكيكها مما يعني صعوبة إصلاحها. وتُعد المنتجات التي تحمل شهادة الـ «Cradle 2 Cradle» المثال الأجدى على الأثاث السهل الإصلاح وإعادة التجميع والتدوير. والـ «Cradle 2 Cradle» هي منظمة لا تبغي الربح، تشجِّع على التصميم المتجدد، وتؤكد على أنّ صناعة الأثاث يجب أن تحافظ على توازن الطبيعة البيولوجي وتُغني النظم الإيكولوجية. وهذا لا يعني أنّه يمكن التخلي عن عنصر المتانة في قطع الأثاث المزمع شراؤها. فمن أهم مزايا المواد الصديقة للبيئة، المتانة، لأنّه حتى المواد القابلة لإعادة التدوير تتطلب طاقة وموارد لإعادة المعالجة والاستبدال. وإذا كانت القطعة متينة وسهلة الإصلاح في الوقت عينه، فإن ذلك يعني بأنّ هناك احتمالاً أقل لأن ينتهي بها الأمر في المكب. كما أنّ القطع المتينة أوفر من الناحية المادية حتى لو كانت أغلى ثمناً، ويمكن توارثها من جيل إلى آخر. وحتى لو تغيّرت الموضة ولم تعد تلك الطاولة، مثلاً، تلائم ذوق المقتني، ستبقى الطاولة المتينة تجذب شخصاً آخر، ولكن الأمر لا ينطبق على طاولة مكسورة أو غير قابلة للإصلاح.

2 - الأثاث الذي لا يحتوي على المواد السامة

عند شراء أي قطعة أثاث ووضعها داخل المنزل، من المرجح أنّها، مهما كانت المواد المصنوعة منها، ستبث مواد في الهواء. وكلّ الأجسام، تقريباً، تبث مواد في الهواء قد لا تكون بالضرورة مواد سامة. ولكّن المواد الصناعية أو حتى تلك المعالجة بمواد صناعية يمكنها أن تبث مواد سامة. وتُعد المواد العضوية المتطايرة من أكثر المواد الكيميائية التي تبث في الهواء، والتي ارتبطت بالتشوهات الخلقية واختلال الغدد الصماء والأمراض السرطانية. ومن أكثر المواد العضوية المتطايرة شيوعاً «الفورمالديهاد» و«مثبطات اللهب». وقد تزداد خطورة هذه الانبعاثات في حال كان المنزل أو المكتب معزولاً بشكل جيد للحدّ من الحرّ أو البرد أو الضجيج. وقد أظهرت الدراسات

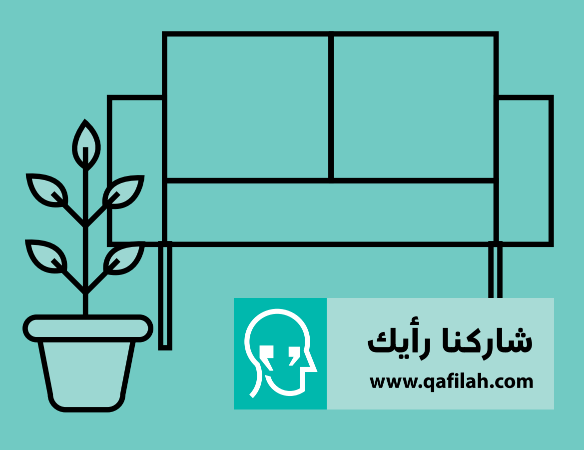
> يوجد ما يعرف بمفهوم «الحراجة المستدامة»، وهي التي تحافظ على التوازن بين الطلب المتزايد وصحة الغابات وتنوعها..

بأنّ نوعية الهواء داخل المنازل أسوأ من نوعيته في الخارج. لذلك يجب الانتباه جيداً إلى نوعية المواد الكيميائية التي تدخل إلى المنازل خصوصاً في حال وجود الأطفال. وهناك بعض الوسائل الجيدة التي تساعد في المحافظة على نوعية الهواء الداخلي، لا سيما فيما يتعلق بالأثاث الذي يجب أن يكون غير معالج أو معالج بمواد طبيعية مثل طلاء الخشب الطبيعي والجلود المدبوغة بشكل طبيعي والقطن الطبيعي. أمّا الطريقة الأخرى لتجنب المواد السامة، فهي في شراء الأثاث القديم الأصلي (Vintage)، أو المستخدم الذي قد يكون استنفد طاقته على بث المواد السامة في الهواء. وبالإمكان إدراك هذه النقطة بطريقة واضحة إذا ما تذكّرنا رائحة السيارات الجديدة.

3 - شراء الأثاث المحلي

قد نستغرب المسافة التي يمكن أن تقطعها المواد المستخدمة في صناعة الأثاث لتصل إلينا. لذلك، ومن أجل المحافظة على البيئة، من المفيد شراء الأثاث المصنوع محلياً الذي من شأنه دعم الاقتصاد المحلي وتشجيع الحرفيين المحليين بالإضافة إلى تخفيض التكلفة البيئية للشحن.

ومع ازدياد توفر الأثاث الصديق للبيئة، ومع وجود بعض الشهادات التي تؤكد كونه «أثاثاً أخضر»، أصبح الاختيار سهلاً، لا سيما مع وجود طاقات إبداعية مميزة استطاعت إنتاج قطع مستدامة جميلة وعملية ومريحة.



تخصص جديد

التسويق من خلال وسائل التواصل الاجتماعي

Automotive Journalism



بعدما انطلق اعتماداً على المهارات الفردية وعلى شيء من علوم التسويق التقليدي، أصبح «التسويق من خلال وسائل التواصل الاجتماعي» تخصصاً جامعياً مستقلاً. وبدأت جامعة نيو همبشاير الجنوبية في أمريكا بتقديم برنامج ماجستير في هذا التخصص الجديد.

فبالإضافة إلى الدراسة المكثفة لعمل وسائل التواصل الاجتماعي، يقدِّم هذا البرنامج فهماً كاملاً لكيفية إدارة الأعمال في أنحاء العالم، ويتضمَّن ذلك معرفة العوامل الخارجية المؤثرة فيه مثل السياسة والقانون والسياسات الاقتصادية والمؤسسات التنظيمية والمفاهيم والعادات الثقافية وكيف يمكن توجيه الشركات المتعدِّدة الجنسيات وإدارتها على الرغم من التباينات المختلفة.

وهناك ثلاث مهارات أساسية توفرها شهادة الماجستير هذه:

1. وضع استراتيجيات ناجحة تساعد على بناء علاقات مع العينات المستهدفة من خلال مجتمعات وسائل التواصل الاجتماعي.

2. تطوير وتنفيذ هذه الاستراتيجيات والحملات التسويقية بطريقة تتكامل مع الخطط التسويقية الشاملة.

3. إجراء أبحاث السوق من أجل تطوير حملات تسويقية أكثر فاعلية بحيث تؤدي إلى تحسين المنتجات وتضيف إلى الأرباح.

أما بالنسبة لفرص العمل، فهناك طلب متزايد على الأشخاص الذين يتمتعون بالمعرفة والمهارات الكافية في هذا المجال، لاسيما مع تغيّر طبيعة التسويق الحديثة التي أصبحت تركِّز بشكل أكبر على الرسائل المبعوثة من خلال وسائل التواصل الاجتماعي. ووفقاً للمكتب الأمريكي لإحصاءات العمل، من المتوقع أن تزداد فرص العمل في مجال التسويق بحوالي 14% في 2020م. ومع إدراك المؤسسات المختلفة بأنّ وسائل التواصل الاجتماعي يمكن أن تحقق عديداً من أهدافها، أصبحت تزيد ميزانيتها التسويقية الموجهة نحوها. وحسب دراسة أجرتها رابطة التسويق الأمريكية مؤخراً ستعمد الشركات إلى تخصيص 20% من ميزانياتها التسويقية السنوية في وسائل التواصل الاجتماعي خلال السنوات الخمس المقبلة.

لمزيد من المعلومات:

http://www.snhu.edu/online-degrees/graduate-degrees/international-MBA-online/social-media-marketing.asp

منزل الكاتب حين يصبح متحفاً

أيام هيمنجواي في كي ويست

في الطريق إلى كي ويست، المدينة الصغيرة في جنوب فلوريدا التي تحتضن منزل الأديب الأمريكي الشهير أرنست هيمنجواي ومتحفه، كنت أحاول تفتيش ذاكرتي محاولاً رسم صورة عنه. تذكرت بعض ما قرأته من كتبه، السير الشخصية التي كتبت عنه، ولعه المعروف بمصارعة الثيران الإسبانية، رحلاته الإفريقية، وسيرته الآسرة في باريس أو «العيد المتنقل» كما سماه، وأخيراً الرصاصة التي أوقفت حياته عام 1961م في كيتشوم. أعياد كثيرة صنعها هذا الروائي والصحافي والمغامر، وها أنا أحاول اكتشاف بعض أعياده في كي ويست.

محمد الدميني

Thinkstock

هيمنجواي وزوجته بولين ومنزلهما في كي ويست



البنس الذي غرسته زوجة هيمنجواي في الحاجز الإسمنتي المحيط بالبركة

كنت أقود سيارتي عابراً مناطق وبلدات، غابات وحدائق، فيما البحيرات وألسنة المحيط تحيط بي، ودائماً الأشجار الاستوائية الملوَّنة والخضراء تملأ البصر وتشيع في النفس احتفالاً بالطبيعة الفاتنة. إلى اليمين خط حديدي قديم محمولاً على جسور تمتد في المحيط ولكن لا حركة عليه، لا هدير قاطرات ولا محطات ولا ركاب. كان عليّ أن أبيت تلك الليلة في أحد فنادق المدينة الصغيرة، الباهظة في عمومها، وغداً أجول في المدينة متأملاً ملامحها ومحاولاً فهم السر الذي أغرى هيمنجواي ليعيش اثنتي عشرة سنة من حياته في هذه البلدة التي أحبها بشغف نادر وكتب فيها ما يقارب السبعين بالمئة من إنتاجه، لكنه تمنَّى ألا يموت فيها.

انطلقت رحلة هيمنجواي الأولى إلى كي ويست، وهي بلدة في أقصى جنوب الولايات المتحدة، من نصيحة أسداها له الروائي الأمريكي المعروف جون دوس باسوس. كان الكاتبان مغتبطين بالحياة في باريس ومنتميين إلى الجيل الضائع الذي تشكَّل من نخبة من الكتَّاب والفنانين الأمريكيين الذين غادروا بلادهم لأسباب متفرقة، كانت بينها موجة الكساد الكبير التي لحقت بالاقتصاد الأمريكي في أواخر عشرينيات القرن الماضي. لم يفضل هيمنجواي الذهاب مباشرة إلى كي ويست، فنزل أولاً في هافانا، المدينة الكوبية التي ستصبح ذات أهمية كبرى في حياة الروائي الشخصية والمهنية.

سرعان ما أحبَّ الزوجان هذه البلدة الصغيرة وسكَّانها ومطاعمها. وبعد مضي سنتين، تقدَّم عم بولين الثري فاشترى لهما المنزل الواقع على شارع وايتهيد كهدية زواج عام 1931م.

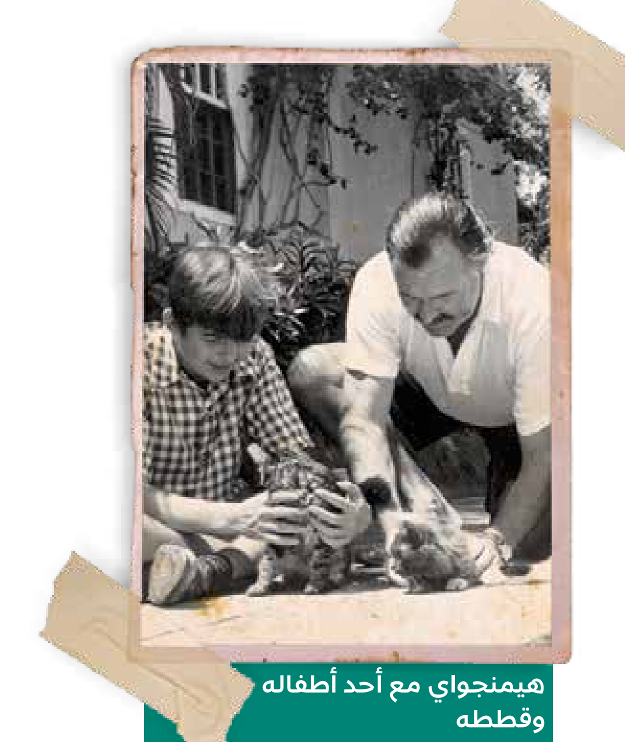
المنزل الهدية

وصل هيمنجواي وزوجته بولين إلى كي ويست عام 1928م. وسرعان ما أحب الزوجان هذه البلدة الصغيرة وسكَّانها ومطاعمها. وبعد مضي سنتين، تقدَّم عم بولين الثري فاشترى لهما المنزل الواقع على شارع وايتهيد كهدية زواج عام 1931م.

كانت كي ويست بلدة لا تشبه أيّاً من الأماكن التي عاشا فيها من قبل. كانت مقاطعة مملوءة بالناس الطيبين والبحارة والصيادين والمحامين والتجار الصغار، وهي شخصيات طالما ظهرت في رواياته، وخاصة عمله «أن تملك أو لا تملك» الرواية التي كتبها عن هذه البلدة خلال فترة الكساد الاقتصادي.

حين دلفنا من بوابة المنزل بين حشد من الزوار، اتضحت سريعاً ملامحه التي بُنيت على الطراز المعماري الإسباني. الأبواب والنوافذ المقوسة والأرضيات والسقوف المرتفعة، كل ذلك يشي بطبيعة المبنى. إنه أحد المباني القديمة التي بُنيت في هذا الشارع، وهو مبنى لا يبتعد كثيراً عن البرج الذي يبدو لي فناراً قديماً اليوم. كان المنزل عندما تسلمه هيمنجواي وبولين في حالة يُرثى لها، لكنهما تمكّنا ببصيرتهما من إنقاذه من الخراب، ليصبح جزءاً من ذاكرة أمريكا الثقافية وأحد المعالم التي يؤمها السياح.

كان الطقس في منتصف أغسطس حاراً ورطباً، وبما أن منزل الكاتب خالٍ من أجهزة التكييف حفاظاً على ملامحه بجدرانه وسقوفه وأركانه، فقد نصب القائمون عليه مراوح كبيرة في كل حجرات المنزل للتخفيف من حرارة الجو. في صالتي الاستقبال والمعيشة في الطابق الأرضي كانت اللمسات الأوروبية طاغية على قطع الأثاث والتحف التي جمعها الكاتب خلال إقامته في أوروبا. وعلّقت صوره في مناسبات عدة ومع ضيوف مختلفين ومع عدد من زوجاته وأبنائه على الجدران، فيما بدت ملامح الثقافة الإفريقية واضحة على المجسمات والتماثيل التي جلبها معه أثناء


هيمنجواي مع أحد أطفاله وقططه

كي وست

هي أبعد المدن في البر الأمريكي توغلاً في الجنوب، وهي تقوم على رأس جزيرة، ضمن أرخبيل يعد امتداداً نحو الجنوب الغربي للرأس البري الذي تكوّنه ولاية فلوريدا.
وُصف مناخها بأنه «بديع»، حتى إن الرئيس الأمريكي هاري ترومان (1945-1953م) اختارها مقراً للبيت الأبيض في فصل الشتاء.
فيها ميناء للسفن السياحية التي تسير على خطوط إلى جزر البحر الكاريبي، والمكسيك وأمريكا الوسطى والجنوبية. وفيها مرفأ لزوارق صيد الأسماك. كذلك فيها مطار دولي.
وقد جاء في وصف كي وست، في كتاب: «أين كانوا يكتبون»، لفرنسيسكا بريمولي- درولیرز، إنها «تقع في أقاصي العالم، آخر منعطف وآخر نقطة في المحيط الأطلسي، حيث زبد البحر يتشظّى إلى عدد من الجزر، قبل أن يختفي في المياه القاريّة. هذه المنطقة عبارة عن شواطئ بيضاء، تعلوها قامات النخيل الباسقة، فوق الرمال الذهبية..».







رحلاته الاستكشافية إلى تلك القارة، حيث كاد في إحداها أن يُقضى عليه حين هوت به وبزوجته الطائرة التي كانت تقلّهما في أحد الأدغال.

الحياة عيد متنقل

في حجرة المعيشة التي تكفي ربما لثمانية أشخاص، كانت الجدران تزدان بالصور أيضاً، بينها صوره في أوروبا وفي كوبا وأمريكا ضاحكاً أو باسماً وسط الناس ممتلئاً بالحياة. لكن البحر كان صديقه الأول والنهائي ولذا تراه واقفاً بحماسة إلى جانب الأسماك الكبيرة التي كان يصطادها وأصدقاؤه من المحيط، فيما يحيط به الناس. وعلى جدار آخر كانت إطارات تحفظ الشيكات التي كانت تُدفع له لقاء ما يكتبه من روايات أو تغطيات صحفية. وفي خزانات مغلقة تم حفظ الطبعات الأولى من بعض أعماله، وظهرت على الجدران ملصقات لأفلام اقتبست عن رواياته لمحت بينها، «وداعاً للسلاح» و«الشيخ والبحر» و«الشمس تشرق مرة أخرى»، وصور من رحلاته البحرية بقاربه الأثير.

صعدنا السلم الحديد إلى الطابق الثاني، وهناك قادنا المرشد إلى حجرة نومه. غرفة متوسطة تحتضن السرير الواسع المغطَّى بألحفة بيضاء، تجاوره من الجانبين منضدتان وعليهما مصباحان مضيئان. لكن ضوء النهار القادم عبر النوافذ الزجاجية الكبيرة كان يختلط بالضوء المدعوم من ثريا السقف المضيئة لتصبح الغرفة مسرحاً للضوء. فوق سريره تماماً نُصبت لوحة مرسومة باليد لواجهة المنزل من الخارج يحلِّق في جزئها العلوي الحمام فيما تفترش القطط أرض الحديقة.





التفت إلى صوت المرشد وهو يدعونا إلى السير وراءه باتجاه مبنى مجاور آخر. كان للمرشد تلك الملامح الشبيهة بهيمنجواي، الوجه المربع، واللحية البيضاء الكثة، والنظرة الدافئة المحدقة في البعيد والجسم الممتلئ. لكن قامته لا تنازع قامة الروائي العالية والجسورة كما قرأنا عنها. فكرت لوهلة أنه أحد أقاربه، ولم أجرؤ على سؤاله عن جذور الشبه بينهما، لكنني قرأت لاحقاً أن هناك مسابقة سنوية تقام في شهر يوليو من كل عام لانتخاب الرجال الأكثر شبهاً بالروائي الكبير، وخمَّنت أن بعض هؤلاء يصبح ضمن الطواقم العاملة في متاحف هيمنجواي ومنازله.

سرنا باتجاه المبنى الخلفي المواجه لبركة السباحة تماماً. صعدنا سلماً آخر ودخلنا ممراً ضيقاً أُغلق بشبك حديدي دون أن يحجب الرؤية. كانت هذه مكتبته، وبدت طاولة كتابته مستكينة وكأن صاحبها غادرها للتو، عليها بضعة كتب وآلته الطابعة وحولها مقعده، ومقعد أخضر كبير أمامه مسندة رجل أعدت للقراءة المريحة. وعلى الجدران تحف وأثريات ذات طابع إفريقي، رأس غزال وسمكة محنطتان ومثبتتان على الجدار، ساعة حائط، وخزانات كتب متوسطة العلو، ولوحة في الركن على مسند رسم، وشنطة يد مركونة تحت الطاولة. هنا في هذا المكان كتب جملة من أعماله الكبيرة: ثلوج كلمنجارو، وموت في الظهيرة، ورجال بلا نساء، ولمن تقرع الأجراس، وتلال إفريقيا الخضراء، وأن تملك أو لا تملك، وغيرها من القصص القصيرة والمقالات.

السعادة حتى آخر بنس

غادرنا المكتبة نزولاً باتجاه أحد معالم المنزل - المتحف: «بركة السباحة». وقفنا في أحد أركانها وأشار مرشدنا إلى بعض صور البركة قديماً وحديثاً والمثبتة على أطرافها، ثم أردف قائلاً: بدأت خلافات هيمنجواي وبولين من هذا المكان. ففي ثلاثينيات القرن الماضي كانت برك السباحة قصراً على الأثرياء، ولذا كان التفكير في حفرها آنذاك مجازفة من هيمنجواي. الأرض التي أصبحت

كان يكتب واقفاً

في مكتبته كان هيمنجواي يفضِّل الكتابة واقفاً. كان يقول: «الكتابة وأنا واقف، تساعدني على فقدان السمنة. إضافة إلى ذلك، فالكتابة في هذه الوضعية تمنحني الحيوية. أفضّل كتابة النصوص المتعلِّقة بالوصف، باليد. لكنني أستعمل آلة الكتابة عند كتابة حوارات بين شخصياتي... فلقد لاحظت أن الناس يتكلمون بسرعة الآلة الكاتبة نفسها».

من كتاب: أين كانوا يكتبون، لفرانسيسكا بريمولي- درولرز





أطلق على قاربه اسم «البيلار».. هذا الاسم الذي كان كلمة السر بينه وبين بولين في أيام حبهما الأولى..

بركة لاحقاً لم تكن سوى حلبة يتناطح عليها الملاكمون المحليون بمن فيهم هيمنجواي نفسه الذي كان عاشقاً لهذه الرياضة كعشقه لمصارعة الثيران الإسبانية التي صادق أبطالها وحضر بطولاتها، وكتب عنها كتابه «موت في الظهيرة». وعلى الرغم من أنه بادر بفكرة حفر البركة إلا أنه ترك الإشراف على بنائها لزوجته فيما غادر هو لتغطية أحداث الحرب الأهلية الإسبانية التي اندلعت عام 1936م، وقد حُفرت البركة فعلياً في الشعاب المرجانية القاسية بين عامي 1937 و1938م وبلغت تكلفتها آنذاك 20000 دولار، وهو ما أثار غضبه من بولين. وبالفعل فقد أتى المشروع على آخر بنس يملكه الكاتب. وأخذت بولين البنس وغرسته في الحاجز الإسمنتي المحيط بالبركة، أما البركة نفسها فقد أصبحت علامة معمارية في محيطها.

عُرف عن هيمنجواي ولعه بالقطط، وهي الآن بالعشرات تتجول وتتشمس في زوايا المنزل والحديقة والممرات. يلتقط الزوار الصور معها ويداعبونها وكأنها دُرِّبت على هذه المهمة. بدأت قصة القطط مع أحد أصدقاء الكاتب، وهو قبطان بحري كان يملك هراً ذا ستة أصابع وحين فكر بالمغادرة قدَّمه هدية لهيمنجواي. وهكذا تناسلت القطط عبر السنوات لتبقى منها اليوم حوالي 50 قطاً وقطة، خُصص لها منزل صغير خلف مكتبة هيمنجواي. وهناك الآن شخص مختص يعتني بأكلها وشربها ونظافتها وصحتها بأمر من محكمة المدينة. وقد سمَّى هيمنجواي القطط بأسماء الممثلين والممثلات الشهيرات، وهو تقليد سرى بعده حتى اليوم وأصبح من علامات الألفة في هذا المنزل الذي أصبح متحفاً.

«البيلار».. كلمة الحب السرية

سأل أحد الحضور عن القارب الشهير لهيمنجواي «البيلار» (the Pilar) الذي طاف به المنطقة وكان صديقه في الأسفار الصعبة. فقال إنه في هافانا اليوم في أحد المتاحف هناك. بُني هذا القارب في حوض ويلر لبناء السفن في نيويورك، وقد دفع الكاتب نصف ثمنه عند عودته من إحدى رحلاته إلى إفريقيا، وأطلق عليه هذا الاسم الذي كان كلمة السر بينه وبين بولين في أيام حبهما الأولى. وعلى الرغم من اجتياح إعصار يوم العمَّال عام 1935م تلك المنطقة فقد نجا هذا المركب من الغرق. وعندما تطلَّقا هو وبولين عام 1940م، شحن البيلار إلى كوجيمار، وهي بلدة كوبية لصيد الأسماك في شرق هافانا. وقد ألهمه هذا القارب لاحقاً كتابة روايته الأشهر «الشيخ والبحر» التي نشرها أوائل الخمسينيات، بل إن كابتن هذا القارب، غريغوريو فوينتس، وصديق هيمنجواي الأثير، كان الملهم لبناء شخصية سانتياغو في الرواية، وقد عاش فوينتس حتى عام 2002م ليرحل عن عمر ناهز 104 سنوات.





سارة ابوالحسن

تحدي المئة يوم

تبدو الفكرة بسيطة، لكن ما الذي يظهر بعد التأمل؟

الفكرة هي تكرار العمل نفسه في كل يوم، على مدى مئة يوم، مع تغيير في هذا العمل كل يوم.

فمثلاً: بدل أن تُلقي سارة أبو الحسن محارم الورق النظيف في سلة المهملات، مثلما نفعل كل يوم عشرات المرات بلا اكتراث، ارتأت أن تمارس سلوك التوفير وعدم هدر الورق، فأخذت في كل يوم تصنع لعبة من ورق، بطرق قد تبدو عصيّة في أول الأمر، لكن طواعية الورق، والفكر الخلَّاق، الذي يعمل كل يوم من الفكرة شيئاً جديداً، أدّى بسارة إلى أن تكوّن مجموعة فنية، رأس مالها ورق كان معداً للإلقاء في سلة المهملات، واجتهاد في تفكير يومي ينطلق من فكرة واحدة، هي صنع لعبة من ورق، ويغتني كل يوم بشكل جديد مبتكر.

في النهاية، حصلت سارة على مجموعة غنية ومتنوعة من مئة لعبة، انطلاقاً من فكرة واحدة، المفروض أنها تبدو لأول وهلة، ليست غنية وليست منوعة.

في النتيجة، قد يكون هذا أفضل تدريب للتفكير، من أجل دفع المرء إلى الابتكار، مهما كانت الأفكار تبدو بسيطة وشحيحة.

جرّب بنفسك أن تعمل شيئاً ما على هذا المنوال، مئة يوم على التوالي، إنه تمرين للابتكار والخلق، من لا شيء... تقريباً.

http://designobserver.com/feature/five-years-of-100-days/24678/ - http://100daysproject.co.nz

أدب وفنون



دائرة تكتمل

يحظى الفن التشكيلي في القسم الثقافي من هذا العدد ببابين: «فنان ومكان»، وبينما نختتم بهذا العدد عامنا الحالي، نكمل دائرة متنوعة من الأفكار المتعلقة بالأدب والثقافة بمفهومها الأشمل. ففي البدء يأخذنا علي الألمعي في تحقيق مميز استنطق من خلاله مجموعة من المثقفين حول قضية غاية في الحيوية، ألا وهي جدوى الحديث عن أدب محلي، بل وإقليمي، وتحديد مسوغات المفهوم حين إطلاقه. الآراء التي انطوى عليها التحقيق شكّلت في مجملها حواراً ثرياً استشهد فيه المساهمون بشواهد من المدونة الأدبية العربية بقدر ما أحالوا فيه إلى الواقع الراهن للأدب السعودي. على صعيد آخر خصص العدد مادة لمناسبة حيازة الروائي الفرنسي باتريك موديانو جائزة نوبل للآداب لعام 2014م التي أعلن عنها مطلع أكتوبر الفائت، تلقي الضوء على سيرته الكتابية ورحلته النوبلية. وحول بساتين الشعر يتقصّى ماهر الرحيلي الأمكنة في قصيدة عذبة وينظُم ما بينها بفتيلٍ يشعله من الأسئلة الشفيفة التي بها يهتدي الشاعر في ترحاله وبفضلها يبلغ مداه.

أما فيما يتعلق بالثقافة البصرية، فنطالع من جديد موضوعاً عن السينما السعودية التي طالما حرصت القافلة على تناولها بالعرض والتحليل. إضافة إلى ذلك يحوي العدد مقالاً عن تشكيل المكان كمفهوم فلسفي لدى الفنان ريتشارد سيرا، كما نزور في هذا العدد الفنان السوري سمعان خوام. وأخيراً، يلفت سلطان القثامي الانتباه إلى ملمح جديد بالاهتمام عن الكتّاب والأدباء، وهو التعامل معهم والنظر إليهم باعتبارهم مخترعين، يبدؤون صنعتهم الكتابية بخلق شخصيات وتصميم أماكن واختراع أنظمة وهندسة آلات. وهو ما يجعلنا نعيد النظر في الإبداع الأدبي بطريقة تجعل الأدباء يقفون على قدم المساواة مع العلماء.

علي المجنوني



ما مدى حقيقة هويته المناطقية؟

آراء في أقلمة الأدب السعودي

يتجه عديد من الكتَّاب في الحقل الأدبي إلى التمترس خلف الأقاليم في الكتابة عن الشعر أو الأدب بشكل عام، حيث بدا ملحوظاً تسرّب مصطلحات كالأدب الحجازي والشعر النجدي والثقافة العسيرية إلى بعض الدراسات الأكاديمية وفي كتابات بعض الأدباء والمثقفين، فهل تمرير هذه المصطلحات إلى أدبنا دقيق؟! وهل لتعميم مثل هذه المصطلحات تأثير على الثقافة المحلية والأدب بشكل عام؟! وهل في أدبنا المحلّي (بشكل عام) ملامح واضحة يمكن أن ينفرد بها ليكون هناك مسوّغ في إطلاق مثل هذه المصطلحات وتمريرها كتابياً وأكاديمياً؟!

علي الألمعي



حسين بافقيه:

الاصطلاح الإقليمي قديم والأفضل تسميته «الأدب في..»

1

يرى الناقد الأدبي والمؤرخ الثقافي حسين بافقيه أنّ للاصطلاح الإقليمي أصلاً قديماً، ونحن قرأنا في كتب الأدب قول جرير في شعر عمر بن أبي ربيعة: «هذا شعر حجازي لو أنجد في تموز لوجد البرد!» ويهمنا، هنا، عبارة «شعر حجازي»، فهي، على ما فيها من إزراء بشعر عمر، تومئ بخصائص أحسّها جرير في شعر ذلك القرشي الحجازي، لعل أهمها «اللين» و«الطرافة»، يقابل ذلك خصائص مفترضة للشعر النجدي الذي يمثّله جرير، على أننا بالإمكان عزو جرير إلى الشام لا إلى نجد، فهو شاعر من ساكنة المدن، ولكنه يعتزي من حيث الأصول إلى نجد.

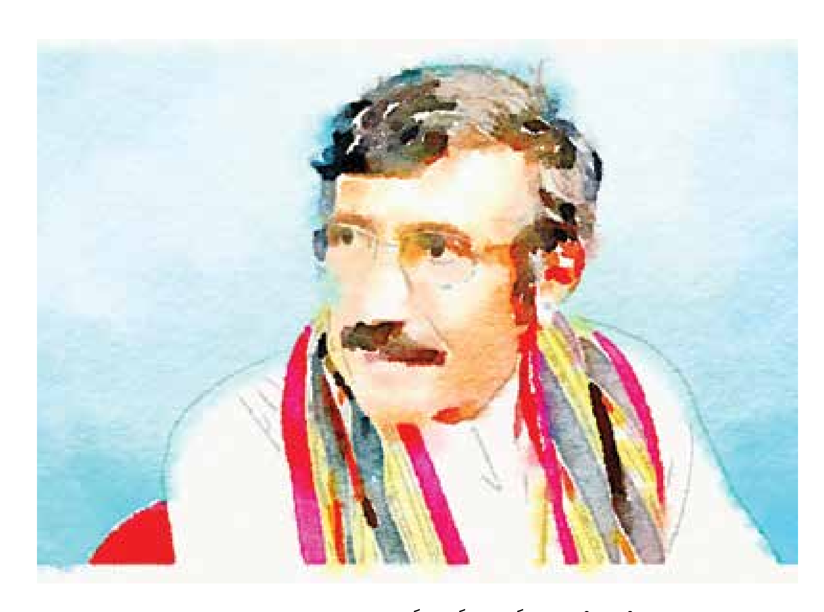
ويضيف بافقيه أنّ في مصنفات النقد عند العرب كان ثمة إحساس بالبيئة والإقليم، نظهر على شيء من ذلك في طبقات الشعراء لابن سلام، والوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني، وفي يتيمة الدهر للثعالبي، وعند هذا الأخير تقسيم للشعراء على الأقاليم والبيئات. ومن البين أن النقاد القدامى ارتضوا طريقة الثعالبي في التقسيم البيئي، فألفوا كتبًا تعدّ إتمامًا لليتيمة، ومنذ الصفحات الأولى لكتاب الباخرزي دمية العصر، وهو على نهج اليتيمة، يقابلنا



المؤلف بعبارات نستبين فيها خصائص وسمات للشعر في البيئات المختلفة، ومن بينها بيئة البادية الحجازية، وألفى الباخرزي في شعرها مزايا تحتفظ بأصول بدوية لم يجد لها شبيهاً لدى شعراء الأمصار الأخرى، إذن الخصائص لا تخفى على الدارس بين إقليم وإقليم، ولكنه «تنوُّع» في «الوحدة» التي ظلت تربط الأدب العربي، مهما اختلفت أقطاره، بروابط واحدة، وسمات، هي جزء من الطبيعة الفنية للأدب العربي.

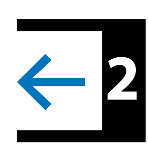
ويذكر بافقيه أنّه منذ بدأ الأدب الحديث في المملكة قرأنا عناوين واضحة عن «أدب الحجاز»، و«أدب نجد»، و«أدب عسير»، و«أدب الأحساء»، و«أدب جازان»، وربما عجب بعض الدارسين من هذه التسميات، وربما بالغ ورأى في ذلك غمزاً في الوطنية، فكيف يكون اسم البلاد «المملكة العربية السعودية»، ونحن نتحدث عن أدب إقليم بعينه؟ والحق أن المسألة تتصل اتصالاً وثيقاً بطبيعة الثقافة العربية، وهي ثقافة، مهما تنوعت الأقطار، لديها ما يجمعها ويشدها إلى بعض، ثم إن الآداب الإقليمية ارتبطت بأمرين: أولهما النظريات العلمية في القرن التاسع عشر، وبخاصة نظرية هيبولت تين التي جعلت الأدب نتاجاً لطبيعة البيئة والإقليم، وتأثرت الثقافة العربية بهذه النظرية فجعلت تبحث عما يقابلها في أدبنا، والأمر الآخر، وهو مهم جدّاً، أن الدولة الإقليمية الوطنية الحديثة -دولة الحدود والهوية الوطنية- مفهوم بالغ الجدة والحداثة في الحياة العربية، ولم يألف الناس ولا المثقفون، في بدء ولادتها، الاعتزاء إلى هوية كلية جامعة، وانتموا إلى الإقليم بل وإلى المدينة، وللتدليل على ذلك أذكر نموذج العراق، وتجربته في الدولة الوطنية عريقة جدّاً، فالعراقيون حين أعلنت دولتهم الحديثة سنة 1920م لم يكونوا ينتسبون إلى الهوية «العراقية»، وإنما يقال: «بغدادي»، «بصري»، «موصلي»، وهكذا، ولم يختلف الأمر في بلادنا، فمضت عقود طويلة والناس ينتسبون إلى أقاليمهم، فهذا حجازي وذلك نجدي، وهذا عسيري وذاك أحسائي... إلخ، واحتجنا في المملكة إلى سنوات طويلة، وتحوّلات ضخمة لنسمع الهوية الوطنية الجامعة «سعودي».

ويلفت بافقيه الأنظار إلى أنّه يجب علينا ألاّ ننسى أن مواطني هذه البلاد كانوا يعيشون قبل عقود في دوائر مغلقة، إلا ما ندر، فأظهر ذلك آداباً محدودة بحدود الإقليم، وإن كانت تمتاز بخصائص أدبية جامعة، حين تأثر أدباؤنا بالآداب العربية، إبان الحقبة الرومنطيقية أو الحقبة الواقعية، على أنه يصعب اليوم تمييز أدب أو ثقافة بالإقليم، فخصائص الأدب أوسع من حدود الإقليم والبيئة. وفي الأدب من معاني الفردية ما يحول دون أن يلوذ الأديب بحدود الإقليم بل بحدود البلاد التي ينتمي إليها بجامع وطني. إلاّ أنّه يستدرك بقوله : وأنا أقرأ الأدب في حدود اللغة والثقافة التي يعتزي إليها، وأجد في حرف الجر «في» مندوحة عن الترس خلف الإقليم والوطن، فالأدب عربي لأنه ينتمي إلى اللغة العربية والثقافة العربية، وتجدني لا أستسيغ عبارة مثل «الأدب السعودي»، وأجد عبارة «الأدب في المملكة العربية السعودية» أشد بياناً لأنها تصل أدب هذه البلاد بشجرة الأدب العربي، ومثلها عبارات «الأدب الحجازي»، «الأدب النجدي»، «الأدب العسيري»، «الأدب الأحسائي»، «الأدب الجازاني»! على أن عبارة «الأدب في...» لا تحول دون خصائص نفسية أو ثقافية بين بلاد وبلاد وبين إقليم وإقليم، وربما حسبناها مشكلات ثقافية واجتماعية أكثر منها أدبية.



إبراهيم طالع الألمعي:

الثقافة ابنة بيئتها وأرقى أشكالها في التنوع



أما الكاتب والشاعر إبراهيم طالع الألمعي فيرى أنّ الهوية الثقافية - بشكل عام - تنطلق من بؤرة بيئتها وأشخاص مبدعيها، فيحق لك في ولاية نيويورك أو محافظة بغداد ودمشق والإسكندرية أو صنعاء أو حضرموت أن تنسب فناً من الفنون إلى مكانه (الصنعاني – الحضرمي – الدمشقي ...إلخ).

ويضيف الألمعي: «في كل البلدان التي عرفتُها أو سمعتُ عنها، تتشكّل ثقافاتها (أدباً وفكراً وفناً وصناعات ومهارات...) من إجمالي وحداتها وأقاليمها منتجةً ثقافة وطنية أو قوميّة شاملة كل هذه الأقاليم.. فما الذي أجْفَلَكَ ومنْ معك انطلاقة ناقد أو أديب أو كاتب أو إعلاميّ قرّر فك قيد ثقافة عربية ظلمها زمن وتاريخ العروبة عبر القرون، ورسّخنا هذا الظلم خلال العقود الأخيرة التي هيمنَ عليها فكرٌ أحاديّ ينطلقُ مما يدركه هو فقط، وفرض فكراً وفنوناً أحادية حاصرتْ ثراء أقاليم الوطن الضاربة في العمق والتاريخ والجمال... ويتساءل الألمعي: ما الذي رأيتموه غريباً في الحديث عن ثقافة نجدنا بصفتها تمثل حضارة الصحراء الباسقة كنخيلها؟ وما الذي أخافكم من ظهور أدب الحجاز بروحيات المكان في الحب والغناء ورقّة الحضارة التي شكّلتها التركيبة السكانية المتنوعة.

ولمَ لا نشجِّعُ أقْلَمَةَ الثقافة ونزهو بثقافتنا في (رجمتْ) –نجران– بكل ما تحمله من بقايا أصالة العروبة وجذورها وأديانها الثلاثة التي اصطرعت فيها عبر تاريخها؟ ويشير الألمعي إلى أننا نمثّلُ جزيرة العرب، وما أدراكم ما جزيرة العرب!! هاجرَ عنها الفاعلون مع الفتح العربي، وكتب عنها –عن بُعْد– كتبة من خارجها، ولمْ يكتبوا سوى ما وصلهم وبفهم قصورهم في بغداد ودمشق وسواهما.

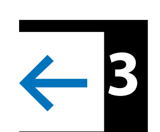
ويضيف الألمعي، اليوم وقد أضحينا في عالم ما بعد الحداثة، دعوا الأرض وبنيها تنطق بما حوته. وادعوا –كمثقفين– إلى تطوير وتمدين وتدويل حضارة القبيلة العربية، فلنْ يستطيع أحد أياً كان نزع انتمائك إلى أهلك، حتّى لو رأى بعض المنظّرين أنّ زمن الأسَريّة والقبيلة سينقرض، فنظرياتهم بيئية تنطلق من ثقافات أمكنتهم، والوطن هنا يعجّ بثقافات وفنون ومذاهب وجمال متنوع لا تدفنه الإرادات الشخصية لدى مخطّطٍ لا ينتمي، والانتماء يبدأ بالأسرة فالقبيلة فالعروبة، ولا تغترّوا بجهل الجاهلين بمفهوم القبيلة الذين خلطوا بينها وبين العنصرية البغيضة المتخلفة..

ويتساءل الألمعي : أترى أن شاعراً مجيداً نابعاً من جبالك هذه يستوي مع مجيدٍ آخر من مكة أو الصحراء؟؟ إلاّ إذا كان ينظمُ شعره على غرار محفوظاته من مكتبة الشعر الجاهزة. ويجيب بأنّ الشاعر الحقيقي تظهر في شعره أنسنة وأخيَلَة وموقّعَة مكانه وتاريخه، ثم للناقد والزمن الحكم على مستوى شاعريّته.. وإلاّ فلمَ ظهرت لك حياة جبال لبنان في شعر شعراء المهجر مثلاً؟

وأخيراً فالذين يعتقدون بأن حصار ثقافة البلد في خطّ محفوظٍ واحد، ويخلطون بين التنوّع وبين تشتيت الوحدة الوطنية، لا يدركون أنّ أرق وحدة هي وحدة التنوع، بل لا يدركون أن كلمة وحدة وتوحيد تعني اتّحادَ متنوّعات لا إلغاءَ أنواعٍ لنوع...

خالد الرفاعي:

الاسترسال في التجزئة يتعارض مع طبيعة هذه المرحلة



ويرى الناقد والأكاديمي الدكتور خالد الرفاعي أنّ الأساس الزمنيّ أحد الأسس السائدة في تقسيم الأدب العربي، وإذا كان الاعتماد على هذا الأساس كافياً في التعامل مع الأدب القديم فإنه ليس كذلك في التعامل مع الأدب الحديث لاعتبارات متعدّدة. من هنا جاءت فكرة التوسّل بالجغرافيا لتجزئة الأدب في العصر الحديث، بهدف تغطية جوانب التمايز بين الدول العربية في عدد من المستويات المهمة كالسياسة والاقتصاد والمجتمع، وأثرها المفترض في التجربتين: الفكرية والأدبية. ويضيف الرفاعي أنّ الأجواء المهتمّة بالأدب في مصر والشام والعراق دون غيرها من الدول العربية تشكّل وعي الروّاد في المملكة العربية السعودية، خاصة من كان منهم متابعاً للحركة الأدبية في مصر كعبدالله بن إدريس،

أو من كان منهم مبتعثاً للدراسة في الجامعات المصرية كمنصور الحازمي، وإبراهيم الفوزان ومحمد بن حسين، وحسن الهويمل، وآخرين، وكان السؤال عن الأدب السعودي هو السؤال الأبرز، وربما كان سؤال المرحلة إن صح هذا التعبير.. وقد أفضى بأكثرهم إلى رصد ملامح الأدب في إقليمين من أقاليم المملكة، هما: الحجاز ونجد، فكان كتاب (شعراء نجد المعاصرون 1380) لابن إدريس، أعقبه كتاب (الأدب الحديث في نجد 1391) للدكتور محمد بن حسين، و(اتجاهات الشعر المعاصر في نجد 1404) للدكتور حسن الهويمل وغيرها، وعلى مستوى إقليم الحجاز لمع اسم الدكتور إبراهيم الفوزان في دراسته للماجستير عن (الأدب الحديث بين العواد والقرشي 1390) ودراسته للدكتورة في (الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد 1401)، وقد تمكنت هذه الدراسات مجتمعة من الإجابة عن السؤال السابق، وأسهمت في فكّ العزلة عن الأدب السعودي، إلى الحدّ الذي وجدنا فيه العقاد ومندور والزيات وطه حسين يحتفلون ببعض التجارب الشعرية في الحجاز ونجد، ويطرحون حولها عدداً من الأسئلة. هذا بالإضافة إلى اهتمام عدد من أساتذة (الأزهر) و(القاهرة) بهذه التجارب، وهو اهتمام بدا واسعاً ومفاجئاً في مناقشة الرسائل العلمية كما يشير الدكتور الهويمل في إحدى مقالاته. ولذلك ظلت تلك الدراسات محتفظة بقيمتها التاريخية إلى يومنا هذا، وما زال مكانها مشرَّفاً في المكتبتين المحلية والعربية.

ويشير الرفاعي إلى أنّ هذه التجربة الناجحة انتقلت –عن طريق الروَّاد أنفسهم– إلى الجيل التالي (جيل التلامذة) وأخذت –على مستوى الدرس الأكاديمي– ثلاثة مسارات مهمة:

- **المسار الأول:** الاهتمام بأدب الأقاليم التي لم تحظ باهتمام في العقود السابقة، ومن أمثلة هذا المسار: (الشعر في منطقة جازان) لحسن النعمي، و(الشعر في المنطقة الشرقية) لإلهام الغنّام، و(الشعر في المنطقة الشمالية) لعبدالله الغفيص..
- **المسار الثاني:** دراسة الفنون الأدبية في المملكة العربية السعودية، وقد غطَّت الدراسات في هذا المسار عدداً من الفنون، كالمقالة، والقصة القصيرة، والرواية، والسيرة الذاتية وغيرها.
- **المسار الثالث:** اعتمد على ما يمكن تسميته تجزئة المجزّأ، أي استهداف منطقة من المناطق أو مدينة من المدن بالدرس، كما نجد في (حركة الشعر في منطقة القصيم) لإبراهيم المطوع، و(الشعر في منطقة الرياض) لخالد الحافي، وأفادت الدراسات المندرجة تحت هذا المسار مما أنجزه الأدباء في المرحلة التالية لصدور الدراسات الرائدة عن الأدب في الحجاز ونجد.

ومن حيث الجملة فقد سلَّطت دراسات الجيل الثاني الضوءَ على عدد كبير من التجارب الأدبية، وأسهمت أيضاً في تقديم خريطة عامة لتاريخ الفنون الأدبية في المملكة، وجلّت للقارئ قيمتها من الناحيتين الموضوعية والفنية. ويلفت الرفاعي الأنظار إلى أنّ المشكلة التي نعاني منها اليوم تكمن في إصرار الجيل الثالث على الاستمرار في هذه التجربة دون مسوغ منهجي واضح، ولقد لمست لدى بعض الباحثين رغبة في تجزئة المجزأ مرتين، أي البحث في أدب المحافظات مع وجود دراسات استهدفتها ضمن أدب المدينة أو المنطقة أو الإقليم، وكأنّ الهدفَ الأبرز لمثل هذه الممارسات إيجادُ عناوين جديدة لبحوث معادة ومكرَّرة! أو محاولة تلميع المكان وإبراز منجزات أبنائه، كما لو كانت منجزات خاصة، تؤثر وتتأثر بمكان ما دون غيره !

ويضيف الرفاعي أنّ التجارب الأدبية اليوم ليست بحاجة إلى الوظيفة التسويقية للنقد، وإنما بحاجة إلى الوظيفة التفهمية، التي تسهم في إعادة إنتاج النصّ، وتوليد دلالاته.. وأرى –في هذا السياق– أن الاسترسال في الحديث عن أدب خاص بإقليم، أو منطقة، أو مدينة، يتعارض مع طبيعة المرحلة، التي تخضع لفكرة العولمة، ودكّ الحدود الفاصلة بين الثقافات فضلاً عن الأمكنة التي تستظل بظلّ ثقافة واحدة.. ويرى الرفاعي أنّ هذا النوع من الدراسات قد أدى وظيفته على امتداد نصف قرن من الزمن، وليس له مسوغ منهجي في هذه المرحلة، وأتطلع إلى أن تكون لكليات اللغة وأقسام الأدب معايير علمية واضحة في فحص هذا النوع من الدراسات، ورؤية مستقبلية تسهم في توجيه الباحثين إلى الإجابة عن أسئلة قائمة وملحّة!

أحمد السيد عطيف:

التقسيمات أمر طبيعي وهي ضرورية للدارسين

4

أما الكاتب والشاعر أحمد السيد عطيف فيرى أنّ هذه التقسيمات الإقليمية أمر طبيعي ولا حرج منها، وهي تقسيمات داخل عنوان الأدب السعودي، ولا أعتقد أنه يمكن، لأي دراسة أدبية، تجنبها، فهو تقسيم إقليمي حسب البيئة ذات المعطيات الواحدة لغة وجغرافيا ووجداناً. ويضيف عطيف أنّ هناك ملامح فارقة تجعل التقسيم مبرراً، فبيئة كنجد تشكل الصحراء معطاها الأول، ولا بد أن شعراءها (الصادقين) سيعكسون ملامحها.. وسيعكس الحجازيون عبق الحجاز الروحي وتعدد الثقافات المندمجة فيه، وامتداد البحر وما سقاه لوجدانهم. في عسير للجبال حضورها بالتأكيد، والصادقون هم من يظهر فيهم انعكاس ما لبيئتهم وروحها.. ويذكر عطيف أنّ هذه الفوارق البيئية والتاريخية مهمّة الدارسين، لكنهم لن يجدوها إلاّ عند الشعراء الصادقين في تمثلهم لبيئتهم كما يتمثل النبات الماء الذي سقاه..



مرة أخرى، تفاجئنا الأكاديمية السويدية بمنح جائزة نوبل للآداب لاسم غير متوقع على الإطلاق: الروائي الفرنسي باتريك موديانو. ولا يعود عدم التوقع إلى أي شكل من أشكال التقييم أو التقدير، بل إلى كون صاحب الاسم، باعتراف الأكاديمية السويدية نفسها، شبه مجهول تماماً خارج بلاده، وخارج دوائر المثقفين الناطقين بالفرنسية.

عبود عطية



نوبل للآداب لعام 2014
باتريك موديانو
من فرنسا إلى العالم

جاء في إعلان الأكاديمية السويدية عن منح الفرنسي باتريك موديانو جائزة نوبل للآداب للعام الجاري 2014م، أنها اتخذت قرارها هذا بسبب «تمكنه من فن الذاكرة الذي عالج من خلاله المصائر البشرية العصية على الفهم وكشف العوالم الخفية للاحتلال».. الأمر الذي علَّق عليه في اليوم نفسه أحد النقَّاد في مجلة «نيويوركر» الأدبية الشهيرة بقوله إنه بات من تقاليد الأكاديمية السويدية وهي تعلن اسم الفائز بجائزة نوبل للآداب أن تنمِّق إعلانها والدافع إلى منح الجائزة بعبارات شاعرية، علينا نحن القرَّاء العاديين أن نتلقفه، وأن نرى فيه قدرة الأكاديمية على أن تقرأ بعمق ما لا يستطيع أي كان قراءته.

وكما في كل عام، انقسم النقاد و«القرَّاء العاديون» بين مصفِّق، وبين متحفظ. ولكن قبل أن نتطرق إلى بعض ردود الأفعال هذه، لا بد من التوقف أمام سيرة هذا «الذي عالج المصائر البشرية العصية على الفهم..»!

سيرة تنقصها صفحات

من هو باتريك موديانو؟
يقول الجواب الذي أعطاه سكرتير الأكاديمية السويدية بيتر إنغلوند عقب إعلان الجائزة: «إن أناساً كثيرين خارج فرنسا يجهلون موديانو وأعماله. إنه معروف جيداً في فرنسا، ولكن ليس في كل مكان».

في ليلة واحدة، بين التاسع والعاشر من أكتوبر، لاحظنا أن سيرة موديانو على موسوعة «ويكيبيديا» مثلاً تضاعفت مرتين، وباتت تغطي العناوين الكبرى من مراحل حياته. ولكن هذه السيرة تثير كثيراً من الأسئلة التي لن تتأخر أجوبتها كثيراً، بعدما صار الرجل نجماً عالمياً، وسينبش الصحافيون والنقَّاد أدق التفاصيل في ماضيه.

جاء في سيرة الرجل أنه ولد في إحدى الضواحي الغربية لمدينة باريس في 30 يوليو 1945م، أي بعد شهرين من انتهاء الحرب العالمية الثانية. وأنه تنقَّل بين مدارس الضواحي قبل وصوله إلى الدراسة الثانوية في «ليسيه هنري الرابع» في باريس، وهي أرق





موديانو في
عمر مبكِّر

المدارس الثانوية في العاصمة الفرنسية على الإطلاق. وفي هذه الثانوية، تلقَّى موديانو حصصاً في الهندسة من أستاذ كان أيضاً كاتباً متوسط الشهرة والمستوى هو ريمون كينو. وكان للصداقة التي جمعته بأستاذه أثر كبير عليه. فلم يتابع أية دراسة جامعية، بل صار رفيقاً لكينو الذي راح يعرِّفه على عالم الأدب والأدباء في باريس. حتى كان العام 1968م، عندما أصدر موديانو روايته الأولى «ساحة النجمة».

وتقول سيرة الأديب أيضاً إنه عاش طفولته في كنف جدّيه لأمه اللذين علَّماه اللغة الفلامنكية أولاً، دون أن تشرح لنا سبب تخلي والديه عنه. وتقول سيرته إن عائلته نبذته تماماً عندما كان في فتوته، حتى إنه عندما قصد والده ذات مرة في بداية الستينيات ليطلب منه بعض المال، كان جواب الوالد استدعاء الشرطة!؟

وروى موديانو بنفسه لإحدى المجلات الفرنسية قبل سنتين، أنه بعدما حاز الشهادة الثانوية، عمل في بيع الكتب في شوارع باريس ليؤمِّن لقمة العيش، وأنه تعلَّم تقليد خطوط بعض كبار الكتَّاب الفرنسيين ليزوِّر توقيعات الإهداء على كتبهم.

شخصيته تحدَّدت باكراً

تمحورت رواية موديانو الأولى «ساحة النجمة» (الميدان الشهير الذي يتوسط باريس) حول رجل يهودي يتعاون مع النازيين خلال احتلالهم للعاصمة الفرنسية في الحرب العالمية الثانية. واللافت في هذا الموضوع أمران: أولهما، توقيت نشر مثل هذا الموضوع. ففي الستينيات كانت فرنسا قد بلغت ذروة انغماسها في أسطورة صوَّرتها كبلاد المقاومين للنازيين. وجاء توقيت نشر هذه الرواية في مايو 1968م، ليتزامن بدقة مع الانتفاضة الطلابية ضد حكم الرئيس المقاوم شارل ديغول. فكان لها وقعها الملحوظ عند الراغبين في تحطيم صورة المقاومة المبالغ فيها.

أما الأمر الثاني، فهي الصلة المحتملة بين هذه الرواية وشخصية والد الروائي. فوالده ألبير موديانو كان يهودياً. وتقول مصادر عديدة «إنه لم يتقدَّم إلى مراكز تجميع اليهود التي أقامها النازيون في

باريس، بل ظل يمارس أعماله في السوق السوداء، ويشاهد دائماً بصحبة رجال الغستابو في أحد شوارع باريس»، دون إلصاق تهمة التعاون مع النازيين به. فهل كانت شخصية بطل «ساحة النجمة» مستوحاة من سيرة والد الكاتب. لم نجد مصدراً واحداً يربط بينهما. ولكن ما ترويه مصادر عديدة هو أن الوالد غضب بشدة من رواية ابنه وحاول شراء كل نسخها من السوق!؟

وسواء أكان هذا الرابط صحيحاً أم لا، فالأمر ليس مهماً، أو لم يعد كذلك. المهم، أن رواية موديانو الأولى هذه تضمَّنت كل ما هو أساسي في شخصيته الأدبية ومزاجه. وفي كل أعماله اللاحقة، ستحضر باريس كإطار مكاني والحرب العالمية الثانية كإطار زمني (قد يمتد إلى بداية الستينيات) لأشخاص يعانون من إشكالات مختلفة مع هويتهم.

رواياتٌ أصداءٌ لبعضها

كتب موديانو 29 رواية حتى اليوم، وصفتها الأكاديمية السويدية بأنها «تُعد أصداءً لبعضها البعض، تتكرر فيها مواضيع الهوية والفقدان والأمل». أما الباحثة كليمانس بولوك من جامعة بنسلفانيا التي أعدت أطروحة دكتوراة حول أدب موديانو، فعددت من القواسم المشتركة الحاضرة في كل رواياته: العودة إلى الماضي، خطر الاختفاء، ضبابية حدود الأخلاق، والجانب المظلم في النفس البشرية.

وفي تفسير هذا الجانب الحائر والسوداوي إلى حدٍّ ما في أدب موديانو، يورد النقاد المناخ الاجتماعي القائم الذي عاش فيه الأديب خلال شبابه في باريس خلال حرب الجزائر، التي يقول عنها: «لقد خطفت حرب الجزائر القسم الأكبر من أفضل عِقد في عمري.. لقد كانت فترة حافلة باللقاءات الغريبة بأناس كبار في السن، غرسوا في نفسي الإحساس الدائم بالخطر».

وفي تصفح سريع لمحاور عدد من رواياته، نجد في «شارع الدكاكين المظلمة» (المترجمة إلى الإنجليزية بعنوان «شخص مفقود» وإلى العربية لاحقاً عن الملحقة الثقافية السعودية في باريس)، شخصاً يعاني من فقدان الذاكرة، ويسافر من بولينيزيا الفرنسية إلى روما بحثاً عن ماضيه. وهي أكثر الروايات وضوحاً لجهة قمة البحث الذي لا ينتهي عن الهوية.

وتدور رواية «دورا برودر» (التي ترجمت إلى الإنجليزية بعنوان «مذكرة تفتيش دورا برودر»)، حول فتاة عمرها 15 سنة تهرب من الدير الذي كانت تحتمي فيه لتنتهي في أحد المعتقلات النازية.

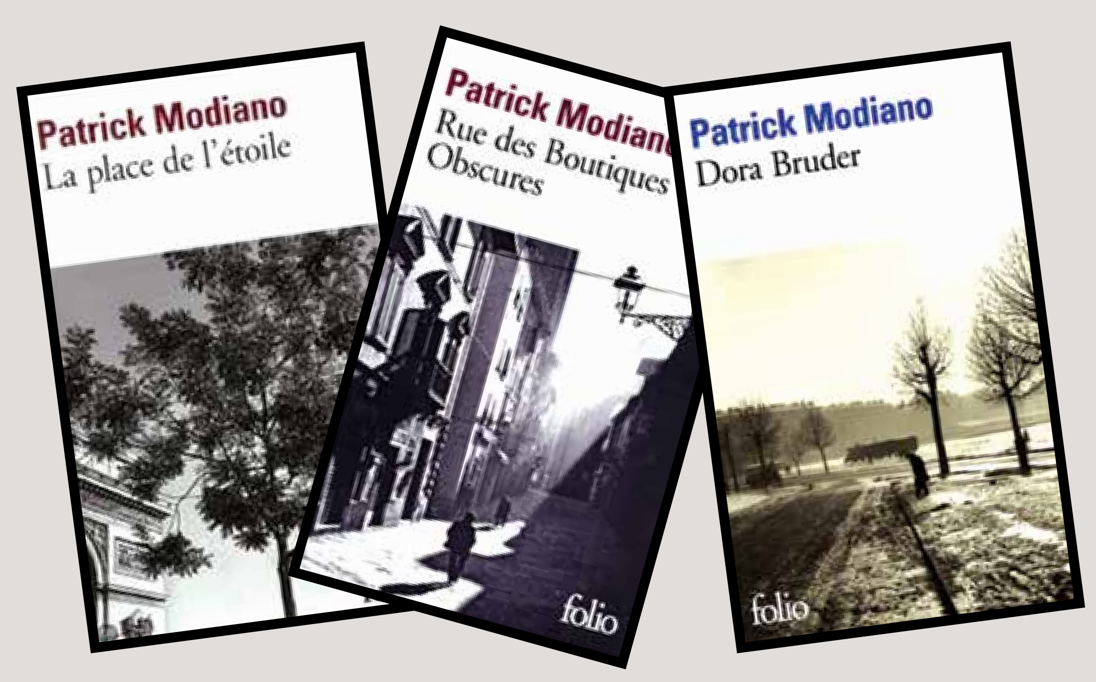
وفي روايته السادسة والعشرين «الأفق» التي صدرت عام 2011م، نرى رجلاً يُدعى بوسمان يطارده شبح أمه، ويغوص بحثاً عن أناس فقدهم منذ زمن طويل. فقد أحب هذا الرجل امرأة في ستينيات القرن الماضي، وأمضى معها عدة أسابيع في شوارع باريس، ولكن أقلّها ذات يوم قطارٌ اختفى بها. وبعد أربعين سنة، ها هو البطل يبحث عنها.

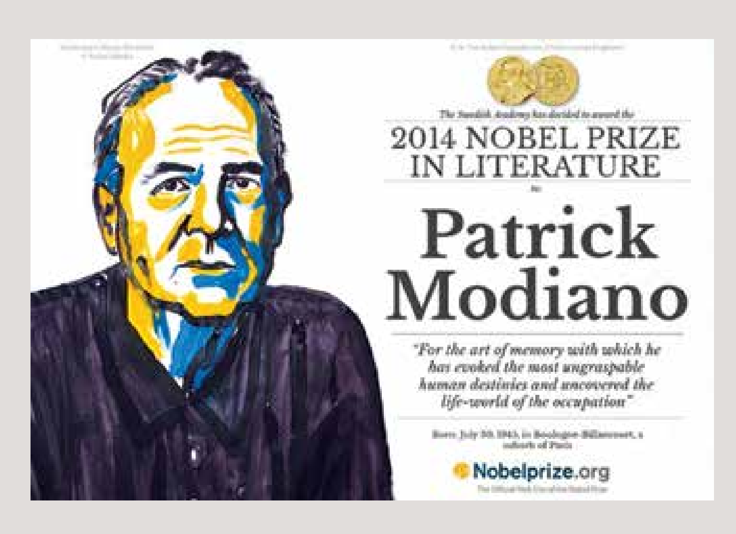
أديب فرنسي جداً، ولكن..

حاز موديان جوائز عديدة قبل جائزة نوبل. ومن أهمها جائزة الأكاديمية الفرنسية للرواية عام 1972م على روايته «شوارع الحزام»، وجائزة غونكور المرموقة عام 1978م على روايته «شارع الدكاكين المظلمة».. وجائزة الدولة النمساوية للأدب الأوروبي عام

كفى ترشيحاً لفلان أو فلان

واحدة من أكثر المفارقات رواجاً في الإعلام الثقافي أينما كان في العالم، هو الزعم أن فلاناً مرشَّح هذا العام لجائزة نوبل. لأن الواقع يقول إن لا أحد يعرف من هم المرشحون فعلاً. فالأكاديمية السويدية تدعو جهات محدَّدة في عالم الأدب إلى ترشيح من تراه أهلاً للجائزة. وتشترط السرية المطلقة. ولا تعلن إلا عدد المرشحين الذي وصل لجائزة العام الجاري إلى 210. أما أسماء المرشحين حقيقة فتبقى طي الكتمان لمدة خمسين سنة!





2012م.. وكان يفترض بمثل هذه الجوائز أن تدفع بترجمة أعماله إلى معظم لغات العالم، وأن تسلِّط عليه الضوء خارج فرنسا. ولكن لا شيء من ذلك تقريباً قد حصل.

فنحو ثلث رواياته فقط تُرجمت إلى الإنجليزية. وحصلت مجلة نيويوركر على أرقام مخجلة لمبيعات كتبه في أمريكا، حيث لم تتجاوز مبيعات روايته الشهيرة «شخص مفقود» حتى لحظة إعلان فوزه بنوبل 2425 نسخة.

المطلِّعون من النقَّاد ردُّوا وجود هذه الستارة حول أدب موديانو إلى كونه «شديد الفرنسية». ولكن المنصفين منهم أضافوا إلى تجانس أعماله مع بعضها، عنصراً أساسياً يجعله يستحق جائزة نوبل، بإشارتهم إلى أن البيئة المحددة، والفرنسية جداً، هي مجرد منطلق إلى هموم إنسانية عامة. وهنا بالذات تكمن مهمة الجهة المانحة لجائزة نوبل، ألا وهي لفت أنظار العالم إلى أدب يفترض بكل هذا العالم أن يكون معنياً به، وليس فقط البيئة التي أنجبته.

ولذا، وبموازاة المفاجأة التي شكَّلها فوز موديانو بجائزة نوبل للآداب، حتى للأديب نفسه ولأقرب الناس إليه وأكثرهم اطلاعاً على أعماله، سارع الكثير إلى الترحيب بالنبأ، واعتبروه إحقاقاً للحق.

ففي يوم 9 أكتوبر، وصفت صحيفة «نيويورك تايمز» باتريك موديانو بقولها إنه «مارسيل بروست عصرنا»، ووصفه توموسون روبرت في صحيفة الغارديان في اليوم نفسه بأنه «واحدة من أروع الأشجار في الأدب الفرنسي».

ولكن، وفي صحيفة الغارديان نفسها ظهر رأي مغاير. إذ يبدو أننا نحن العرب لسنا وحدنا في التذمر من «انحياز» الأكاديمية السويدية.. فقد كتبت إيما بروكس مقالة غاضبة بعنوان «الفضيحة الكبرى في فوز موديانو بنوبل»، اتهمت فيها الأكاديمية السويدية بتفضيل آداب غير الناطقين بالإنجليزية، خاصة بعد منح جائزة العام الماضي للكندية الفرانكوفونية أليس مونرو. ورأت الناقدة التي كان الدافع الرئيس إلى كتابة مقالتها، التعاطف مع الأديب الأمريكي فيليب روث الذي كان «مرشحاً» محتملاً، أن جائزة نوبل صارت منصة ممتازة للتصدي للحضور الثقافي الأمريكي. وأن هناك اعتقاداً «بأن حكَّام جائزة نوبل المتعجرفين لا يحبون الأدباء الذين تباع كتبهم كثيراً».

باتريك موديانو

- **1945:** ولد الأديب الفرنسي باتريك موديانو من أب ذي جذور إيطالية وأم بلجيكية تدعى لويسا كولبين.
- **1965:** أنهى دراسته في الهندسة على يد الأستاذة والأديبة ريموند كوين التي فتحت عينيه على عالم الأدب.
- **1968:** أصدر أولى رواياته «ساحة النجمة» (place de l'etoile) بعد لقائه بالكاتب كينو الذي شكل مفصلاً مهماً في مسيرته الأدبية، ومنذ ذلك الوقت تفرغ للكتابة.
- **1978:** فاز بجائزة «غونكور» للآداب عن رواية «شارع الحوانيت الغامض».
- **1996:** نال الجائزة الوطنية الكبرى للآداب تكريماً لمسيرته الأدبية الطويلة التي نشر خلالها حوالى 30 كتاباً تدور وقائع معظمها حول الحياة في العاصمة الفرنسية إبان الاحتلال النازي.
- **2014:** حاز باتريك موديانو على جائزة نوبل في الأدب.

- **مؤلفاته:**

نشر موديانو قرابة عشرين رواية، منها: «ساحة النجمة» سنة 1968م، وهي باكورة أعماله، حاز عليها جائزة «روجيه نيميه» و«جائزة فينيون». ثم تلتها روايات: «دائرة الليل» سنة 1969م. «شوارع الحزام» سنة 1972م التى حصلت على الجائزة الأدبية الفرنسية. «المنزل الحزين» سنة 1975م التى حصلت على جائزة المكتبات. «كتيب العائلة» سنة 1977م. «شارع الحوانيت المعتمة» سنة 1978م. «شباب» سنة 1981م. «أيام الأحد في أغسطس» 1984م. «مستودع الذكريات» سنة 1986م. «دولاب الطفولة» سنة 1989م. «سيرك يمرّ» سنة 1992م. «محلب الربيع» سنة 1993م. «بعيداً عن النسيان» سنة 1994م. «دورا بروريه» سنة 1997م. «مجهولون» سنة 1999م. «الجوهرة الصغيرة» سنة 1999م. «حادث مرير» سنة 2003م. «مسألة نسب» سنة 2005م. «في مقهى الشباب» سنة 2007م. «الأفق» سنة 2010م. «عشب الليالي» سنة 2012م، التي استلهم فيها قصة اختطاف المهدي بن بركة. ورواية «حتى لا تضيع في الحي» سنة 2014م، السنة التي توج فيها بجائزة نوبل للأدب.

- **مساهماته للسينما في سيناريو أفلام:**

- 1973: لاكومب، لوسيان (مع لويس ماليه)
- 2003: رحلة سعيدة (مع جان بول رابيني)

- **أفلام مقتبسة من مؤلفاته:**

- 1983: الشباب (إخراج موشيه مزراحي).
- 1994: عطر إيفون مع رواية البيت الحزين (إخراج باتريس لوكونت).

- ترجمت له روايتان إلى العربية، هما: «مجهولات» عن «دار ميريت» و«شارع الحوانيت المعتمة» عن «روايات الهلال». لم يترجم العديد من رواياته إلى الإنجليزية، بسبب ما اعتبر اتسامها بـ «إشكاليات سياسية».

1 عامية الفصحى أو الفصحى في العامية

يتوهّم الكثير أن اللغة العامية ليست من العربية الفصحى، ولهذا يحرصون حين يكتبون على الفرار من ألفاظها.

لكن هناك المئات من الألفاظ العربية يستعملها العامة فيحرّفونها قليلاً في النطق، ولكنها كلّها في أصل اللغة العربية التي هي «ما جرى على ألسنة العرب».

مثلاً عبارة «سكتم بوكتم» التي تستخدم في المملكة العربية السعودية والخليج لوصف جماعة من الناس صامتين واجمين لا يأتون بأي حركة، وهي تعني أنهم «ساكتون كالبكم». عبارة تقال عندما يكون الناس ساكتين لا يهرجون.

أما عبارة «أيش» العامية فهي منحوتة من «أي شيء»، وفي الخليج تستخدم «إيش تبغى» (أو إيش تـبّـي). والعاميات العربية في أغلبها قد توسعت في هذا النحت فقالوا «بلاش» من «بلا شيء». و«اشيكون؟» من «أي شيء يكون؟».

وهناك كلمات تُستخدم على أنها عامية خالصة رغم أنها من أصل الفصحى كـ «فطس». ففي المعاجم فطَس الرجلُ أي مات من غير علّة ظاهرة، أو مات مغموماً. أو انقطع نَفَسُه من سبب يمنعه استنشاق الهواء.

كذلك عبارة «اللّتّ والعجن» فقد جاء شرحها في المعجم تحديداً كما تستخدمها العامة، على الشكل التالي: لَتَّ لَتّاً فهو لاتّ، والمفعول مَلتوت. لَتَّ الرَّجُلُ أي تَكَلَّمَ بِلا فَائِدَةٍ. لَتَّ الدَّقِيق أي بَلَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَاءِ لِيَعْجِنَهُ. فلان يَلُتُّ ويعجن إذا كان ثرثاراً يبدئ ويعيد فيما يقول.

وفي اللهجات العامية الشامية والخليجية هناك كلمة «انفزر» وفزره فانفزر فهو مفزور. وفَزَرَ الثوب فَزْراً: شقه. وهناك كلمة «البرطيل» التي يعتقد الكثير أنها ليست من الفصحى بشيء، ولكن جاء في القاموس أن بَرْطَلَة فتبرطَل: رشاه فارتشى. ثم هناك كلمة الدعس وهي الوطء الشديد، وهو من العامي الفصيح. وكذلك الأمر في كلمة «المَعْس» وهي تعني المَعْك والدَّلْكُ للجِلْد بعد إدخاله في الدِّباغ، وهي تستخدم في العامية بنفس المعنى تقريباً، أي تدليك شيء ما بشدة.

هذا غيض من فيض الكلمات التي يعتقد الكثير أنها من العامية وهي من الفصحى في أصلها. وهذا الأمر ينتشر في المحكيات العربية كلها، خصوصاً لدى أهل الخليج العربي وأهل الشام ومصر. وهذا ما سنعرض له في المقالات القادمة.

2 سيبويهيات

الطرفة النحوية وسيلة محببة لتقريب العرب من لغتهم أحياناً.

رأى أحد النحاة رجلاً ضريراً يسأل الناس قائلاً: ضعيفاً مسكيناً فقيراً... فسأله: ياهذا! علام نصبت ضعيفاً مسكيناً فقيراً؟. فقال: بإضمار «ارحموا»... قال النحوي، فأخرجت كل ما معي من نقود وأعطيته إياه فرحاً بما قال. لقد أضمر الرحمة في نفسه كي لا يطلبها من العامة.

ودخل أحد النحاة على صديق له في ساعة الاحتضار، فقال له: قل لا إله إلا الله، وإن شئت قل لا إلهاً إلا الله، والأولى أحب إلى سيبويه... وكأن المحتضر يعنيه ما هو أحب إلى سيبويه في لحظة لقيا ربه.

وقصد رجل سيبويه لينافسه في النحو، فخرجت له جارية سيبويه فسألها قائلاً: أين سيدك يا جارية؟ فأجابته: فاء إلى الفيء، فإن فاء الفيء فاء. فقال: والله إن كانت هذه الجارية فماذا يكون سيدها. ورجع!.

فريق القافلة



المملكة في المرتبة الثالثة عالمياً في عدد المشاهدات

المسلسلات السعودية على «يوتيوب»

عبدالرحمن الجوهري

استناداً إلى موقع يوتيوب، باتت المملكة تحتل المرتبة الثالثة عالمياً في عدد المشاهدات في اليوم الواحد، بعد الولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل. ووصل عدد مشاهدي الموقع في السعودية إلى 200 مليون مشاهدة في اليوم الواحد. بحيث أصبح بالإمكان وصف موقع اليوتيوب على شبكة الإنترنت بأنه سينما الشباب السعودي وتلفزيونهم، بعدما تمكنّوا من جعل هذا الموقع محلاً أولاً وأساسياً لعرض أعمالهم المصوّرة من برامج تلفزيونية ومسلسلات وأفلام قصيرة ووثائقية اجتماعية.

قبل ست سنوات بقليل، بدأ الشباب السعودي تقديم برامجه وفديوهاته وأفلامه النقدية التي تتناول حياته اليومية بأسلوب كوميدي. وقد أثبت الكثير أن هذا الافتتان الكبير من قِبل الجمهور بما يقدِّمونه لم يكن مجرد زوبعة في فنجان، كما اعتقد البعض في البداية. بل هو عمل فني سينمائي حقيقي يندفع اندفاعاً نحو التطور والدوام واستقطاب المشاهدين.

فقد نجح هؤلاء في تقديم مادة سينمائية بلغة عصرية يفهمها شباب جيل ثورة الاتصالات وعالم الإنترنت، واختاروا لها عناوين منسلّة من اللغة العامية أو من العبارات المتداولة بين الشباب.

ودفعت المتابعة العامة لبرامج اليوتيوب المعلنين إلى التحرك بعدما بدا لهم أن المشاهدين حلّوا اليوتيوب وعوالمه مكان شاشات التلفزيون التي باتت تبدو أقل جاذبية وأكثر تقليدية.



أرقام وشهادات

فقد بلغ عدد مشاهدي «قناة صاحي» السعودية أكثر من 80 مليوناً، ويخطط القائمون عليها للوصول إلى 500 مليون مشاهدة قبل 2015!

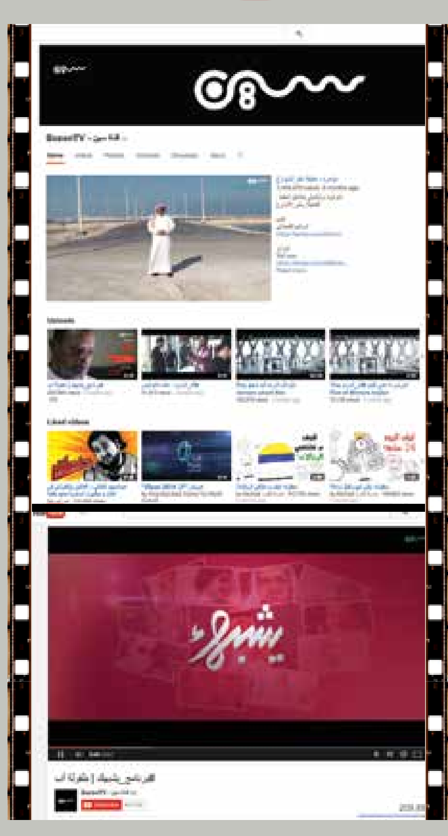
أما إبراهيم الخير الله الذي يقدِّم برنامج «التمساح» الشهير فيقول إن المصدر المالي «اليوتيوبي» جيد، ولكنه ليس مرتفعاً كما هو حال التلفزيون. لكن المردود المعنوي والمادي لليوتيوب مجزٍ بما يكفي.

وإلى ذلك يضيف محمد بازيد مقدِّم برنامج «التاسعة إلا ربعاً» أن حضوره «الإنترنتي» فتح له آفاقاً واسعة، مستشهداً باستقطاب قناة روتانا له لتقديم نشرته الإخبارية الساخرة عبر قناتها بشكل أوسع وبمحتوى أضخم ومع طاقم عمل أكبر عدداً.

وما يقوله هؤلاء عن برامجهم مستلّ من مقابلات صحافية كثيرة ومتداولة تحتفي بعالم الإنترنت السعودي. ولا بد من ذكر أسماء برامج تلق متابعة هائلة أيضاً ومنها «خمبّلة» و«مسامير» و«بامبي» و«لا يكثر» وغيرها التي لا يتسع المقام لذكرها. ونتيجة للشهرة التي حققتها هذه البرامج، عملت شركات تلفزيونية كبيرة على استقطاب معدِّيها وممثليها ومخرجيها لتحويلها إلى برامج تلفزيونية بميزانيات أضخم، بحثاً عن جذب متابعيها عبر الإنترنت وتحويلهم إلى جمهور تلفزيوني.

ومن البرامج التي باتت تجذب عدداً كبيراً من المتابعين والمشاهدين من السعودية وخارجها، نذكر برنامج «يشبهك» الذي يقدِّمه الكاتب والصحافي عبدالله المغلوث. وقد برز هذا البرنامج منذ حلقته الثانية بعنوان «طفولة أب»، التي تتناول قصة رجل خمسيني مصاب بـ «متلازمة داون» رزقه الله خمسة أبناء أصحاء أصبحوا آباء له. يقول المغلوث إنه بعد إضاءته على هذا المرض عبر اليوتيوب، هطلت عليه رسائل إلكترونية كالمطر تتحدث عن تحديات كبيرة يعانيها المصابون بمتلازمة داون في وطننا العربي. وكأن شبكة الإنترنت باتت مسرحاً وافياً لعرض مشكلات مدفونة أو غير مطروحة في وسائل الإعلام الأخرى التي





تستغل وقت بثها في عرض برامج التسلية والترفيه، بينما يسمح عالم اليوتيوب بعرض كل أنواع البرامج التي تتناول كل ما يمكن لكائن بشري رقمي ومتابع، أن يتخيَّله. ويذكر أن البرنامج هو من إنتاج قناة «سين» بالاشتراك مع جمعية «مسك الخيرية».

عالم اليوتيوب الذي يصنعه السعوديون واسع ومتشابك. وفي هذه المقالة تناولنا جزءاً صغيراً يتعلق ببرامج المسلسلات، وفي مقالات مقبلة سنضيء على السينما والفديو التي تلقى بدورها رواجاً غير معهود لفنيتها العالية وللأفكار النيّرة التي تدور حولها.



شاهد المزيد
www.qafilah.com



لودفيغ دويتش والقاهرة

نبيل رمضان

من بين كل المستشرقين الأوروبيين، يشكِّل الفنان النمساوي لودفيغ دويتش حالة فريدة من نوعها، تتمثل خصوصيتها في الارتباط بمكان واحد من هذا الشرق: مدينة القاهرة، وتكريس سيرته المهنية كاملة لهذا المكان بعد اكتشافه.

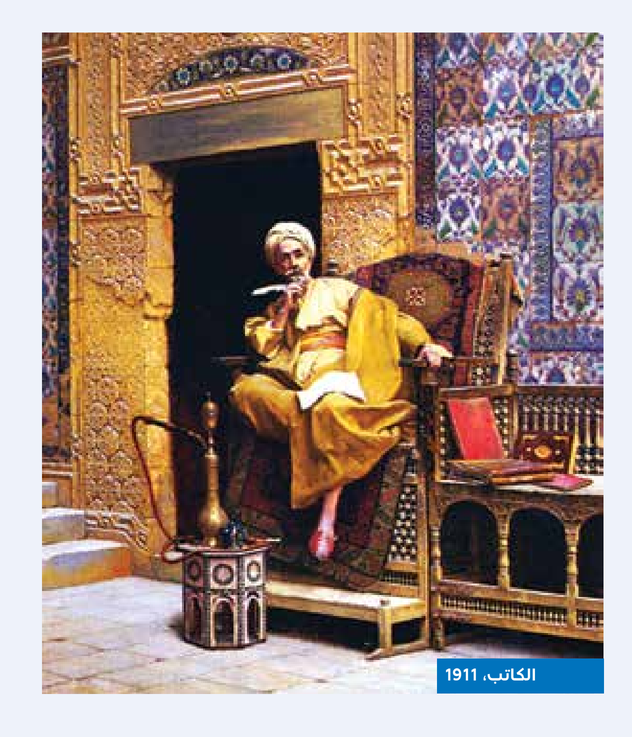
كاد لودفيغ دويتش أن يدخل طي النسيان والإهمال التام في أواسط القرن العشرين. شأنه في ذلك شأن كثير من المستشرقين، الذين انتقلوا إلى مرتبة متدنية في اهتمامات الوجدان الأوروبي بفعل الحربين العالميتين. ولكن مع عودة الاهتمام بهؤلاء ودراسة أعمالهم بتأنٍ خلال العقود القليلة الماضية، عاد اللمعان إلى اسم دويتش كواحد من كبار الأساتذة، وأكثرهم تميّزاً على أكثر من صعيد.

كان دويتش في العشرين من عمره عندما تخرّج في أكاديمية الفنون الجميلة في فيينا عام 1875م. وبعدما أمضى نحو سنوات ثلاث في النمسا حيث كان يرسم صوراً شخصية، انتقل إلى باريس حيث اكتشف الاهتمام بالاستشراق، وصادق مستشرقاً نمساوياً آخر هو رودولف إرنست.

لم نعثر على تاريخ أول زيارة قام بها الفنان إلى القاهرة. ولكن من المؤكد أنها كانت في مطلع الثمانينيات من ذلك القرن عندما ظهرت أولى لوحاته الاستشراقية، والمؤكد أيضاً أنه ظلّ يتردد على القاهرة التي بقيت مصدر مواضيع كل لوحاته تقريباً حتى وفاته عام 1935م.

أسير القاهرة

ففي حين كان معظم المستشرقين يجوبون المغرب العربي ومشرقه سعياً إلى الاكتشاف والتقاط مصادر إلهام مختلفة، بدا وكأن دويتش وجد في القاهرة ما يكفيه أو كل ما كان يبحث عنه.



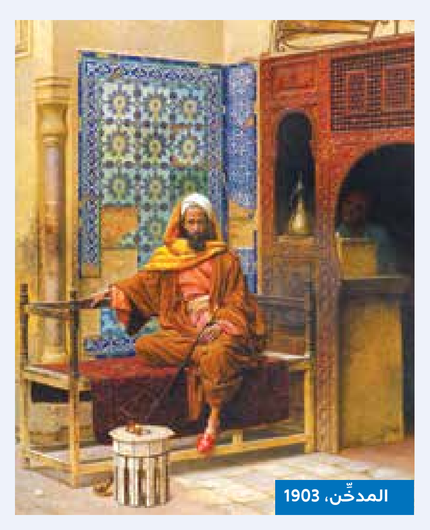
الكاتب، 1911

استوقفه في هذه المدينة بشكل خاص العسكريون النوبيون الذين كانوا يحرسون القصور والمباني العامة. فرسمهم في لوحات عديدة، بتركيز شديد وواضح على كبريائهم وقوة بنياتهم وأبهة مظاهرهم وملابسهم.. ورسم مشاهد من حياة العامة، مثل «بائع السحلب» و«لاعبا الشطرنج». كما رسم مناسبات مميزة مثل «المحمل»، التي تمثل انطلاق موكب نقل كسوة الكعبة المشرفة من القاهرة إلى مكة المكرمة.

رائد الواقعية الدقيقة

كان دويتش يكتفي في القاهرة بإنجاز الرسوم التحضيرية على الورق، لينجز لاحقاً اللوحة الزيتية في محترفه في باريس بأسلوب واقعي دقيق حتى الحدود القصوى، جعل كثيراً من النقاد يجزمون أنه كان يعتمد ولو جزئياً على الصور الفوتوغرافية. إذ إن هذا الالتزام برسم أصغر التفاصيل بدقة شديدة لم يكن مألوفاً عند معاصريه، ولم يظهر إلا بعده بنحو نصف قرن في «الواقعية الفائقة» أو «الواقعية الفوتوغرافية» التي ظهرت في أمريكا.

بائع سحلب، القاهرة، 1886


المدخِّن، 1903


قصر الحرس النوبي 1896

كان هذا الإتقان التقني أول ما لفت أنظار الهواة إلى أعمال دويتش عند بداية العودة إلى الاهتمام بالمستشرقين في سبعينيات القرن الميلادي الماضي. الأمر الذي حفّز النقاد، وبشكل خاص الخبراء في دُور المزادات العلنية الكبرى، على دراسة هذه الأعمال بعمق، وبكل ما فيها من تفاصيل. وبات الجميع يسلّمون اليوم أن اعتماد الرسام على الصور الفوتوغرافية كان محدوداً جداً ولم يتجاوز حدود الجوانب التي تتضمن مشاهد المباني والأطلال.

كما أن دراسة العناصر المختلفة التي تظهر في اللوحة الواحدة مثل الملابس والحلي والأسلحة أظهرت أنها تنتمي إلى أزمنة متباعدة ومصادر مختلفة من أرجاء العالم الإسلامي، ومن شبه المستحيل أن تجتمع فعلاً في مظهر شخص واحد في نهاية القرن التاسع عشر. فالفنان الذي كان شغوفاً بالقاهرة، كان أيضاً شغوفاً بجمع التحف الفنية الإسلامية، وبشكل خاص تلك التي تعود إلى عصر المماليك. ولذا كان يحرص على تزيين هندام الشخص الذي يرسمه بأشياء يمتلكها في محترفه في باريس، كان قد استحوذ عليها في أسواق القاهرة.



مهما ترحّلت... العودة إلى المدينة

د. ماهر الرحيلي



قد تتكرّر الأسئلة حول سفراتك في اللقاءات والاجتماعات، وعلى الرغم من كثرة سفرنا وتنقلنا في عصر السرعة، ما زلنا نتفاعل مع هذا الكائن الحي، أي السفر، بجمود واضح.

من ملامح السفر، أن يخلو من شعائر الشوق في الذهاب ويكتظ بها في الإياب. في عودتي أفتقد أمي -رحمها الله- التي لن يقرّبها الشوق ولن يبعدها أيضاً عني. اعتدت أن أستحضر صوتها الدافئ وسؤالها المسهب أثناء رحلة العودة وأنا على مقعد الطائرة، لكنني أفتقد كل هذا الآن.

سافرتُ كثيراً، بروحي قبل جسمي، أو إن شئتَ، بروحي دون جسمي، بيد أن مرافقة الجسم للروح تجعل الأثر أقوى، ومن الصعب نسيانه.

كم من المدن حزنتُ لفراقها، وكم منها سعدتُ لنسيانها، بعضها يرحب بك بهدوء، وبعضها يستقبلك بغموض لا يلبث أن يتكشّف عن روح طفولية جميلة، وبعضها يندفع في الترحيب بك وسرعان ما تبرد عاطفتها من حيث لم تتوقع، وتبقى مدينةٌ ملكت الروح بكل تفاصيلها منوّرةً طيّبة، تحتل الفكر والوجدان وحدها دون سائر المدن، حين نقول بكل بساطة: المدينة المنوّرة.

كثيراً ما كنت أخاطب المكان شاعراً، لكن بعيداً عن مجازات الشعر. هل للمكان قلبٌ ينبض فيبث ما فيه من أحاسيس داخلنا؟

ذات صباح، وفي أحد الأحياء العتيقة بمدينة فيرونا، كان مرقد جولييت التي اختارت الموت من أجل حبيبها روميو، اعتقاداً منها أن لا حياة بعده! وغير بعيد عن مرقدها يكمن منزلها الذي احتضن قلبها النابض، كقبرها الذي يحتضن جسدها.

كان البؤس فارداً جناحيه هناك، أكاد أجزم أن جميع حراس المنزل كانوا على وشك البكاء! هل هو المكان الذي شهد الحرمان والنهاية غير السعيدة؟ أم هي روح جولييت التي ترى أنها لم توصِل رسالتها لكل محبَّين؟ أم هي نبضات قلبي خلعَها على الوجود من حوله هناك؟

أحببت كثيراً من الأماكن التي سألتني بشغف، البندقية كانت مكاناً مفعماً بالشجن، لم تكتف بالحديث والأسئلة، ولكنها اكتست أيضاً ملامح من أُحِب، في عطائها وجمالها وعنادها وقوتها وعمقها!

في رحلتي الأخيرة كسرت حاجز الشهر، اكتشفت في داخلي زاويةً مخيفة، وهي أنني أستطيع الصبر هذه المدة عن أشياء كثيرة، ربما أصبح الأمر منطقياً بعد أن فقدتُ أشياء أكثر أهمية قبلها، لكن الأمر حصل بسرعة على أية حال.

الأماكن التي تتنفس داخلنا جديرة بالوقوف عندها ملياً، لكن لا أدري إن كانت جديرة بالعودة إليها مجدداً أم لا!

في السفر لحظات خالدة مع المكان، لحظة اللقاء الأول، لحظة التعارف، لحظة اكتشاف سر جديد، لحظة الصُدفة التي لم نستعد لها، وتأتي لحظة الوداع محمَّلة بكثيرٍ من الأسئلة التي لا إجابة لها....



استمع للقصائد
بصوت الشاعر
www.qafilah.com

«فتيل الأسئلة»

وغداً سيبدأ موعدُ

وسينتهي أمدٌ قريبٌ مُبعَدُ!

سأودّع المدن التي احتضنت رفاتاً ذاهلاً

وتسامحت لما ذوى أمسٌ خليٌ مسعِدُ

أتعودُ..

هل هذا الخيارُ الأوحدُ؟

ما زال في جنبيكَ صوتٌ بالتغرب يُرعِدُ!

كل القطارات التي لاقيتَها

كل المسارات التي صافحتَها

كل الخيارات التي أخطأتها..

صححتَها ..

نقط تلاقت دون قصدٍ

كلها لم تحكِ أن العَود عودٌ يحمدُ!

*****

لو كان من شأن النوافذ أن تقص على الملأ

أو أن تذكّرنا بما قد مرّ في نور العيونْ

لو كان من شأن السحابِ يعدّ لي ما قد تدفق من خطىً

أو أن يرافقني إلى وطن الحنينْ

لو كان من شأن الوجوه ترمّم النسيانَ

أو حتى تقود إلى النجاةِ التائهينْ

لو كان ذلك ..

كله أو بعضهُ

لانزاحت الأسفار عن كتف السنينْ

ولصار حتماً أن يفوز الراحلونْ!

*****

لِمَ لانلاقي من نُحبّ على سوى نبضِ السفرْ؟

لِمَ كل من ودعتُ ما ردَّ السلامَ ولا اعتبرْ؟

لِمَ ذا الفراغُ اكتظّ حين حسبته قد ذابَ في شوق البصر؟

لِمَ عَمّ صمتٌ في المباني ..

هل يريح الصمتُ أشلاءَ الحجرْ؟

لِمَ داخلي شيءٌ يقول: أننتظرْ؟

لِمَ بائعُ الأزهار غاب عن النظرْ؟

*****

أنا عائدٌ..

لكن تُرى

ما الجزءُ مِّني قد تبقَّى للزمنْ؟

ما الكلُ منِّي قد تحفَّز للوطنْ؟

ما الشِعر بي لولا مراودة الوهنْ؟!

لا تسألوا ماذا اكتسبتَ من الترحّل واسألوا:

ماذا تركتَ هناك منكَ

وما تُرى..

كان الثمنْ؟

في سطور..

هو ماهر بن مهل الرحيلي، ولد في عام 1977م في المدينة المنوّرة، وعلى الرغم من صغر سنّه أصدر عدداً من الأبحاث والدراسات والكتب والمجموعات الشعرية، قبل وبعد أن حاز شهادة الدكتوراة في الأدب والبلاغة من كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى والتوصية بالطبع، ثم عيِّن أستاذاً مشاركاً في الجامعة نفسها.

ناقش وأشرف مراراً على الرسائل العلمية في الدراسات العليا. وكان عضواً في لجان التحكيم لعدة مسابقات شعرية على مستوى الكليات بالجامعة الإسلامية.

في النشاط العلمي والأدبي كان قد شارك في عدة ملتقيات نقدية، منها ملتقى كرسي الأدب السعودي بعنوان «القصة القصيرة والقصة القصيرة جداً في الأدب السعودي». والملتقى النقدي الخامس بنادي الرياض الأدبي حول «النقد الروائي في المملكة العربية السعودية»، وملتقى كرسي الأدب السعودي بعنوان «استلهام التراث في الأدب السعودي».

صدر له ديوان شعر بعنوان «مداي» وآخر بعنوان «ما بعد السكون» و«في سكون الليل»، وله كتاب بعنوان «التجربة الشعرية بين أحمد شوقي وأحمد الغزاوي»، وآخر بعنوان «المعارضات في الشعر السعودي». وهو ممن شارك في إعداد «قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية»، الصادر عن دارة الملك عبدالعزيز في الرياض.

ذاكرة القافلة

هذا ما كان عليه التأليف والنشر

في بداية ستينيات القرن العشرين، تولَّى الأستاذ عبدالسلام هاشم حافظ تحرير صفحة الأخبار الأدبية في القافلة. صحيح أن هذه الأخبار فقدت قيمتها الإخبارية، ولكنها اكتسبت قيمة أخرى، تكمن في إضاءة ما كانت عليه تلك الفترة الذهبية في الحياة الأدبية العربية، ولو أخذنا الأخبار التي جمعها الأستاذ حافظ لعدد أبريل - مايو 1961م، لوجدنا فيها ما يأتي:

- الموسوعة العربية كتاب «الأغاني» للأصفهاني - تصدره في طبعة جديدة دار الثقافة ببيروت في 25 مجلداً تحتوي على عشرة آلاف صفحة، وتصدر الدار أيضاً للدكتور محمد يوسف نجم كتابه «مضاهاة كليلة ودمنة».
- «الإنسان في الإسلام - كما يراه الغزالي» تأليف الدكتور علي عثمان.. صدر باللغة الإنجليزية.
- كتاب الأديب الكبير الأستاذ ساطع الحصري «يوم ميلسون» الذي سبق أن ظهر عام 1921 - ظهرت حالياً ترجمته بالإنجليزية، ويعد المؤلف للطبع مذكراته التي تقع في أكثر من 1500 صفحة، وفيها يستعرض مختلف الأحداث العربية في ثمانين عاماً.
- صدر للأديب الجزائري المعروف مالك بن نبي الذي يكتب باللغة الفرنسية روايته «الفندق الكبير» عن الأحداث الوطنية في بلاده.
- «أثر الحضارة الإسلامية في أوروبا» كتاب تحليلي ظهر للدكتور طه ندا.
- «سيرة من الحرمين» كتاب يؤرخ للشيخ محمد سرور الصبان صدر في القاهرة بقلم الدكتور إبراهيم عبده.
- «تقاليد الفروسية الأدبية عند العرب» الكتاب الذي ألفه الأديب الراحل واصف غالي باللغة الفرنسية - أصدرته دار المعارف بالاشتراك مع أرملة الأديب، بعد أن ترجمه للعربية الأستاذان محمد حسن النجار وأنور لوقا، وقدَّم له الدكتور طه حسين.
- ديوان الشاعر الشاب الراحل هاشم الرفاعي، صدر في 400 صفحة من الحجم الكبير، ومن ضمنه مسرحية شعرية عن قيس العذري - عدا أكثر من مئة قصيدة، وفي الديوان دراسة عن حياة الشاعر بقلم الأستاذ كامل حتة.
- صدرت في القصة الطويلة: «لقاء عند الفجر» للأديب محمود شعبان، «حمامة السلام» للأديب محمد عثمان مصطفى - عن بطولة بور سعيد، و«ميراث العار» للأديب محفوظ عبدالعال غانم.
- وصدرت في القصة القصيرة هذه المجموعات: «الضوء الأخضر» للأستاذ عبدالوهاب داود، «غداً تبكين» للأديب عادل سلوم - تقديم الشاعر خليل الخوري، و«يُحكى أن...» للأستاذ عبدالرحمن فهمي - تقديم الدكتور عبدالحميد يونس.
- للأستاذ حسين المهدي غنام دراسة عن أدب الشاعر الراحل «عبدالرحمن شكري.. حياته وشعره» تصدر ضمن سلسلة كتب ثقافية في القاهرة.
- ما زالت تصدر عن الشاعر التونسي الراحل - أبي القاسم الشابي، دراسات عن أدبه وحياته، وآخر ما ظهر - ثلاثة مؤلفات للأدباء: الدكتور عمر فروخ والأستاذ عبداللطيف شرارة والأستاذ مصطفى الحبيب بحري.
- «رجال الجمعة» رواية تاريخية مستمدة حوادثها من الشرق العربي، للكاتب الإنجليزي دزموند ستوارت - تنشرها دار هيفمان.
- صدرت للأستاذ أنور الجندي دراسة عن النثر في مئة عام إلى ما قبل عشرين سنة، بها 120 ترجمة بعنوان «النثريون بين المحافظة والتجديد».
- «ديوان خليل مردم بك» و«النفيس» لابن باجة الأندلسي، و«رسالة ابن فضلان» و«الإبدال» لأبي الطيب اللغوي - مؤلفات صدرت عن المجمع العلمي العربي في دمشق بتحقيق أعضائه.
- بمناسبة الاحتفال بذكرى شاعر الهند رابندرانات طاغور - اشترك ثلاثة من كبار الأدباء في كتابة ترجمة عنه. يكتب الدكتور طه حسين عن حياته، والأستاذ عباس محمود العقاد عن شاعريته، والأستاذ شفيق غربال عن آثاره - ثم تطبع في كتاب.
- آخر مؤلفات الأديب الراحل الدكتور محمد حسين هيكل كتابه التاريخي عن «الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة» الذي تركه مخطوطاً، يقوم بإصداره قريباً ابنه الأستاذ أحمد هيكل المحامي.
- «نظرات في أدبنا المعاصر» دراسة تصدر للدكتور زكي المحاسني عن القضايا الحديثة في الشعر والأدب.
- «أشباح ورموز» آخر كتاب ظهر للناقد اللبناني الأستاذ مارون عبود - يناقش فيه المذاهب الحديثة في النقد.
- في بيروت صدرت دراسة باسم «الشاعر القروي» من تأليف الأستاذ عبداللطيف شرارة - وهي عن الشاعر المهجري رشيد سليم الخوري. كما ظهرت دراسة أخرى عن «الوطن في شعر إبراهيم طوقان» بقلم الأديب الأردني يعقوب العودات الذي عُرف بتوقيعه «البدوي الملثم».
- ترجم الأستاذ منير البلعلبكي رواية «الأرض الطيبة» لبيرك باك، وقد صدرت في طبعة فاخرة عن دار العلم للملايين في بيروت.


تصفّح المقال كاملاً
www.qafilah.com



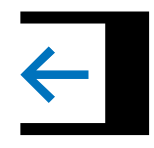
فرشاة وإزميل

زيارة الرسّام سمعان خوّام في محترفه البيروتي هي زيارة لمحترفات عدة في واحد، فهنا نجد لوحاته ولوحات رسامين آخرين حفظوها هنا في مرورهم ريثما يعودون. وهنا تدخل إلى محترف وإلى بيت بمنازل كثيرة تسكنه جماعة من الفنانين والشعراء.
أراده خوّام ملتقى لتبادل الأفكار ولخطوة فنية جديدة كل يوم. وهكذا كان.

فيديل سبيتي

سمعان خوّام..

من دمشق إلى بيروت..
ومن الآلة إلى اللوحة



«مربع 16»، هو الاسم الذي أطلقه الرسّام سمعان خوّام على محترفه في بيروت. فهو على شكل مربع وتتوزع جدرانه 16 شباكاً كما يليق بمصنع أو بمعمل.

كان هذا المكان معملاً للخياطة قبل أن يصير محترفاً للرسم منذ العام 2010م. ومن البداية أراده خوّام مساحة مفتوحة للقاء الرسامين الشباب والشعراء والفنانين على اختلافهم، ولتبادل الخبرات وإقامة ورش العمل والتجريب في الرسم وإقامة المعارض الجماعية وسهرات النقاش والمرح، ثم سرعان ما حوّل جزءاً من مساحة مشغله الواسع إلى غرف للسكن لمن يرغب بإقامة سريعة بأجر ضئيل من الفنانين القادمين إلى بيروت من أي مكان. وهكذا كان، فتحوّل المحترف إلى مسكن ومرسم ومكان للقاء أمزجة مختلفة لرسامين وفنانين يرجون الانطلاق في عالم العرض وإيصال صوتهم الخاص.

يقول خوّام إن تجربة السكن المشترك بين الفنانين تؤدي تلقائياً إلى تبادل في النظرة والتجربة وطرق العمل. وهي في الوقت عينه مساحة للتعارف بشخصيات كل منها ذات خصوصيات، ما يقتل الروتين ويحرك الراكد ويفتح الأذهان على عوالم جديدة. فالعالم هو شخوصه من البشر أولاً ثم ثانياً... وليس أخيراً.

المحترف كله يقع تحت رحمة الشمس الداخلة من الشبابيك الكثيرة والواسعة التي يتحكّم في إضاءتها بواسطة ستائر رمادية اللون تضفي على المكان سحراً يناسب محترف رسّام شاب وجد أسلوبه الخاص بصناعة اللوحة.

بين الممرات الكثيرة

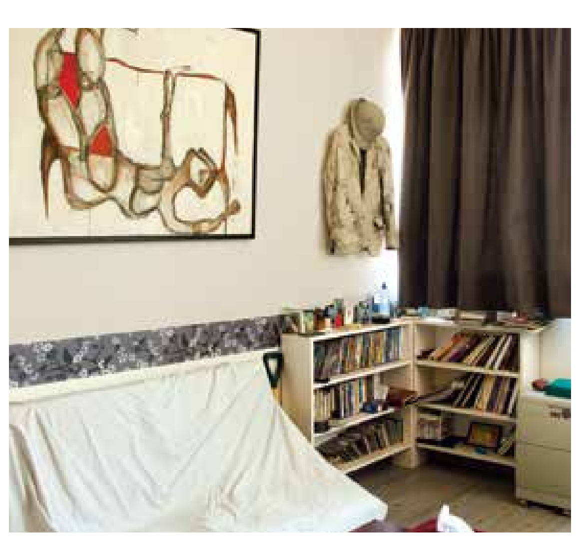
عند دخول الزائر يجد نفسه في المطبخ، مع علب البهارات الكثيرة والطناجر والمقالي المعلقة التي تمنح المكان حميمة ممزوجة برائحة الطعام الذي قد يصنعه أي واحد من سكان المربع. بعد المطبخ ممر طويل بمحاذاته تقع الغرف الأربع التي لكل منها طابع ساكنها.

نصل إلى المرسم الذي يقع في النصف الثاني من «مربع 16». في الزاوية حديقة صغيرة من نباتات صغيرة تتحمَّل العيش في الداخل ورائحة الألوان والزيوت، في الوسط لوحة الشطرنج المتروكة بيادقها على حالها بعد اللعبة الأخيرة غير المنتهية. ثم اللوحات الموزّعة على الجدران وفي الزوايا، والموضبة فوق بعضها هنا وهناك، ثم طاولة المكتب وبعدها طاولة الألوان والريش والسكاكين والمكاشط المستخدمة في الرسم، ثم طاولة قناني الأسيد والزيوت وسوائل غريبة بعضها من أدوية وبعضها من عصيرات. «أستخدم أي شيء لأرسم» يقول خوّام.

على الرفوف مرطبانات الكلوروفورم المرصوفة فيها أنواع مختلفة من الأسماك والطيور والأفاعي وأجنّة بعض الحيوانات، التي يهوى رسمها فينقل تفاصيلها نقلاً حيّاً.

والمحترف كله يقع تحت رحمة الشمس الداخلة من الشبابيك الكثيرة والواسعة التي يتحكّم في إضاءتها بواسطة ستائر رمادية اللون تضفي على المكان سحراً يناسب محترف رسّام شاب وجد أسلوبه الخاص بصناعة اللوحة، أسلوب يستحق لقب «النبت الشيطاني» الذي راق للنقّاد في بيروت، الذين وجدوا في رسومات سمعان خوّام خطاً خاصاً لا يمكن نسبته إلى أي مدرسة فنية ولا إلى

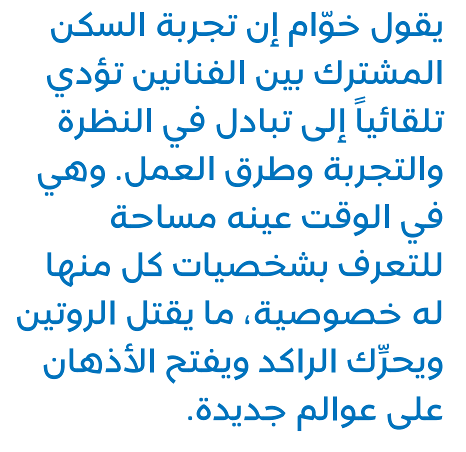





152







يقول خوّام إن تجربة السكن
المشترك بين الفنانين تؤدي
تلقائياً إلى تبادل في النظرة
والتجربة وطرق العمل. وهي
في الوقت عينه مساحة
للتعرف بشخصيات كل منها
له خصوصية، ما يقتل الروتين
ويحرِّك الراكد ويفتح الأذهان
على عوالم جديدة.

















تأثر بأي فنان آخر، وهو الذي لم يدرس الرسم ولم يتعلمه على يد رسّام، بل جاء إليه بسبب حادثة غريبة.

لغم الأرض... والألوان

لم يدرس سمعان خوّام فن الرسم، بل إن قصة دخوله إلى عالم الألوان سوريالية بحد ذاتها.

في سن السابعة عشرة وأثناء رحلة صيد في أحد جبال لبنان انفجر لغم تحت قدم خوّام، فقطعت رجله عند القدم واحتاج إلى عمليات جراحية كثيرة في ألمانيا امتدت سنتين. يقول خوّام إنه ما كان يفكر بأن يصبح رساماً في يوم من الأيام وهو الشاب الذي يعتني بآلات الخياطة في معمل والده، هذا على الرغم من أن سِير حياة الفنانين العظماء والأدباء والفلاسفة كانت تثيره، لا نتاجهم الفني أو الفكري. وكان في تلك المدّة قد نشر مجموعة شعرية أولى بعنوان «مملكة الصراصير» لاقت صدى محبباً في أوساط الشعراء الشباب في بيروت.

«كانت مرحلة التمدد على سرير المشفى كفيلة بإخراجي من شخصية الميكانيكي عاشق الآلات إلى شخصية الرسام الذي يعيد تفكيك المشاهد والأفكار لرسمها على قماشة أو قطعة خشبية أو مسطح حديدي، إضافة إلى تبلور شخصية الشاعر الذي يفكك الأفكار بالكلمات»، حسبما يقول خوّام. كان الأمر وكأنه انتقال من تفكيك الآلة إلى تفكيك المشهد، هناك بمفك البراغي، وهنا بالريشة والحروف.

أما فيما يخصّ شخصيات اللوحات ذات الأطراف غير الواضحة أو «المعاقة» -لو صح القول- فهي تمثيل على إعاقتي نفسها، فشخصياتي مني، ولا يمكنها إلا أن تشبهني، ولوحاتي بمنزلة سيرتي الشخصية..

ماذا يقول عن لوحاته؟

لوحات خوّام معجونة بألوان كثيرة، فكل لوحة أقرب إلى أن تكون قوس قزح، هذا على الرغم من أن فكرة اللوحة نفسها قد تكون سوداوية. يعلّق على هذا الأمر بالقول إن هذا يشبه الحياة الحقيقية. فالألوان كلها موجودة في الطبيعة ونحن نستعيرها من الطبيعة، على الرغم من أن نظرتنا إلى الحياة التي تدور في مسرح هذه الطبيعة قد تكون متفائلة وفرحة بهذه الألوان، وقد تكون سوداوية ومتشائمة تجاهها. أما في ما يخصّ شخصيات اللوحات ذات الأطراف غير الواضحة أو «المعاقة» -لو صح القول- فهي تمثيل على إعاقتي نفسها، فشخصياتي مني، ولا يمكنها إلا أن تشبهني، ولوحاتي بمنزلة سيرتي الشخصية. واللوحة ليست أمراً واقعياً قدر ما هي تفكيك للواقع ومنبثقة منه، لذا تجد أن لوحاتك القديمة تعبِّر عن المرحلة التي رُسمت فيها كما هو حال اللوحات الجديدة، وهذا يشبه الحياة الواقعية، كمن يتصفح ألبوم الصور فيرى شريط حياته يمرّ أمامه معطياً لكل مرحلة نكهتها الخاصة





بها. في النهاية فإن الاستقرار على نمط معين هو بمنزلة موت. كل استقرار هو موت.

رسم شعر، شعر الرسم

يعلّق خوّام على العلاقة بين الشعر والرسم ويقول إنها علاقة ترتبط بالمخيلة والصورة، «دائماً ما أمنح اللوحات أسماء من جمل شعرية كتبتها، وفي بعض الأحيان أقوم برسم قصيدة ما، أو أكتب قصيدة حول لوحة رسمتها، وهذا تحدٍّ يجعلني أقارب ما أتخيّله بالكلمات أو بالألوان محاولاً الاقتراب قدر الإمكان من إيصال فكرة القصيدة في اللوحة أو فكرة اللوحة في القصيدة... لكني أشعر في هذه المرحلة بأن الشعر لم يعد حرفة أمارسها كما أفعل مع الرسم. أخذت أبتعد عن القلم لصالح الريشة بعدما وجدت أن عالم الكلمة آخذ بالضمور كقيمة وبالاتساع كفعل مع وسائل التواصل الاجتماعي الكثيرة التي تسمح للجميع بالتعبير عن مشاعرهم كتابة».

يعلّق خوّام على العلاقة بين الشعر والرسم ويقول إنها علاقة ترتبط بالمخيلة والصورة

«سيرة أقترحها عني»

ولدت أنا سمعان خوّام في مدينة دمشق في العام 1974م. منذ مراهقتي لم أتكيّف مع هذه المدينة التي وجدتها مغلقة ومنطوية على نفسها لأسباب كثيرة على رأسها السياسة. كنت أشعر بأنني شخص غير مرحَّب بي هناك بين أقراني في المدرسة أو في ملاعب الطفولة.

كانت بيروت التي زرتها مراراً برفقة أهلي مثال المدينة التي أرغب بالعيش فيها. في سن الخامسة عشرة انتقلت العائلة للعيش في بيروت وحصل جميع أفرادها على الجنسية اللبنانية بعد عشر سنوات من الإقامة فيها. الحرية في بيروت حتى في زمن الحرب كانت أمراً محبباً، أشعرني بأنني أنتمي إلى هذا المكان بالقوة ولو أنه لم يكن كذلك بالفعل.

أقمت عدداً من المعارض الفردية وشاركت في معارض جماعية في مختلف العواصم العربية وبعض الأوروبية، ولو أن بيروت حصلت على حصة الأسد منها. قبل أشهر تعاقد معي غاليري «البارح» من البحرين، على أن يعرض لوحاتي مدة سنتين في عواصم دول الخليج العربي وبيروت.





الكتَّاب بوصفهم مخترعين

بقلم
سلطان القثامي



يتميز عمل الكاتب في المجال الأدبي بالتحديد بقدرته على بناء شخصيات قادرة على تكوين فكرته وتجسيدها من أجل إيصالها للمتلقي بشكل ناجح. فمهمة الكاتب في بناء قصة أو تصدير فكرة ما ترتبط بصناعة شخص أو مكان أو زمان قد لا يكون موجوداً في الواقع ولا يمثل حدثاً بعينه.

فصناعة المكان تعني تشكيل محيط آخر لأحداثٍ بعينها بغض النظر عن مدى صلتها بالواقع أو مدى قربها أو بعدها عنه. الأمر نفسه ينطبق على اختيار زمن أو عدة أزمنة في سياق تاريخي طويل. وقد يخترع الكاتب فترة زمنية لا تنتمي للتاريخ إطلاقاً وهذا يتيح له المرونة في اختيار الفكرة أو القصة. أي إن الكاتب لا يجد ضرورة أو يشعر بحمل في إيراد معلومة صحيحة تاريخياً خصوصاً في القضايا الجدلية والشائكة.

يبرز الكاتب كمبتكر في أعمال الخيال العلمي بشكل أدق وأوضح، لذلك يكون في هذا النمط من الأدب متسع للإبداع في حبكة المحتوى والشكل لقدرة الكاتب على الابتكار بشكل أكبر؛ لأن الكاتب يتحرر من قيود كثيرة مثل ربط المكان أو الزمان بالواقع.

في الخيال العلمي يتنوع الكتَّاب في طرح أفكارهم، فمنهم من استخدم ما يسمى بالتاريخ البديل (Alternative History)، أي إن الكاتب يؤلف قصته استناداً إلى تغيير أحداث تاريخية لامتحان لحظات حاسمة شهدت ترجيح كفة دولة أو فريق سياسي. من بين الكتَّاب الذين طرقوا هذا النوع من التوظيف الثلاثي الأمريكي وارد مور، وهاري تيرتليدوف وأيضاً فيليب ديك. بشكل عام استند كتَّاب التاريخ البديل على سرد القصة بطريقة مشابهة للرواية التاريخية، لكنهم أضافوا أحداثاً لم تقع لتغيير مجرى الحدث الرئيس كالحرب مثلاً.

قد تتساءل: كيف ابتكر هؤلاء الكتَّاب تاريخاً مختلفاً في أعمالهم. اعتمد الأول في عمله Bring the Jubilee على الحرب الأهلية في أمريكا كمصدر لصناعة الحدث وبالتحديد صراع مدينة جاتيسبيرغ في ولاية بنسلفينيا. تاريخياً، لم يقتصر النزاع بين الشمال والجنوب الأمريكيين بين أفراد الشعب من البيض الشماليين والسود الجنوبيين فقط، بل شهدت الحرب سجالاً طاحناً وكانت جاتيسبيرغ الفيصل ونقطة التحول في الحرب بأكملها عندما تجابه الكونفدراليون من الجنوب مع وحدات الجيش. وارد مور ابتكر شخصية قادرة على العيش بين فترات زمنية متباعدة. البطل الذي يعيش في القرن العشرين يبحث عن تحقيق حلمه كباحث، فيلتقي مؤرخاً بإمكانه إعادة الزمن قرناً كاملاً، إلى القرن التاسع عشر من جديد، كي يتسنى للبطل وصف الحرب في جاتيسبيرغ.

لم يستطع المؤرخون عبر عشرات السنين حسم النقاش حول من انتصر في الحرب الفاصلة. أراد الكاتب هنا توظيف القصة في إيجاد الحقيقة الغائبة. عندما يتمكن البطل من العيش في القرن التاسع عشر يحسم المعركة لصالح الجنوب ويعلن استقلاله عن الدولة. يخترع الكاتب هنا إحدى أدوات الخيال العلمي وهي «السفر عبر الزمن». وهي نفسها الآلية التي قدَّمها الكاتب الإنجليزي هيربيرت ويلز في عمله «آلة الزمن»، حيث مكَّن الواقع من الارتحال من زمنه الحقيقي إلى زمن آخر. يتضح من عنوان العمل أن الزمن آلة يبتكرها الكاتب لتحقيق غرضه من الطرح.

الكاتبان هاري تيرتليدوف وفيليب ديك تبعا نماذج مشابهة في أعمالهما. تيرتليدوف أوجد الإمبراطورية البيزنطية في الحرب العالمية الثانية، بينما ناقش ديك تمحور الوقائع التاريخية بين مصدق ومكذب لها عبر الأجيال.

لا تختلف فكرة السفر عبر الزمن من حيث الهدف والتأثير عن توظيف شخصيات خارقة تقوم بأعمال تفوق طاقتهم. فيستخدم عدد من الكتَّاب شخصيات كهذه تتسم بصفة معينة كالقوة الخارقة مثلاً وتهدف غالباً إلى تمثيل فكرة اجتماعية. في «Black No More»، ابتكر الكاتب جورج سكايلر طريقة علمية يمكنه من خلالها تحويل لون بشرة الأشخاص من السمراء إلى البيضاء. ويهدف سكايلر من هذا الابتكار إلى نقد وفهم علاقات البشر مختلفي الأعراق ببعضهم لنقد العنصرية في أمريكا في أوائل القرن العشرين. أراد الكاتب تمثيل الواقع الاجتماعي من خلال افتراض بلاده كدولة عرق واحد يرفض الآخر.

تبيِّن الأمثلة السابقة أن الكاتب هو مبتكر بالدرجة الأولى، إذ إنه يحتاج إلى صناعة الحدث أو الفكرة من خلال اختراع أداة لإيصال فكرته. لا أدل على هذا من مثالَي أدوات السفر عبر الزمن، والقوة الخارقة، اللتين أثمرتا في صناعة تاريخ بديل وفهم أكبر لوقائع المجتمع الراهن.

الصحافة في عصر التكنولوجيا الرقمية

التحولات الطارئة عليها في مواجهة الإنترنت

الصحافة في عصر التكنولوجيا الرقمية



اقتحمت الصحافة الرقمية عالم الأخبار والمعلومات والصور في الكرة الأرضية، وانتزعت من الصحافة التقليدية، كثيراً من جمهورها، حتى بات بعض المحللين والمطوّرين يتنبأون بزوال الصحافة الورقية قريباً.
لفهم هذا الموضوع، لا بد من معرفة واقع الحال اليوم، وماذا أضافت الصحافة الرقمية، على الكمبيوتر والألواح الإلكترونية والهواتف الجوالة، حتى تتفوّق على الصحافة الورقية، وهل صحيح أن هذه الأخيرة إلى زوال؟
ثمة رأي يطرح المشكلة، ويشير على الصحافة الورقية، بالعمل للتكيّف مع البيئة الإعلامية الجديدة، التي صارت ترزح فيها تحت ضغط مزاحمة الصحافة الرقمية؟
وثمة آراء تقول إن الصحافة الورقية موجودة لتبقى، لأن الصحافة الرقمية أنتجت طوفاناً هائلاً من المعلومات والروابط، تجعل لزاماً على الصحافة الورقية أن تغربلها، وتفرز الغث عن السمين منها، لتقدِّم لقرَّائها، الذين لن يقرؤوا كل شيء بالتأكيد، زبدة ما في العالم من أخبار ومعلومات وتحليلات وتحقيقات.
وهذا هو رأي هذا التقرير، الذي وضعته الخبيرة فينيت كاول (Vineet Kaul, DAIICT University, India)، من «معهد ديروبايي أمباني للإعلام والاتصال والتكنولوجيا» في الهند، ونشرته على الصحيفة الرقمية لتكنولوجيا الاتصالات والإعلام.

أنشأ عصر المعلوماتية تحدّيات عديدة لكل المهن. وفي حال مهنة الصحافة، أدى اعتماد تكنولوجيا المعلومات إلى تغيّر كبير في كثير من معالم المهنة. لقد أحدثت ثورة التكنولوجيا المتطورة، تبدّلاً في الطريقة التي يتلقَّى فيها الجمهور الأخبار والمعلومات، وحَرمت الصحافة الورقية من الاحتكار الذي كانت تنعم به.
يبحث هذا التقرير في مجالات التقاطع بين الإعلام الجديد والصحافة والتكنولوجيا، من أجل تحسين إدراكنا لأثر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، لا سيما تكنولوجيا الإنترنت، في الصحافة التقليدية.

لقد كان الإعلام وممارسة الصحافة بطيئَين في التكيّف مع الإنترنت والفروع العديدة التي نشأت من تكنولوجيا المعلومات الجديدة. ففي العقود الماضية، استفاد الصحافيون والعالم الغربي من النمو السريع في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وفي السنوات الأخيرة استطاعت هذه التكنولوجيا أن تخترق بلدان العالم النامي، وأتاحت انتشار الكمبيوتر، والإنترنت، والهاتف الجوّال فيه. وقد يسَّر هذا التطوّر ربما أساليب العمل الصحافي في هذه البلدان، غير أن الصحافيين في العالم لا يزالون يفصلون «الوطني» عن «الأجنبي»، فيما أخذ جمهورهم يتحادث عبر الإنترنت مع العالم أجمع عبر القارَّات.

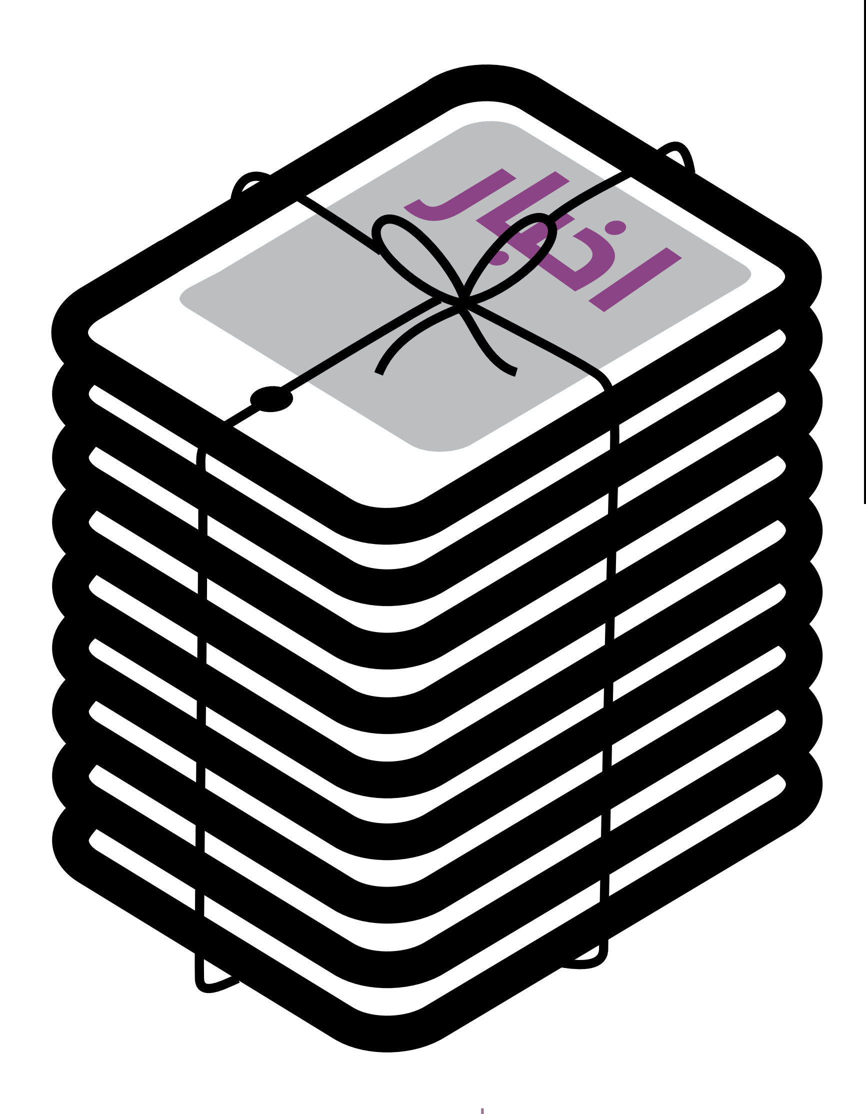
اليوم تستمدّ مؤسسات الإعلام بانتظام موادّها من المصادر الرقمية المختلفة. ويبحث هذا التقرير في اعتماد تكنولوجيا المعلومات، وفي دور الصحافة في العصر الرقمي، وكيف يستخدم الصحافيون الأدوات الجديدة لتطوير مهنتهم، ودور الإنترنت، وما هي الذيول الأمنية والأخلاقية في هذا الميدان الجديد، وما إذا كانت حرية الصحافة تعني بالضرورة حرية الوصول إلى المعلومات، وما هي أوجه الالتباس التي تُحدثها التكنولوجيا الرقمية، والقوة والسرعة والمنفعة التي تترتب على الكتابة الرقمية ونشرها وتلقّيها.

ومع أن المنصّات الرقمية تنشئ تحدياً قوياً للصحافة التقليدية، إلا أن هذا التقرير يرى أن الخصائص والمهارات الأساسية في مهنة الصحافة ستظل ضرورية مع الأدوات الجديدة.

ملامح العالم الجديد

في مجتمعنا المتطور بسرعة اليوم، ينصرف مزيد من الناس إلى الكمبيوتر، والهاتف الخلوي، وأجهزة «البلوتوث»، للنظر في «الفيسبوك» أو معرفة آخر أخبار الطقس. ومع «الانفجار» الذي أحدثته وسائل التواصل الاجتماعي والهواتف الذكية، أصبحت التكنولوجيا المصدر الأول لتلقّي المعلومات. ولهذا الأمر حسنات، مثل الحصول الفوري على الخبر، والاطلاع المستمر على ما يجري في المجتمع في غضون ثوانٍ. ونظراً لأهمية الاتصال في كل الحضارات، فإن طريقة هذا الاتصال لا بد من أن تتكيّف بأساليب عيش الشعوب.

مع أن المنصّات الرقمية تنشئ تحدياً قوياً للصحافة التقليدية، إلّا أن هذا التقرير يرى أن الخصائص والمهارات الأساسية في مهنة الصحافة ستظل ضرورية مع الأدوات الجديدة..



في الماضي كان الإعلام في الغالب، مطبوعاً، حين كان معظم الناس يأخذون وقتهم في قراءة الصحف. اليوم، ومع انكفاء الناس إلى الإنترنت، سعياً وراء المعلومات، تُزاح الصحافة المطبوعة جانباً، شيئاً فشيئاً، حتى إن البعض يرى أن هذه الصحافة مآلها إلى الموت. ويستدلّون على هذا بالانخفاض في مبيعات الصحف. وعلى كليات الصحافة في العالم أن تعيد النظر في وسيلة تعليم الصحافة؛ لأن ما كان متَّبعاً قبل 15 سنة لم يعد كذلك اليوم. فالمشهد الصحافي يتبدّل كل يوم، مع ظهور تقنيات ووسائل تعيد تنظيم العلاقة بين وسائط الإعلام وجمهورها. وبسبب طبيعة النفس الإنسانية، فإن بعض الناس يخشون التغيير، فيما يعتنقه آخرون بشوق. البعض يتحمّس لفرص الاستفادة من الظروف المتغيّرة، لكن غيرهم يخافون خوض غمار «السابقة الخطرة»، ويعملون بمبدأ ألا يكونوا يوماً البادئين في اختبار أي شيء.

في عالمنا اليوم، يستحيل على أي كان، أن ينجو من آثار التغيير الكاسح، وينطبق هذا الأمر خصوصاً على العاملين في الصحافة والاتصالات. لقد كانت الصحف الوسيلة الأكثر انتشاراً للإعلام، منذ أيام الحمام الزاجل، حتى جاء عصر «الواي - فاي». لكن التطوّر اليوم ليس تغيّراً نسبياً، بل إنه تبدّل كامل للاتجاه. إننا نواجه تحدياً وفرصة، لنفعل الأشياء بطريقة مختلفة. فالتكنولوجيا الحديثة تعيد تشكيل كل مظاهر نظام الاتصالات الأساسية. ونحن مضطرّون إلى إعادة النظر في معظم مفاهيمنا الجوهرية، حول أساليب جمع المعلومات ونشر الأخبار. وهذا يطرح علينا الحاجة إلى فهم المشهد الذي ينتظرنا، ويَطرح علينا كذلك مجموعة من الأسئلة الصعبة، ما دامت الصحافة وآثارها في المجتمع تهمّنا.



التكنولوجيا وأساليب العمل الصحافي

في ربع القرن الأخير، حدثت تطوّرات تكنولوجية دراماتيكية، في إنتاج الصور ومعالجتها ونشرها، على نحو بدّل الأساليب في الصحافة والترفيه والإعلان، وفي البيئة البصرية نفسها أيضاً. وفي هذا العصر الإعلامي الشامل، لم تكن صناعة الخبر يوماً في حال أفضل مما هي عليه اليوم. فبكبسة زر نحصل على الأخبار حيثما شئنا.. ومع التبدّل الكبير في البيئة والتكنولوجيا الإعلامية، يلحّ علينا بشدة السؤال عن طبيعة صحافة الخبر، في تعريفنا لاهتمامات الجمهور اليوم. فالمسألة غاية في الأهمية، لا من حيث مستقبل الأخبار فقط، بل أيضاً من حيث ممارسة الديمقراطية أيضاً. والمفهوم الأساسي هو أن الصحافة التقليدية كانت فعّالة جداً في تسليط الضوء على مشكلات ذلك اليوم وتطوّراته. لكنها، لأسباب مختلفة، غالباً ما كانت تفشل في أن تضع الخبر في سياق يجعله مفهوماً تماماً. وأحد أهم الأسباب، هو تكنولوجي. ثم إن الصحافة التقليدية تعمل عموماً في اتجاه واحد، من الصحافي إلى الجمهور. هذا المفهوم للجمهور المتلقّي وضع حدوداً لانخراط القرّاء في الصحافة والعمل العام.

لقد أعادت المبتكرات التكنولوجية تشكيل المشهد، وجعلت من «صحافة» العام 2014م شيئاً لم يكن الكثير يتخيّلونه. ولذا طرح العمل







الإعلامي الجديد مجموعات من التحديات المهنية. وفي كل يوم تنزل إلى الميدان أجهزة جديدة، بسرعة مدهشة، فتأتي بخيارات متنوعة وعديدة، قد لا يكون الصحافيون وجمهورهم قادرين على توقعها. لقد أغنت هذه الحدود المفتوحة، مصادر الأخبار والإعلام، وأعادت ترتيب ما كان ملكاً للصحافي التقليدي ومذيع الأخبار ووكالات الأنباء. والتحدي المطروح هنا، هو استخلاص أقصى فائدة من الإنترنت والإعلام الرقمي، دون أن نُلحق أي ضرر بالحريات المدنية.

أساليب عمل خاصة

ثمة ما لا يُحصى من الوسائل التي استطاعت من خلالها التكنولوجيا الرقمية، أن تؤثر في ممارسة الصحافة، بدءاً بأسلوب جمع المراسلين المعلومات وتقديمهم الأخبار، مروراً بكيف تكوّن مؤسسات الأخبار بنياتها الخاصة، وصولاً إلى سرعة تطوّر التقنيات الإعلامية، على نحو جعلها تخترق النسيج الاجتماعي بأشكال وإمكانات جديدة في دنيا الاتصال. لقد أصبح النص الاستطرادي (hypertext)، وإعلام الوسائط المتعددة (multimedia)، والإعلام الاستطرادي (hypermedia)، جزءاً من روتين الكثرة الغالبة من المهنيين، وهي تستدعي تغيّر أساليب التعليم والتعلّم في المعاهد. فإذا نظرنا إلى المستقبل، فبإمكاننا أن نتوقع مشهداً إعلامياً يسيطر عليه جمهور مجزأ جداً، لكنه حيوي. وبإمكاننا أن نتوقّع أيضاً منافسة إعلامية شديدة، وقلة في موازنات الإعلان. وبإمكان الإعلام المهني، إذا اعتمد التكنولوجيا الجديدة، أن يحتفظ بدوره، بصفته مصدر إعلام حيوياً، فيواصل العمل أداةً لديمقراطية ناجحة.

في مطلع عصر المعلومات (والصحافة الإلكترونية) تبدّلت مهام الصحافيين من نقل المعلومات، إلى معالجة المعلومات. ويقول مارشال ماكلوهان (الكندي الرائد في دراسة نظرية الإعلام، 1911 - 1980م)، إن كل وسيلة من وسائل الإعلام تختص بتجربة محسوسة مختلفة. ولذا، فليس مفاجئاً أن تبدأ مؤسسة الصحافة في التبدّل، مع ظهور الوسيلة الجديدة -الإنترنت- ذلك أن وظائف الإنترنت التفاعلية والإعلام المتعدّد الوسائط، تفرض تطوراً مهماً في ثقافة الصحافة. إذ إن المهمة الأساسية الملقاة على عاتق المخبر الصحافي، تطوّرت إلى الوسيلة الرقمية، ووفرت تكنولوجيا الشبكة الدولية مجالات لمصادر واسعة وجمهور مشارك في الإنتاج الجديد. لقد بدأ الباحثون بتسمية المخبرين الصحافيين «مراقبي البوابات»، و«ملاحظي» المعلومات، وهم يصرّون على أن هؤلاء يمارسون بإرادتهم سلطة معيّنة. إن عبارات مثل «صحافة الشبكة» و«إعلام المجتمع»، تنم عن فهم بعض الناس لتكنولوجيا الشبكة الدولية، على أنها فرصة لحدوث ثورة صحافية، حيث يكون على المواطن أن يدلي بدلوه، ويشارك في المضمون، ويعارض التيار الغالب في مواضع افتراضية. وبذلك ينشأ نموذج جديد على الشبكة لإنتاج الأخبار، يأخذ في الحسبان دينامية صنع المعلومات، ونشرها، واستهلاكها، على الشبكة.

لا حواجز جغرافية

العالم متواصل اليوم بشكل لا يعرف الانقطاع ومن دون حدود ولا حواجز جغرافية. والقارئ هو الذي يقرِّر ماذا ومتى وكيف يقرأ، بالإضافة إلى أن له صوتاً بتكلفة زهيدة، بعيداً عن التدخل الخارجي. لقد أقامت الثورة الرقمية في الإعلام والاتصال، منصة لتدفّق حرّ للمعلومات والأفكار والمعرفة في الكرة الأرضية، وكثيراً من الطرق التي تصل منها التبدّلات والتحدّيات، إلى موفّري الأخبار ومستهلكيها. ونعتقد أن الصحافي ليس جنساً مهدداً بالانقراض، لكن مهامّه وعاداته تتغيّر تغيّراً كاسحاً.

فالآن، يمكن للموقع الإلكتروني أن يكون منصّةً يقول فيها المواطنون آراءهم، ويطرحون أسئلتهم بشأن الإصدارات الصحافية التي

أرقام وحقائق

أول صحيفة إلكترونية صدرت،
هي «سان خوسيه» الأمريكية سنة

1993

تبعتها «ديلي تلغراف» و«التايمز»
البريطانيتان، سنة

1994

بطبعة إلكترونية مع طبعة ورقية.

أوقفت صحيفة «كريستيان ساينس مونيتور»
طبعتها الورقية، التي انخفض توزيعها إلى

200 ألف

نسخةٍ، واكتفت بالطبعة الإلكترونية، التي يتجاوز
متصفِّحوها مليون قارئ.

بلغت ديون صحيفة «لوموند» الفرنسية

150 مليون

يورو، عام 2012م، ووصلت إلى حافة
الإفلاس، أما طبعتها الإلكترونية فتحقق
نجاحاً كبيراً لدى الشعوب الفرنكفونية.

من دراسة لمحمد سيد محمد سيد: تأثير الصحافة الإلكترونية على مستقبل
الصحف الورقية، نُشرت في 1434/3/24هـ.
رابط الموضوع:
http://www.alukah.net/culture/0/50101/#ixzz3B0WVv4NZ

إنه زمن ملائم للصحافيين اليقظين فيما العالم يتغيّر. فليس ثمة زمن مضى كان فيه النّهَم إلى المعلومات مثلما هو الآن...

حكم مؤجّل!

لا صحف عربية مطبوعة أغلقت أبوابها بسبب الإعلام الإلكتروني، بل العكس، هناك صحف توسَّعت ولديها قرَّاء خارج نطاق الحدود، بسبب الإعلام الإلكتروني، وهناك مؤسسات استثمرت الملايين في الإعلام الجديد، وهناك عائد يضاف إلى عائد الإعلان الورقي، ألا وهو عائد الإعلان على شبكة الإنترنت.

كذلك ما زال من المبكر جدًّا الحديث عن تأثيرات ملموسة يمكن إحصاؤها، لا سيما وأننا في منطقة لا تزال فيها الصحافة المطبوعة هي السائدة، عكس ما في دول أخرى مثل الولايات المتحدة؛ حيث أغلقت مؤسسات ورقية عريقة جداً، ربما بسبب كبر المساحة الجغرافية للبلد، ووصول شبكة الإنترنت إلى أغلب الناس. لكن في آسيا مثل سوق الهند والشرق الأوسط، لا تزال الصحافة الورقية تحافظ على وضعها، بل إن هناك زيادة في الطباعة سنوياً من 2 إلى 10%، وهذا يدل على أن هناك قرَّاءً جُدداً، مهتمون بالصحافة المطبوعة.

لكن التأثير المباشر قد يكون بعد 10 سنوات حينما يتوسع الإنترنت ويصل إلى دول الشرق الأوسط بنسب عالمية.

http://www.alukah.net/culture/0/50101/#ixzz3B0WVv4NZ

تهمهم. والصحافة «الحوارية» هي صيغة أكثر تحرراً لإنتاج الأخبار. والمضمون في الوسيلة الإعلامية الجديدة، يتولاّه صحافيون متفاعلون مع المواطنين. والعضو المشاهِد، أو المتلقّي، يلعب دوراً فاعلاً في الصحافة. وتطرح هذه النماذج الجديدة، في جوهرها، تبدّلات عميقة للصحافيين، في دورهم وفي إشرافهم النهائي على الأخبار. وتتطلب التكنولوجيا الرقمية جهداً أكبر من المخبر، إذ غالباً ما يفرض عليه أن يتعلّم عدداً من تقنيات التشغيل، والعمل في الوقت نفسه منتجاً ومحرراً ومنفّذاً. وكانت كل هذه المهام في الماضي موزّعة على قطاعات مختلفة.

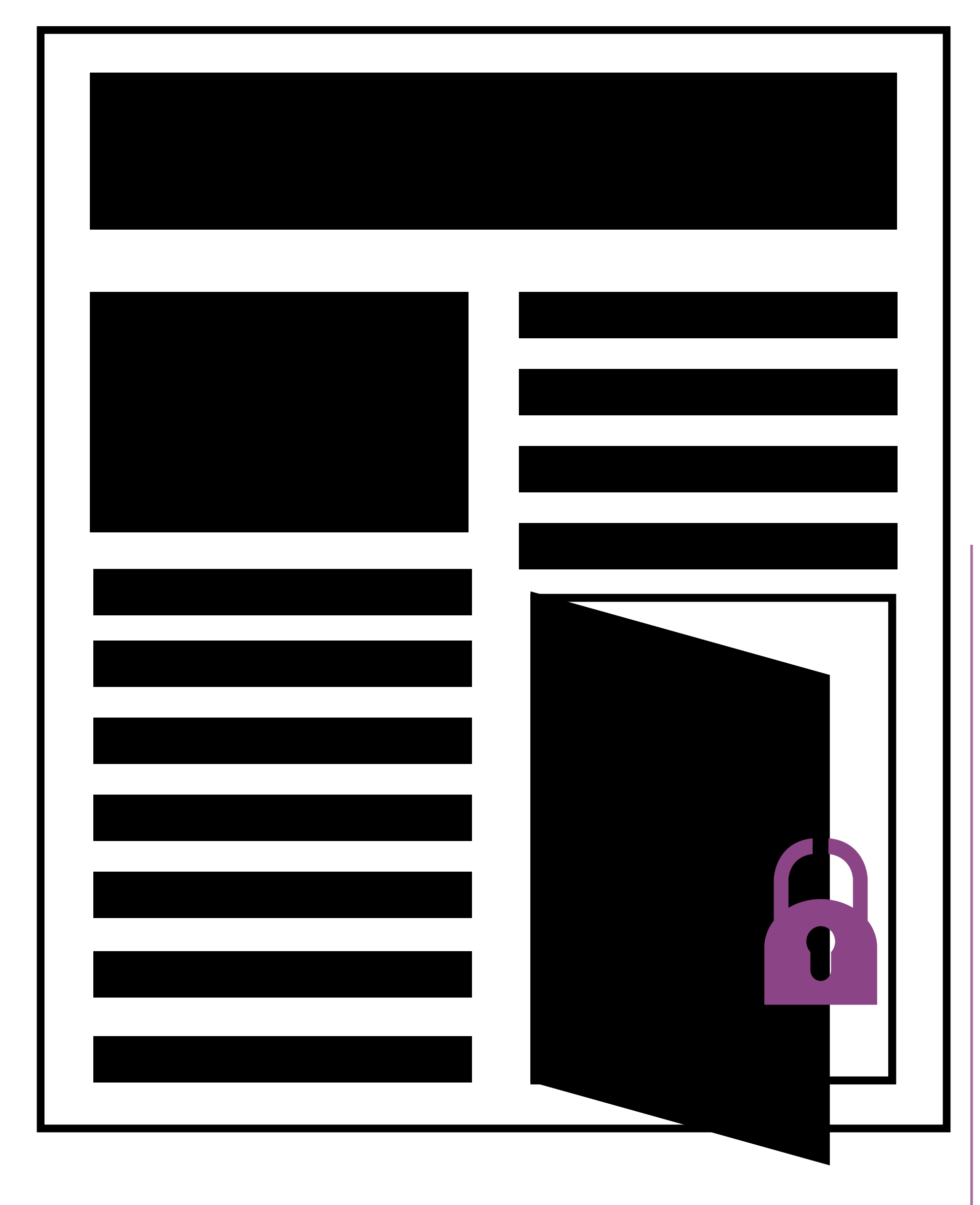
مهام الإعلام الجديد

وبمعزل عن طوفان المعلومات المتاحة للتوزيع، تُمكّن التكنولوجيا الجديدة نماذجَ الأحداث والقضايا المتشابهة، من أن تتشارك فيها مجتمعات مختلفة. ولم تعد حلول المشكلات المحلية محصورة في داخل مجتمع ما، بل إن الجماعات المهتمّة تتولاها، فيتلقّاها العالم كله، على أنها نماذج وأمثال. وقد بدأت صحف العالم التي استثمرت في وسائل إعلامية متعدّدة، تلمّس الحسنات والمصاعب الناشئة من اجتماع الوسائل المختلفة، التي يجمعها الإنترنت، والتي سيكون مستقبلها المباشر الاندماج الكامل لأخبارها وعملياتها التجارية المتعددة الوسائط. ومع صيرورة التكنولوجيات إلى مزيد من التعقيد، فإن مهام جمع الأخبار وإنتاجها وبثها، صارت تتطلب مزيداً من المهاراتِ في المخبر الصحافي، لكنها زادت أيضاً السرعة الضرورية للنشر، مع السرعة الفائقة المطلوبة في الكتابة الفورية في أي وقت من الليل أو النهار. وقد يجد قدماء الصحافيين أن التبدّل الذي تحدثه التكنولوجيا غير مألوف ولا مريح في البدء، لكنهم يُحسنون صنعاً بالتعامل مع ما لم يعد منه بدّ. ويمكننا القول إن الروقمة جعلت الصحافي متخصصاً، لا في شيء معيّن على الخصوص، بل في الأساليب الفعّالة في ممارسة الصحافة وإنتاج الصحيفة وجعلها متاحة بسرعة.

لقد أزال الإعلام الجديد التلقي السلبي لدى جمهور الإعلام، بتمكينه الاستقبال المتزامن والتعديل وإعادة نشر المواد الثقافية. وأخرج فعل الاتصال من الحدود الوطنية، وأتاح الاتصال العالمي الفوري. والصفة المهمة في الإعلام الجديد، هي أن النصوص الإعلامية متحرّرة من أسر المادة، أي إنها منفصلة عن شكلها المادي المطبوع. فالنصوص يمكن أن تُضغَط في حيز صغير جداً، ويمكن تناولها بسرعة فائقة.

ومع تصاعد عمليات بحث جمهور الإعلام الجديد عن المعلومات في مصادر جديدة، يبدو أن الإعلام في العموم، يتجه نحو العمل للاحتفاظ بجمهوره، بالتحوّل شيئاً فشيئاً إلى الشبكة الدولية، من أجل توفير الأخبار والمعلومات. ويبدو الجمهور منقسماً بين جانب يبحث عن عناوين عريضة ونتفاً من المعلومات المفيدة، وجانب آخر يريد وثائق وتقارير في العمق. وثمة ناحية نوعية في الإنترنت، هي أنه يتيح الفرصة الفريدة بتوفير الروابط المفضية إلى مصادر المعلومات.

والرواية الرقمية للخبر تسمح لنا أن نفهم فهماً أفضل أحداث العالم (الاحتباس الحراري، مشكلات الهجرة، الأزمات الاقتصادية...) من خلال الرسوم البيانية وشهادات الناس الشفهية،



والمحادثات والصور والفديو، من أنحاء العالم كله. وتسمح الصحافة الرقمية بالاطلاع البصري الذي يتحوّل إلى معرفة. ولا يشمل هذا التطورات الآتية وكيف ستُغني الإعلام.

مصير الصحافة المطبوعة

تستطيع الصحافة أن تنهض من جديد. ولن تكون نقطة القوة فيها القدرة على إنتاج المعلومات، بل ستكون مهمتها غربلة «تسونامي» معلومات العالم. سيكون هناك تركيز أكبر على التصنيف والاختيار والتحرير وجمع عناصر المعلومات عن الأحداث والأفكار والناس. والصحف الفضلى ستوفر أفضل المعلومات في الوقت المناسب، للذين يحتاجون إليها. إننا نراهن على نشوء صحافة محسَّنة، أكثر شفافية وتواضعاً في مهنتها وأعمالها وتحقيقاتها ومصادرها واتصالاتها...

ولإنجاز هذه المهمة، سيكون على الصحافة أن تعيد إنتاج نفسها. الجميع يتلمّس الوضع، لكن الوقت لن يطول حتى يتساءلوا إن كانوا سيَدَعون القطار يفوتهم، أو يُبقون إحدى القدمين على الأرض. وقد حان وقت التجديد من أجل التحوّل. لقد كان ثمة زمن كانت فيه الصحافة التقليدية رافضة للرضوخ لمقتضيات العصر الرقمي. أما الجمهور والمعلنون فهم أكثر تقدماً في مجال التكنولوجيا، وسيذهبون ببساطة، إلى مكان آخر.

إن ثمة أملاً أن تظل الصحافة تلعب دور الناقل الأساسي للأخبار الجدية؛ لأن الصحافيين أفضل تجهيزاً لكي ينجحوا بفاعلية في جمع الأخبار والمعلومات وتصنيفها وتحريرها وربطها، في طيف من الأدوات الجديدة. وثمة أمل في مكافحة الاستبداد الانتقائي وطوفان المعلومات على الشبكة الدولية، وهما أمران ينذران بانهيار التنبّه العام.

إنه زمن ملائم للصحافيين الذين يُبدون يقظة فيما العالم يتغيّر. فليس ثمة زمن مضى كان فيه النّهَم إلى المعلومات مثلما هو الآن. والعصر الرقمي عصر مثير للصحافيين والمحررين الثوريين. فالصحافي لا يمكنه أن يظل متفرجاً في الثورة الحاضرة، حيث يمكن للمرء أن يصبح عدوّ نفسه.

لقد كان رد فعل الصحافيين، مثل الآخرين، بطيئاً. لكن، الواضح أن عليهم أن يعيدوا اختراع دورهم. وإلا فإن الجمهور سيقرر أي مضمون يهمّه، وما هو البديل.

تنافس أم تكامل

هل العلاقة بين الصحافة الرقمية ووسائل الإعلام التقليدية، هي علاقة تنافس، أم علاقة تكامل؟ وإلامَ نحتاج لتمكين البيئة الصحافية من التكامل بين الاثنين؟ كيف سيتمكّن الصحافيون التقليديون في الصحافة المطبوعة والإذاعة والتلفزة، من استعمال الأدوات الجديدة في جمعهم وتوزيعهم الأخبار؟ الجواب هو أن الإعلام الجديد يتيح فرصة لتحويل الوضع، بتمكين المراسلين الصحافيين من فعل خمسة أفعال في الوقت نفسه.

فأولاً الأخبار يمكنها أن تُطِل على روابط بواسطة الإنترنت أو الإعلام الاستطرادي (hypermedia)، وهي الوسائل للاتصال بالنسيج العالمي على الشبكة الدولية. فمن خلال الروابط يستطيع

اكتب تعليقك هنا

شارك على تويتر

ارسل

الصحافيون أن يُغنوا خلفيات أخبارهم ويعمّقوها. وهذا أمر ضروري للأخبار التي تبقى في الإعلام يوماً بعد آخر، أو بضعة أسابيع أو أشهراً، أو حتى سنوات. فكثيراً ما ينسى القرَّاء أو يجهلون قصة الخبر من أوله، أو ينسون بعض الأسماء أو العبارات. في الصحافة التقليدية، لا يملك الصحافي متسعاً ليعيد ذكر خلفية خبره في كل مرة، لكن الروابط يمكنها أن تُحيل القارئ على ما ينقصه.

ثانياً، يمكن للصحافة الجديدة أن تكون تفاعلية. وبذلك يمكن للقرَّاء أن يتفاعلوا فيما بينهم، أو مع المراسلين أو المصادر، لينخرطوا في حوار. وبدلاً من أن يجلس القرَّاء، ويكتفوا بالقراءة أو المشاهدة، يمكنهم أن يشاركوا في سجال جماعي على الشبكة، وأن يرسلوا الرسائل الإلكترونية إلى الصحافي. وبذلك قد يتاح للصحافي أن يكتسب إضافة قيمة على روايته للخبر أو التحليل. وإذا ما حصل خطأ، فبالإمكان تصحيحه على الفور. ويستطيع المتحاورون أن يتبادلوا بعض النصوص أيضاً، أو أن يشاهدوا الفديو، إذا وُجد. ثم في إمكانهم أن يضغطوا على «نقطة ساخنة» (hot spot) ويحصلوا على معلومات أو نصوص أو تسجيل أو فديو إضافية، يزيدهم معرفة بعناصر الخبر.

ثالثاً، يتيح الإعلام الجديد استخداماً أوسع أو أغنى لأشكال الاتصال. الكلمات، المحكية أو المكتوبة، والخلفية الصوتية، والصور، والرسوم، والرسوم المتحركة، وغيرها، كلها ممكنة في البيئة الرقمية على الشبكة الدولية. كل هذه الأشكال، في مضمون الاتصال، تجهِّز الصحافي بأدوات متعددة، وتروي القصة وتقدِّم شرحاً أوفى للمشاهدين، بمخاطبتها أكبر عدد من الحواس لديهم. وتدلّ الأبحاث على أن الانتباه والفهم وحفظ المعلومات، كلها تزداد عند استخدام أشكال أكثر في مضمون الاتصال. وليس من سبب ليكون الأمر مختلفاً في الصحافة الرقمية.

رابعاً، يمكن للمضمون أن يكون ديناميكياً أكثر، في البيئة الرقمية. ويمكن تحديثه وإبقاؤه صالحاً في وسيط مثل الإنترنت، أو في وسائل البث الرقمية. وإضافة إلى هذا، يكون المضمون متوافراً عند الطلب، ويتحرّك باستمرار من المصدر إلى المتلقي، وبالعكس. ويُبقي هذا النظام المرن الجمهور والصحافي في حالة اتصال دائم، أكان المتلقي أو الصحافي في منزله، أو في غرفة الأخبار، أو في الخارج، عبر الهاتف الخلوي أو وسائل الاتصال الإلكترونية الأخرى.

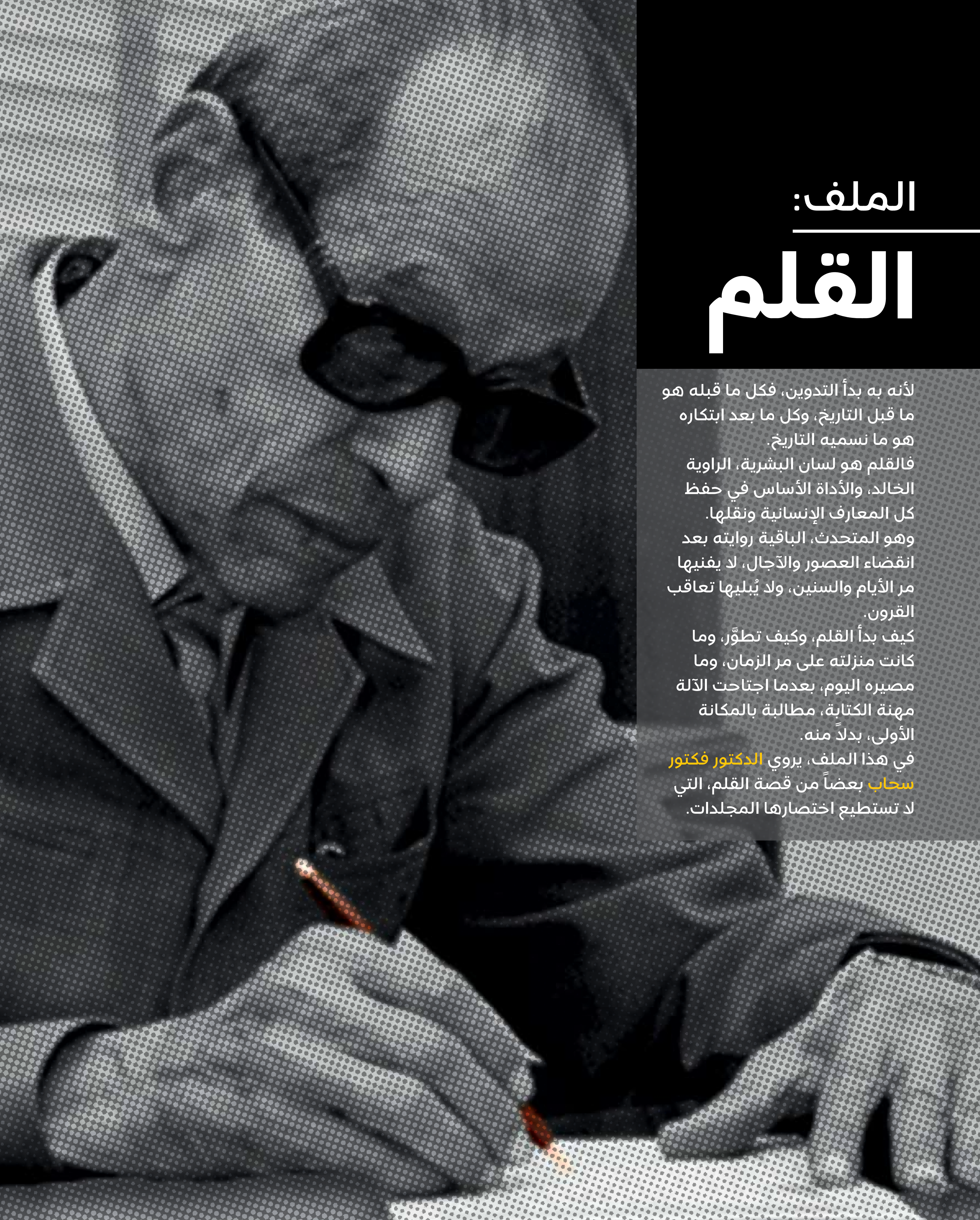
خامساً، وأخيراً، تستطيع الصحافة الرقمية أن تبلغ مستوى لا سابق له من «القولبة»، وقد كان هذا متعذراً من قبل في الصحافة. لقد اجتهد الصحافيون طويلاً لإشعار القارئ بمخاطبته شخصياً، في رواية الخبر أو التحليل. وحين كان الخبر يهمّ الناس على الصعيد الوطني أو الإقليمي أو الدولي، كان الصحافيون الجيدون، يحاولون دوماً أن يُكسبوه الطابع المحلي. فكانوا يبحثون عن رابط محلي له، أو شخص ما، أو مكان، لإعطاء الإحساس بالهوية. أما الإعلام الجديد، فيمكنه أن يرفع هذا المستوى من القولبة إلى أعلى مدى ممكن. فكل خبر يمكن تحويله إلى رواية خبرية تعني كل شخص بذاته.

خلاصة

لا يتأتى الخطر الحقيقي من الشركات الاحتكارية، التي تقيم «بوابات مكوس»، على الجادّات الإلكترونية السريعة، أو من القراصنة الرقميين الذين يختطفون الملكية الأدبية. بل يتأتّى من مسؤولين رسميين ذوي نية طيبة، يحاولون حماية تكنولوجيات حالية بالية. فالتكنولوجيا الحديثة ستوفّر قريباً القدرة على تحويل بلايين «البت» الرقمية إلى مقادير بلا حدود من المعلومات المفيدة المتاحة للجميع. لكن هذه القدرة الجديدة ستخلق المسؤولية الضخمة في مجال حماية حرية كل مواطن في الحصول على هذه المعلومات، وحق كل فرد في أن يسهم في الحوار الرقمي. لقد تطوّرت أساليب عمل الصحافة التقليدية، في عصر ندرة المعلومات المتاحة. لكن القيم الصحافية لا تتوقّف على ندرة المعلومات، وهي قيم ينبغي ألا تُفسدها وفرة المعلومات. وقيمة رواية الخبر لن تتراجع لمجرد أن ثمة معلومات أولية وافرة وسهلة التناول.

ستكون آلة الأخبار في القرن الواحد والعشرين قريباً حقيقة واقعة. وستجلب معها فوائد هائلة، حتى لو أُجبِرَت المجتمع على اتخاذ خيارات صعبة. وليس من شك في أن التكنولوجيا الجديدة ستغيِّر الصحافة. وعلى المجتمع أن يضمن أن يكون هذا التغيير نحو الأفضل. وإذا كان للصحافة الحرة والأخلاق الإعلامية أن تنجو من مخاطر الاحتيال على الشبكة الدولية، فسيكون على المجتمع أن يجيب عن الأسئلة الصعبة التي ستطرحها التكنولوجيا الجديدة عن دور الصحافة في مجتمع حر. فالتكنولوجيا، مهما كانت جبارة، يمكن أن تكون مفيدة ومجدية، بمقدار ما يقرر ذلك الجنس البشري.

للمزيد:
http://www.ojcmt.net/articles/31/317.pdf



الملف:

القلم

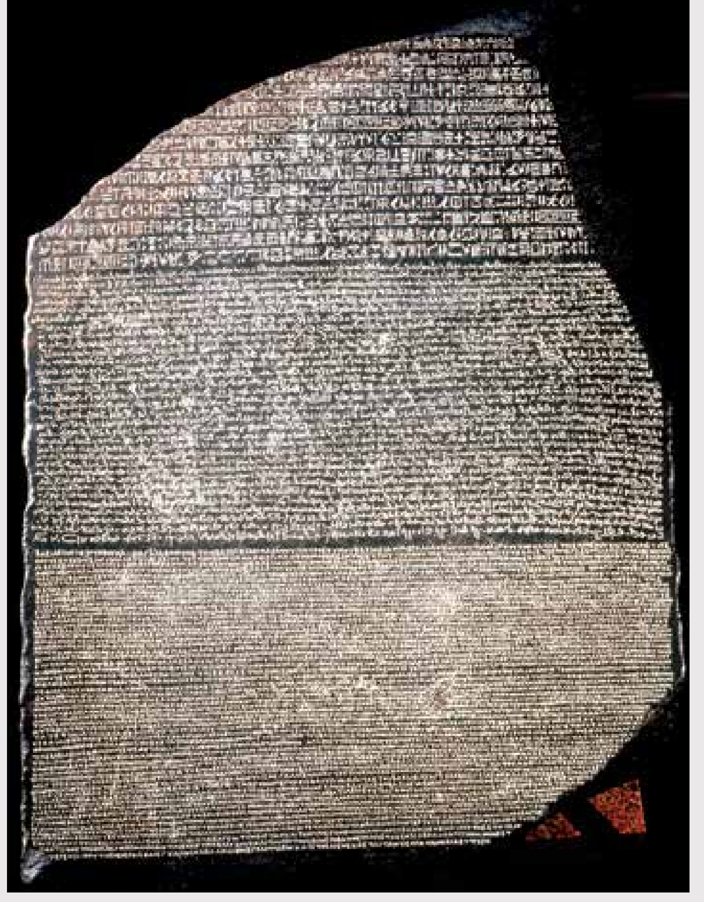
لأنه به بدأ التدوين، فكل ما قبله هو ما قبل التاريخ، وكل ما بعد ابتكاره هو ما نسميه التاريخ.
فالقلم هو لسان البشرية، الراوية الخالد، والأداة الأساس في حفظ كل المعارف الإنسانية ونقلها.
وهو المتحدث، الباقية روايته بعد انقضاء العصور والآجال، لا يفنيها مر الأيام والسنين، ولا يُبليها تعاقب القرون.
كيف بدأ القلم، وكيف تطوَّر، وما كانت منزلته على مر الزمان، وما مصيره اليوم، بعدما اجتاحت الآلة مهنة الكتابة، مطالبة بالمكانة الأولى، بدلاً منه.
في هذا الملف، يروي الدكتور فكتور سحاب بعضاً من قصة القلم، التي لا تستطيع اختصارها المجلدات.


القلم الهيروغليفي



ما بين القلم والإنسان علاقة حميمة، تبدأ باكراً عندما يكون القلم من أغلى ممتلكات الطفل وأكثرها حضوراً في حياته اليومية ما بين البيت والمدرسة. وعندما يكبر الإنسان يبقى القلم في أقرب جيوب الملابس إلى القلب. ولكن، ثمة من يرى أن هذه الأداة الصغيرة الرفيعة التي لا يزيد طولها عن الشبر، وذات الفضل في صياغة معارفنا وما نحن عليه، باتت اليوم مهددة بفعل التطور التكنولوجي الذي بدأ يقترح بدائل لها. وسواء أكانت المخاوف على مصير القلم في محلها أم لا، فإنه يستحق وقفة أمام تاريخه وحاضره، ولو من باب التكريم والاعتراف بما له من فضل علينا.

حجر رشيد



بدايته: مسمار

من أقدم ما لدينا من الكتابة بأنواع الأقلام الأولى التي استحدثها البشر، الكتابة المسمارية على ألواح الطين في وادي الرافدين، والكتابة بالبوص على ورق البرديّ في مصر الفرعونية.

كان القلم في الكتابة المسمارية، مسماراً من الحديد أو عوداً من الخشب أو بوصة، حسبما كانت طبيعة اللوح الذي يكتبون عليه. فاللوح المعدني أو الحجري، يُكتَب عليه بقلم معدني، هو نوع من المسمار، وإن كانت التسمية بالكتابة المسمارية مأخوذة من شكل الكتابة، لا من القلم- المسمار. أما على الشمع والطين، فكانوا يكتبون بقلم من الخشب أو القصب. كان المسمار عبارة عن قضيب معدني يُشطَف طرفه ويُقلَّم. كذلك الخشب والقصب.

هذا النوع من الكتابة عمره خمسة آلاف سنة، وظلت الكتابة المسمارية منتشرة حتى آخر القرن الميلادي الأول. وقد ظهرت أولاً عند السومريين، ثم اعتمدها البابليون والأشوريون.

وتطّورت الكتابة بهذا القلم من التصوير، إلى كتابة الرموز الكتابية، لكن النقش بالقلم المسمار ظل معتمداً. واستُخدمت الكتابة المسمارية فيما بعد في كتابة اللغات الأكاديّة والحثّيّة والفارسيّة القديمة. وكُتبت بها سِيَر الملوك والأمراء، وأهم أحداث الحياة

العامة (مثل قصة الطوفان العظيم)، وكذلك المعاملات التجارية والحسابات المالية والأحوال الشخصية والآداب والعلوم والأساطير والمعتقدات. ومن أشهر النصوص المكتوبة بالقلم المسماري، ملحمة جلجامش، وشريعة حمورابي الملك البابلي (1728 - 1686 قبل الميلاد)، وهي تضم القانون المدني وقانون الأحوال الشخصية وقانون العقوبات. وفي العصر نفسه دُوِّن بالمسمارية كثير من علوم ذلك الزمان، فانتشرت في كل المنطقة.

كان الملك أشوربانيبال (668 - 626 ق م) من أكثر ملوك آشور ثقافة وعلماً، فجمع الكتب من أنحاء البلاد، وخزَّنها في مكتبة عامة في نينوى، ووضع فيها كل ما استطاع من ألواح طينية كُتبت عليها بالقلم المسماري العلوم والمعارف والحضارة العراقية القديمة.

وفي المتحف البريطاني الآن نحو 130 ألف لوح طيني من الكتابة المسمارية، تعود إلى حضارة ما بين النهرين.

دُرر الأقلام





في العالم أناس لا يأبهون بتاتاً بما إذا كانت الإلكترونيات ستقضي على القلم أم لا. فالقلم في نظرهم يمكن أن يكون تحفة أو دُرَّة بحد ذاته. فيجمعون الأقلام النادرة تماماً كما يجمع آخرون اللوحات الفنية أو الساعات أو التحف الأثرية.

في العام 2010م، بيع بالمزاد العلني في شنغهاي في الصين قلم حبر سائل من تصميم محترف تيبالدي في فلورنسا، إيطاليا، بمبلغ ثمانية ملايين دولار. وفي تفسير هذا الثمن الخرافي لقلم مصنوع حديثاً، أشار الخبراء إلى أنه مرصَّع بـ 945 ماسة سوداء و123 ياقوتة. ولأن ثمن هذه الأحجار الكريمة الصغيرة لا يتجاوز آلاف الدولارات، قال الخبراء إن الميزة الأولى لهذا القلم هو أنه الأول والوحيد الذي صُمم وفقاً للنسبة الجمالية المعروفة منذ عهد الإغريق بالحرف «في» (V). أي إن طول القلم مع سدادته يبلغ بالنسبة إلى طول السدادة مقدار «في» (V) تماماً، وهو 1.618.

أما أغلى قلم حبر جاف، فهو واحد من إصدار محدود صنعته شركة «مون بلان»، ويبلغ ثمنه 730 ألف دولار.

ولم تقصِّر أقلام الرصاص نسبياً عن غيرها. فقد صنعت شركة فابير-كاستيل أقلام رصاص خشبية بممحاة لا تختلف كثيراً عن غيرها، إلا بإضافة غطاء لرأس القلم من الذهب عيار 18 قيراطاً ومرصع بثلاث ماسات صغيرة. والثمن 12,800 دولار للقلم الواحد.

ومن أشهر الأقلام الغالية على قلوب الهواة، تلك التي تعود إلى النصف الأول من القرن العشرين، ومن صناعات الماركات الشهيرة عالمياً مثل باركر، وترمان، شيفر، كروس، إضافة إلى إصدارات دور الجواهر غير المتخصصة.

أما الأقلام التاريخية التي استخدمها مشاهير الكتَّاب والأدباء مثلاً، والتي يمكنها أن تحطم كل الأرقام القياسية، فهي غائبة بشكل شبه تام عن دور المزادات العلنية. ويفسِّر الخبراء هذا الغياب بالقول إن معظم المشاهير وورثتهم لم يكترثوا بالأقلام اكتراثهم بالمخطوطات. والقليل الذي وصلنا منها محفوظ في المتاحف، إضافة إلى صعوبة تأكيد أن هذا القلم كان فعلاً لفلان أو فلان.



أقلام فاخرة لهواة هذا النوع


في المعابد الفرعونية

القصب الفرعوني

في مصر، كانت الحضارة في الوقت نفسه تبني صروح العلم والمعرفة الفرعونية الشاهقة. لكن أسلوب الكتابة كان مختلفاً، والقلم أيضاً. فقد كتبوا على البرديّ بنوع من الحبر، بواسطة البوص، كانوا «يقلّمونه» لهذا الغرض، أو بواسطة ريش الطير.

وكانت الكتابة أشبه بالوظيفة المقدَّسة لديهم، وكان الكتَّاب يحظون عند الفرعون وأعيان البلاد بمكانة تكاد تضعهم في طبقة نبيلة على أعلى المستويات في الإدارة والدولة.

ويقول التاريخ إن كثيراً من الحكماء المصريين القدماء، مثل بتاح حتب، وآني وسيب حتب، وإيبور رفعوا مكانة الكاتب المصري وقلمه، إلى مرتبة قريبة من القداسة. ومن أقوالهم الباقية لنا في هذا الصدد:

- لينطق قلمك بالحق ولا يحفظ إلا الصدق، ولا تدع يداً تحرّكه غير ضميرك.
- إن من يُخرِس صوت القلم، يَخرَس صوته إلى الأبد.
- صوت القلم هو أعلى الأصوات، لأنه صوت الحق.
- قلم الكاتب طائر يحلِّق في الآفاق العالية، فيرى ما لا يراه الغير ويصدح بما يراه، وينقله إلى مَنْ في الأرض.
- إن من يُغرق صوت القلم بقوة ساعده، سرعان ما يَغرق هو، ويطفو صوت القلم على السطح.

ولا بد من الإشارة إلى أن المصريين لم يكتفوا بالكتابة بالقصب؛ لأنهم نقشوا بالمعدن أيضاً، بأقلام من النحاس والحديد، على حجارة بقيت لنا من زمنهم، ومن هذه الكتابات المنحوتة الباقية حجر رشيد، الذي فُكّت بوساطته رموز الكتابة الهيروغليفية، وكذلك الكتابات في المعابد، مثل معبد الكرنك الشهير.

اليونان والرومان وما بعد

ورث اليونان والرومان عن المصريين، الكتابة على ورق البرديّ، لكنهم استعملوا كذلك الجلد، ونقشوا على الخزف وعلى المرمر. وكانت أداة الكتابة معدنية، حتى على البرديّ. وكانوا يكتبون عليه برفق، على نحو مقروء.

أنواع أقلام المسلمين

تنوّعت الأقلام عند الكتّاب المسلمين، حتى قيل إنها انتهت إلى اثني عشر نوعاً. ومنها: القلم الجليل، أول ما ظهر في أواخر العصر الأموي، وأوائل الدولة العباسية. وكان يُستخدم في الكتابة في المحاريب وعلى أبواب المساجد وجدران القصور ونحو ذلك. والكتابة بهذا القلم تسمَّى: القلم الجلي؛ لأنه أكبر الخطوط وأوضحها. ومنها الطومار، وكان مخصصاً لتوقيع الخلفاء على المكاتبات ومراسلة السلاطين وكبار الدول، ومنها قلم مختصر الطومار، وثلثا الطومار، وكان لكتابة اعتماد الوزراء على المراسيم، وكتابة السجلات المحفوظة. وكان قلم الثلثين لكتابة الخلفاء إلى العمال والولاة والأمراء. ومن الأقلام، القلم المدوّر الصغير، وهو لكتابة الدفاتر ونقل الحديث والشعر، وقلم العهود، وهو لكتابة العهود والبيعات، وقلم غبار الحلبة، وهو لكتابة بطائق الحمام الزاجل.

كذلك كان من الأقلام، التي صنعها المسلمون واستعملوها في مختلف أوجه الاستعمال، قلم توقيع الإجازة، وسُمّي بذلك، لأن الخلفاء والوزراء يوقعون به، وقلم الرقاع وهو من الأقلام القديمة التي استُعملت في ديوان الإنشاء، وقلم الثُلث، وهو ثلث الطومار، واستُعمل لكتابة عناوين الكتب، وأوائل نسخ القرآن الكريم، وأقسام الكتب واللافتات التي يُكتب عليها اسم صاحب الحانوت، وقلم النسخ، وسمّي بذلك، لأن الكتاب كانوا ينسخون به مؤلفاتهم، وقلم الرقعة، والقلم الفارسي وكتب به خط التعليق.

وقد جعل الخطّاطون من كل قلم، الثقيل والخفيف والأوسط، فالقلم الثقيل هو ما كان أميل إلى الشبع، والخفيف هو الأقرب إلى الدقّة، أما الأوسط فهو الذي يتوسطهما.



وكان قضيب المعدن المدبّب والمقلّم الذي يكتب به الرومان يسمونه: ستيلوس (stylus)، ومنه أخذ الفرنسيون تسميتهم لقلم الحبر الحديث: ستيلو (stylo).

الإسلام وازدهار الكتابة وأدواتها

ثم بزغ فجر الإسلام. وكان بزوغه بشيراً ببدء عصور زاهية في الكتابة والعلوم، إذ إن من الأقوال التأسيسيّة في الحضارة الإسلامية، قوله تعالى في سورة العلق، وهي من قصار السور: **{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4)}** (الآيات من 1 إلى 4). وقد ورد ذكر القلم في القرآن الكريم في أربع آيات من أربع سور.

وكان انتشار الإسلام وتأسيس دولته وامتدادها، على كثير من أرجاء العالم القديم، وما صاحب هذا كله من مراحل تحوّل حضارية، كالتعريب والترجمة ومعرفة العرب صناعة الورق، وظهور سلالات من المؤرخين وكتّاب السِير والمغازي والشعراء واللغويين والعلماء وازدهار الكتب وصناعتها، وظهور أجيال من الخطّاطين المبدعين، الذين كانوا كمطابع منتجة للنتاج الثقافي والحضاري، كان هذا كله حافزاً عظيماً على تقدّم صناعة الكتابة وأقلامها عند العرب. فقد اعتنى المسلمون بأدوات الكتابة من أقلام وورق، أيمَّا اعتناء، وأتقنوا صناعتهما، وتفننوا خصوصاً في صنع الأقلام. وكانت الكتابة من أرق الصناعات في العصور الأموية والعباسية والفاطمية والأيوبية والأندلسية وحتى المملوكية. وكان لزاماً أن تكتسب صناعة الأقلام سمعة طيبة، لارتباطها المباشر بالكتابة، ولأن القلم هو أداة العلم الأولى. وقد أُطلق على القلم عديدٌ من الأسماء، فهو المِزبَر، الذي يُزبَر به، أي يُكتَب به. وهو اليراع، أي القصب إذا بُري ليُكتَب به.

لكن أشد الأسماء شيوعاً، هي: القلم، وقد تعددت الآراء في معناه. ففي «اللسان»: القلم الذي يُكتَب به، والجمع أقلام وقِلام... وجمع أقلام أقاليم. قال ابن برّي:

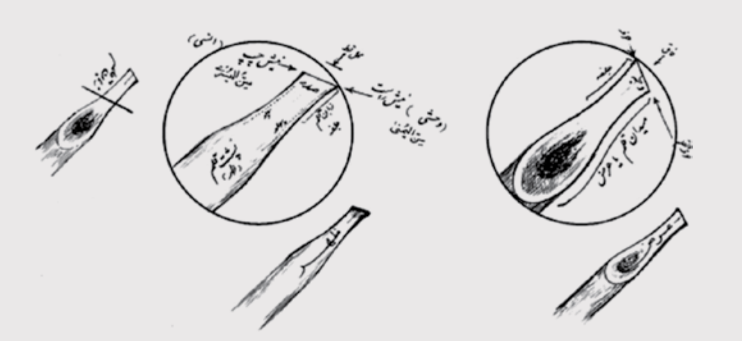
صحيفةٌ كُتِبت سراً إلى رجلٍ
لم يدرِ ما خُطَّ فيها بالأقاليمِ

والمقلمة: وعاء الأقلام. لكن «اللسان» يضيف: والقلم الزَّلَم. والقلم السهم الذي يُجال بين القوم في القمار، وجمعها أقلام. وفي التنزيل العزيز: **{ومَا كُنتَ لديهِم إذ يُلقونَ أقلامَهُم أيُّهم يكفُلُ مَريَم}** (آل عمران: الآية 44). قيل معناه سهامهم، وقيل أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة... وإنما قيل للسهم القلم، لأنه يُقلَم، أي يُبرى... من ذلك القلم الذي يُكتَب به لأنه قُلمَ مرة بعد مرة، ومن هذا قيل: قلَمتُ أظافري، وقلمتُ الشيءَ بريتُه.

صناعة المسلمين القلم

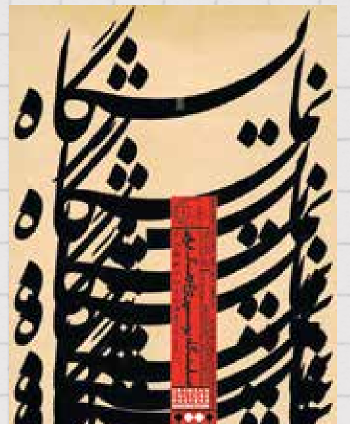
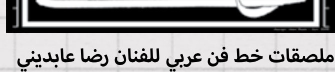
استخدم المسلمون لُبّ جريد النخل الأخضر في صناعة الأقلام، وكانوا أيضاً يستخدمون في ذلك القصب، الذي كانت صناعته سائدة لمزاياه الواضحة. فالأقلام المصنوعة من قصب تُبرِز قواعد الخطوط العربية المتنوعة إبرازاً جلياً. وهي سهلة الاستعمال وطوع يد الخطّاط، يقطعها كما يشاء، ويقلّمها بسهولة، وفقاً لثخانة الخط الذي يريد أن يكتب به، ونوع هذا الخط. والقصب متين جداً في الكتابة. ولذا، فهو يتيح كتابة سليمة للخطوط الرفيعة جداً. وكان من خبرة الخطاطين، أن يعرفوا أنواع القصب ومزاياه المختلفة.

وكان الكاتب المتقِن، يبحث عن الأقصاب الجيدة، ليصنع منها أقلامه، ولو اضطر إلى استجلابها من بلاد بعيدة. وقد أرسل أحد





ملصق خط عربي للفنان عبدالله عكر

ملصقات خط فن عربي للفنان رضا عابديني

الخطاطين، وهو مقيم في خراسان، إلى صاحبه في بغداد، ليرسل إليه بأنواع جيدة من القصب لندرة الجيد في موطنه. وقد صنّف الكاتب القلم المفضّل، وفقاً لحجمه ومقاسه، فهو ما توسطت حالته في الطول والقصر والغلظ والدقة، وقال في شرحه مطلبه: «فإن الدقيق الضئيل تجتمع عليه الأنامل، فيبقى مائلاً إلى ما بين الثلث، والغليظ المفرط لا تحمله الأنامل». بل يذكر ابن مقلة الشيرازي، الخطاط الإيراني، وكان من أشهر خطاطي العصر العبّاسي، أن «خير الأقلام ما كان طوله من 16 إصبعاً إلى 12، وامتلاؤه ما بين غلظ السبّابة والخنصر». وفي موضع آخر، قيل إن أحسن قدود القلم، ألاَّ يتجاوز به الشبر بأكثر من جلفته. والجلفة في القلم، هي ما بين مَبراه وسنّه.

ومن الأمور التي كان على الخطاط أن يتقنها، براية القلم. فالقلم لا يُسمّى كذلك، حتى يُبرى، وإلا فهو قصبة. وكان تعلّم البراية من أهم ما على التلميذ أن يتعلّمه ليصير خطاطاً. فلا بد لِسِنِّ القلم من أن يكون مستقيماً لا تعرّج ولا التواء ولا شقوق فيه، وإلا احتوت الكتابة على بياض في غير محله. وكان لا بد من أن يكون السن مائلاً ميلاً يساعد في الكتابة الأصولية في الخطوط الكوفي والثُّلُث والديواني والفارسي والنَّسخي والرقعي، وغيرها. وكان ينبغي أن يكون عرض السِن في القلم مناسباً لحجم الكتابة، وإلا كانت الكتابة هزيلة أو أغلظ مما يجب. وكانت السكين أداة بري الأقلام، وكانت تلازم الخطاط؛ لأنه كان يحتاج من وقت لآخر إلى بري القلم وإعادة تقليمه بعد تلف من جراء كثرة الكتابة.

أوروبا تحمل القلم

في أوروبا، بعد عصر الرومان، والاستفادة من العلوم العربية والإسلامية المتطوّرة، لا سيما من خلال التماس مع الحضارة الأندلسية، أخذت الكتابة تنتشر في القرون الوسطى، فسمّى الإنجليز القلم: «pencil» نقلاً عن الفرنسية القديمة: pincel. وكانت هذه الكلمة أصلاً منقولة عن اللاتينية: penicillus، التي تعني: الذنَب الصغير؛ لأن القلم كان عوداً في آخره شعيرات من وبر الجمل، هي ريشة للكتابة. ومنه تطوّرت ريشة الرسم التي نعرفها اليوم.

وكان انتقال تقاليد الكتابة واستخدام القلم في نسخ العلوم والآداب، من عرب الأندلس، إلى الأوروبيين، بداية عصر النهضة في أوروبا.

اكتشاف الغرافيت

في نحو العام 1500م، اكتُشفت كتلة كبيرة من معدن الغرافيت (وهو نوع من أنواع الكربون المتوافر بكثرة في الطبيعة)، بالقرب من غراي نوتس، في كامبريا (إنجلترا)، وارتأى القرويون أن هذا المعدن مفيد جداً في وضع إشارات على قطعانهم، لتفريقها عن قطعان الآخرين. والغرافيت صلب جداً ونقي من الناحية الكيميائية، ويمكن أن تُصنَع منه أعواد دقيقة.

كانت علوم الكيمياء في طفولتها، وظن العلماء أن الغرافيت نوع من الرصاص، لذا سمّوه: الرصاص. ومنه صُنع قلم الرصاص، الذي ظل قروناً ملكاً متوجاً على عرش الكتابة. ومع أن العلم أثبت فيما بعد أن الغرافيت ليس سوى نوع من الكربون، إلا أن الناس لا يزالون إلى الآن يطلقون بالإنجليزية اسم الرصاص (lead) على العود المعدني الذي يخترق القلم، من طرفيه. حتى اللغات الألمانية والإيرلندية والعربية احتفظت بالاسم الخطأ: قلم الرصاص.

صُنع قلم الرصاص

ولما كان عود الغرافيت، المصنوع للكتابة قابلاً للكسر، فقد كانوا يلفّونه بخيطان، ثم أخذوا يلفّون حوله جلد نِعاج، من أجل حمايته. وأخذت تنتشر في البلدان البعيدة والقريبة أخبار هذا النتاج الجديد: قلم الرصاص، وفوائده وخصائصه الجمّة. وكان أن أخذ يلفت انتباه الفنّانين في العالم أجمع، حتى أخذوا يستعملونه في رسومهم.

وظلت إنجلترا تتمتع باحتكار صنع قلم الرصاص، حتى أمكن إيجاد طريقة لصنع مسحوق الغرافيت، فانتشرت صناعته بالمسحوق في بلدان أخرى. وثابرت إنجلترا مع ذلك على صنع قلم الرصاص ذي المقطع المربّع، بغرافيت مقدود من المعدن الطبيعي، حتى ستينيّات القرن الميلادي التاسع عشر. ولا يزال في مدينة كسويك، قرب منجم الغرافيت الأول، مصنع ينتج أقلام الرصاص، وبجوار المصنع متحف كمبرلاند للأقلام.

ففي سنة 1560م، صنع سيمونيو ولنديانا برناكوتي ما يمكن أن يكون الجد الأول لقلم الرصاص الحديث، المصنوع من الخشب والغرافيت. وكان المقطع الأول لهذا القلم مستطيلاً، أو بيضويّاً. وبعد مدة قصيرة اخترعوا أسلوباً جديداً لصنع القلم، بجمع عودي خشب حول عود الغرافيت ولصقهما بالغراء. ولا يزال هذا في الإجمال هو أسلوب صنع الأقلام في أيامنا هذه.

القلم في الشعر العربي

ورد ذكر القلم في الشعر العربي بكثرة بدلالاته المجازية إلى الأدب والعلم. أما أشهر ذكر له كأداة بحد ذاتها، فهو قول المتنبي الذي يعرفه الجميع:

الخيـل والليـل والبيـداء تعرفـني
والسـيف والرمـح والقرطـاس والقلم

وقد وازن المتنبي في بيت شعره الشهير هذا، بين السيف والرمح، وبين القرطاس والقلم. وكان شاعر العرب التاريخي في سلوكه يمارس هذه الموازنة، فيرى نفسه سيداً في مقارعة الفرسان في ساحات الوغى، وسيداً لا ينازَع في قرض الشعر على أعلى مستوى.

ويُروى أن هذا البيت كان سبب مقتل الشاعر، إذ إنه لكبريائه المعروفة وأنفته المعنوية الطاغية، أبى أن يتخذ لقلمه حماية من السيف.

ففي أثناء سفر المتنبي وابنه محمد وخادمه مفلح، عائداً إلى الكوفة، وكان قد حمل جميع أمواله وكانت كثيرة، قال له رجل: إن فاتكاً الأسدي معه عشرون فارساً يبحثون عنك فخذ معك عشرين فارساً. فرفض المتنبي ثم رحل. وفي الطريق قابله فاتك ورجاله، وعندما رآهم كثراً، قيل إن المتنبي أراد ان ينهزم. فقال له ابنه: يا أبي، وأين قولك: (الخيل...).

فقال له: ويحك قتلتني، ثم قاتل حتى قُتل.

... وشعراء آخرون

ووصف شعراء عرب كثيرون القلم في أشعارهم، وتباروا في مدحه وإطرائه، حتى شبّهه بعضهم بالسيف، من شدة فعله وأثره.

على سبيل المثال، شبّه محمد بن عبدالملك بن صالح الهاشمي القلم بالإنسان لأنه ينطق، وقال إن نطقه جواهر:

وأهيف طـاوي الكشـح أسـمر ناطق
له جـولانٌ فـي بطـون المهارق
كـأنَّ اللآلـي والزبرجـدَ نطقُـه
ونـور الخزامـى في عيـون الحدائـق

الأهيف هو ذو الخصر الضامر، يصف ضمور القلم. والكشح موقع السيف من خصر متقلّده، وطوى كشحه على أمر، أي استمر عليه. وطوى كشحاً على ضِغنِ أي أضمره، وطويتُ كشحي على أمر، إذا أضمرتُه وسترتُه. يقول إن القلم كالسيف نطقه شبيه بجولان في بطون المهارق. والمهارق جمع المُهرَق، وهي الصحيفة البيضاء يُكتَب فيها.

وشبّه ابن عبد ربه القلم بساحر تزدهي به الصحف، فتروي من حكاياته درراً وجواهر، إذ قال:

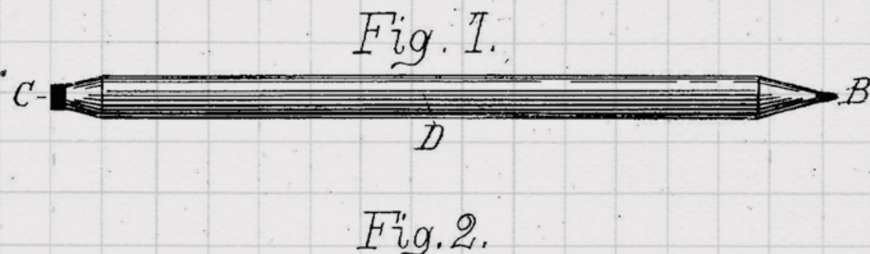
بكفّـه ساحـر البيـان إذا
أدارَهُ فـي صحيفـةٍ سـحرا
مهفهـفٌ تزدهـي بـه صحـفٌ
كـأنّمـا حُـلِّيَـت بـه دررا
يكـاد عنوانـها لروعتـه
يُنبيـكَ عـن سرّه الـذي اسـتَتَرا

وقال التهامي في وصفه القلم، وتشبيهه بالخيل والسيف:

يَلقى العِـدا من كُـتْبه بكتائبٍ
يُجريـن مـن زرد الحـروف ذيـولا
فترى الصحيفـةَ حَلبةً وجيادَها
أقلامَـه وصريـرَهـنّ صهـيلا
في كفّه قلمٌ أتمُّ من القنا
طـولاً وهـنّ أتـمُّ منـه طولا

يقول إن القلم أبعد أثراً من السيوف، مع أنهن أتم منه طولاً.

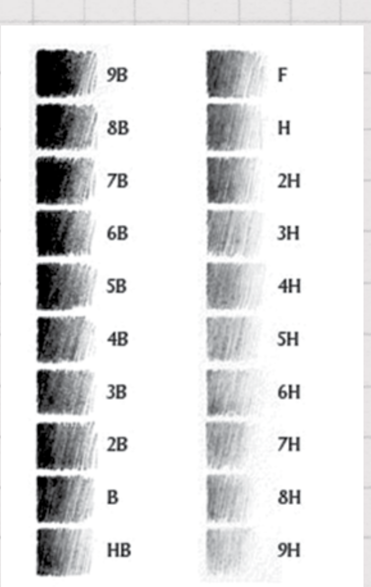




القلم في الحروب

خلال حروب نابليون بونابرت مع الإنجليز، والحصار البريطاني لفرنسا، تعذّر على الفرنسيين أن يستوردوا أعواد الغرافيت النقي، من مناجم غراي نوتس الإنجليزية، المصدر الوحيد في العالم آنذاك. كذلك تعذّر على الفرنسيين الاستفادة من نوع أقل جودة، من الغرافيت الألماني، لصنع الأقلام. مما اضطر بونابرت إلى تكليف أحد ضباطه أن يعالج الوضع. ففي سنة 1795م، اكتشف نيكولا جاك كونت طريقة لمزج مسحوق الغرافيت بالصلصال، لصنع مزيج يمكن تشكيله في أعواد تُطبَخ في أفران، حتى تصلُب. وكانت نسبة الغرافيت من الصلصال، تتحكّم بصلابة هذه الأعواد. ولا تزال هذه الوسيلة، التي كان قد سبق إليها النمسوي يوزف هارتموث، في سنة 1790م، مستخدمة حتى الآن.

وفي أمريكا، ظل المستوطنون الأمريكيون يستوردون الأقلام من أوروبا، حتى بعد الثورة الأمريكية على الحكم البريطاني، على الرغم من نشوب الحرب. ويقال إن أول من صنع الأقلام الأمريكية، كان وليام مونرو وهو نجار في مدينة كونكورد، بولاية ماساشوستس، سنة 1812م. أما إبنزر وود فكان أول من صنع أقلاماً ذات مقطع سداسي الأضلاع.



الرسم البياني لدرجات قسوة قلم الرصاص

إضافة الممحاة

ظلت صناعة الأقلام، على جانبي المحيط الأطلسي تتطوّر، بتحسين مزيج الغرافيت والصلصال، وباختيار أفضل أنواع الخشب، لكن التطوّر التالي الذي يستحق الذكر، هو إضافة الممحاة، إلى أحد طرفي قلم الرصاص. ففي 30 مارس 1858م، حصل هايمن ليبمان على أول براءة اختراع، بإضافته ممحاة إلى طرف القلم. وباع ليبمان براءته إلى جوزف ريكندورفر، بمبلغ 100 ألف دولار أمريكي. وأخذ ريكندورفر يقاضي صانع أقلام آخر، هو فابر - كاستل، لانتهاكه حقوق الاختراع. لكنه خسر دعواه حين حكمت ضده المحكمة الأمريكية العليا، سنة 1875م.

قساوة الرصاص

في صناعة أقلام الرصاص اليوم، تدرّج في قساوة الغرافيت، تتحكّم بها نسبة الصلصال، وهي قساوة تتدرّج في عشرين درجة تراوح بين القساوة القصوى، واللين الأقصى، وما بينهما. ويشار إلى الدرجات القاسية برموز كتابة هي بين 9H، وH. أما الدرجات اللينة، فتراوح بين 9B، وB. ثم هناك درجتان متوسطتان.

ويتيح تدرّج القساوة واللين في غرافيت القلم، لمن يشتريه، أن يختار ما يناسبه من هذه الدرجات. فالرسوم التقنية والهندسية تستخدم عادة القلم القاسي؛ لأن خطه دقيق وحاد. ويستخدم مصممو الآلات والمصنوعات، الأقلام ذات القسوة المتوسطة. أما الرسوم الفنية فهي تحتاج إلى لين في الخط. والدرجات العشرون توفر خياراً غنياً يلبي رغبة من يستعملون القلم.

الأقلام: ألوان وأنواع

في مطلع القرن الميلادي العشرين، ظهرت الأقلام الملوّنة، وعودها مصنوع من أصباغ، ممزوجة بالصلصال، والأصماغ. وقد تعمّم استعمال أقلام التلوين على نطاق واسع في النصف الثاني من القرن العشرين. ويستخدم المصممون أنواعاً ممتازة من أقلام التلوين في عملهم. فهي توفّر لهم مجموعة غنية من الألوان. وتتدرّج

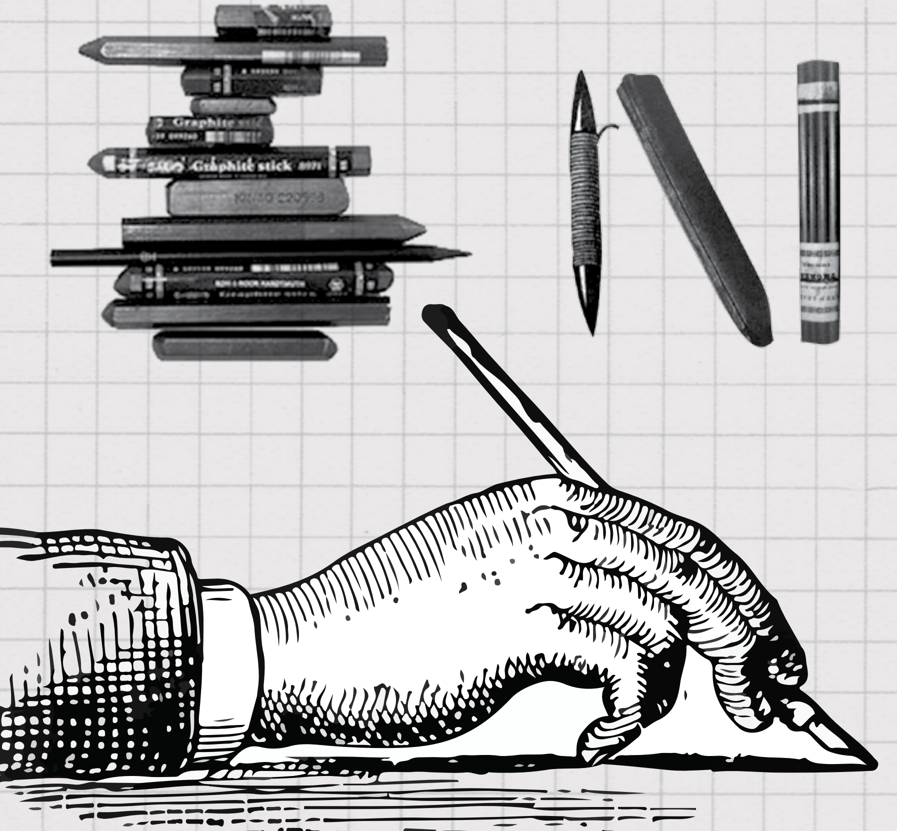
قساوة عود قلم التلوين، لكن هذه القساوة غير مصنّفة مثل أقلام الغرافيت. ولما كانت هذه الأقلام الملوّنة مستخدَمة بكثرة في تمارين التلوين التي يمارسها الأطفال في المدارس، فقد ارتبطت في الأذهان، بسن الطفولة والفتوة في المدارس الابتدائية.

وثمة نوع من الأقلام، هو قلم «الصبغ الأنيلي» (aniline)، المعروف في اللغة العامية بقلم «الكوبيا»، وكان شائعاً قبل انتشار قلم الحبر الجاف. لأن كتابته لا تُمحى، مثلما تُمحى كتابة قلم الغرافيت. وكانت طريقة الكتابة بهذا القلم، هي بَلُّ طرفه، وغالباً ما كان الأطفال يبلّون طرفه بلسانهم، فيكتب خطوطاً كالحبر لا تُمحى.

كان قلم الكوبيا هذا شائعاً في المدارس مع التلاميذ، أما الأساتذة فكان يشيع لديهم استخدام قلم آخر مزدوج الألوان، فمن طرف يكون اللون أحمر، ومن الطرف الآخر أزرق. كان ذلك لأن على الأستاذ أن يضع ملاحظات على دفتر التلميذ، باللون الأزرق، والعلامة النهائية باللون الأحمر، أو العكس. بذلك كان يميّز بين صنفي الكتابة. وكان أول من امتلك براءة اختراع لهذا القلم، صانعه الفرنسي كونت. كذلك ظهرت أقلام، ذات أربعة ألوان: أزرق وأحمر وأصفر وأخضر. وكان على الملوّن أن يدير قلمه إلى الوجهة المناسبة، لكي يحصل على اللون المطلوب.

وهناك أقلام «الأكواريل»، التي يمكن بلّها بالماء، ويمكن استخدامها كذلك وهي جافة. وهي مستخدمة مع رسم «الغواش» و«الأكواريل». وأما أقلام «الباستل»، فهي مصنوعة من عجينة من صبغ مسحوق، ينتج عنه أقلام مختلفة الألوان. ومادة الباستل، تُليَّن بإضافة المسك العربي. ومن أقلام الرسم المفضّلة لدى بعض الفنانين، قلم الفحم الخشبي. وقلم الفحم متدرّج في القساوة أيضاً، بين 4H و4B. وهو يتيح دقة أكبر من الفحم، في الرسم. ويُصنَع قلم «سانغين» من الطين الأحمر الطبيعي. وهو أشبه بالباستل، ويُستخدَم على الخصوص في تقنية «الأقلام الثلاثة»، مع قلم الحجر، والطبشور الأبيض.

ويستخدم النجّارون «قلم النجّار»، وهو قلم رصاص ذو مقطع مستطيل. ويرسم به النجار على الخشب، قبل قطعه بالمنشار. وحتى يكون القلم قوياً يحتمل الكتابة على الخشب، فإن عود «الرصاص» في هذا القلم، مستطيل أو بيضويّ المقطع، على شكل خشب القلم نفسه. أما قلم البنّاء، الذي يتعيّن أن يكون قاسياً جداً ليحتمل الكتابة على الحجر، فتراوح قسوته، بين 4H و9H. ويستخدم الخيّاطون أقلاماً، مصنوعة إجمالاً من الطبشور، وهي في الغالب ليست أقلاماً بل في شكل صابونة مربّعة ودقيقة.



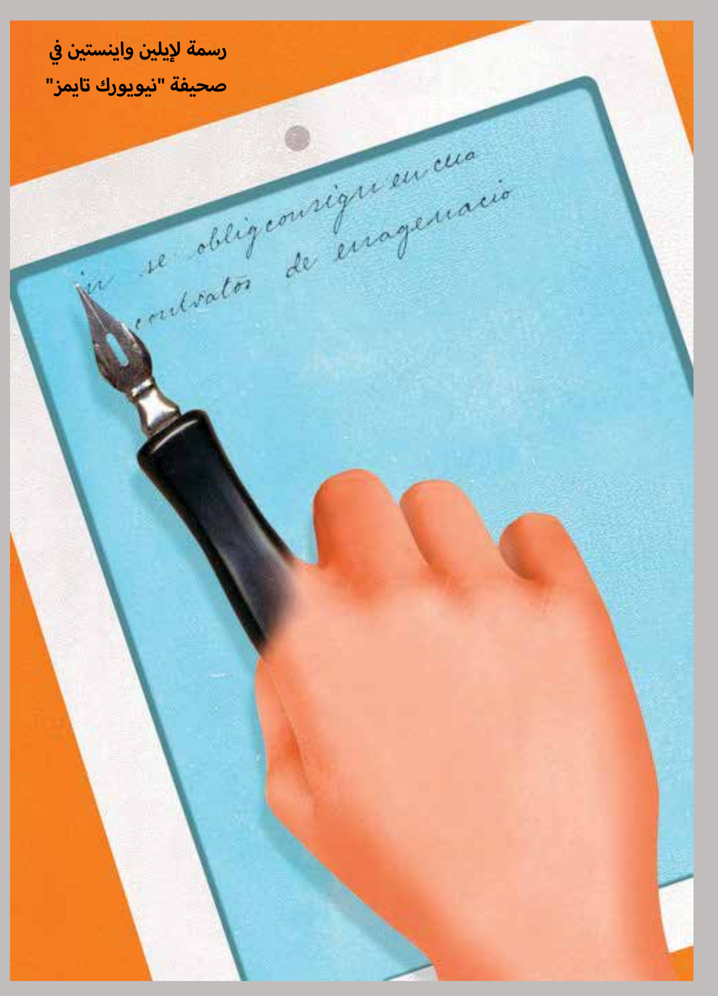
مات القلم!

كتبت إيلين واينستين، في صحيفة «نيويورك تايمز» تنعى القلم وتعلن موته، في عصر الكمبيوتر. وقالت واينستين، إن الإصبع قتلت القلم. ومما جاء في مقالتها:

«لاحظت هذا أول مرة منذ أسبوع، حين طلبت صديقتي أن أعيرها قلماً، حتى توقِّع على ورقة مالية. وأجبتها على الفور: «حتماً»، ثم فتحت حقيبة الكمبيوتر وأخذت أفتش عن قلم، ووجدت كل شيء إلا القلم. وبدأت معها التفتيش في البيت، على طريقة التحرّي، وبحثنا في المكتب والمطبخ والأدراج وغرف النوم وحتى في السيارة بلا جدوى. ثم اكتشفت أن آخر قلم رأيته كان قبل شهرين. مع أن بيتي مملوء بالكمبيوترات والهواتف الذكية والأجهزة الإلكترونية الأخرى. لكن لا قلم!

لقد شاعت أخبار موت القلم، منذ عقدين من السنين تقريباً. فقد حلَّت محله بعض الوقت أعواد من البلاستيك سمّيت «ستايلس» تشبه القلم، يكتبون بها على الشاشات الإلكترونية. لكن القلم نجا وامتد به العمر زمناً. أما أنا فأرى أن القلم فقد الحاجة إليه، لتحل الإصبع مكانه تنقر على شاشات اللمس.

فالإصبع، على عكس القلم، لا تفرغ من الحبر. وهي مجانية، وتبقى معك حيثما ذهبت. وأستخدم إصبعي لأكتب ملاحظات على هاتفي، وأسجل عناوين الكتب، وحتى أرسم على «الآيباد». ومهما خططت، فلا أخشى أن أضيع شيئاً من هذا، لأنني، على عكس الورقة، أحفظ مدوناتي على الذاكرة الإلكترونية.



رسمة لإيلين واينستين في صحيفة "نيويورك تايمز"

وإلى زمن قريب، كانت المعاملات المالية لا تزال صامدة مع القلم. لكنني اليوم أدفع فواتيري بالتوقيع على الشاشة. وحين أذهب إلى مقهى الحي، أوقع بإصبعي على «الآيباد». لقد ألغت معظم الشركات الكبرى القلم، وحتى «الستايلس»، فحلت مكانهما الإصبع والشاشة. ومنذ نحو شهرين، حين اشتريت منزلا، وقّعت على «الآيفون» كل الوثائق، إلا واحدة كانت بحاجة إلى توقيع كاتب عدل على الورق.

ومع أنني كنت أحب الأقلام في الماضي، إلا أنني أعترف بأن عدم استخدامها أسهل بكثير».

تقول نافين سلفادوراي، الشريكة في «إكسبا كابيتال»، وهي من مؤسسي «فور سكوير»: «هناك قول شهير، إن أفضل كاميرا هي التي تحملها. وعلى المثل، لقد ربح الهاتف الذكي المعركة مع الوقت، فأفضل قلم هو الذي تحمله معك، وهو الإصبع». وتضيف: «أي تكنولوجيا توفر خطوة على الناس، هي في الغالب التي تكسب في الآخر».

وليس غريباً أن بعض صانعي الأقلام، شهدوا هبوطاً لمبيعاتهم في الولايات المتحدة، ومنهم «بيك»، صانع تلك الأقلام الأسطورية، الذي أعلن أن مبيع أقلامه انخفض قليلاً السنة الماضية. وتحاول «بيك» أن تقلب الاتجاه، بحملة: «قاتل من أجل كتابتك» (الكتابة write والحق right). وتقول بام ألين، خبيرة محو الأمية والناطقة بلسان الحملة، إن الكتابة بالقلم تساعد الطفل على تنمية حس الهوية. هذا مع أنها اعترفت بأن الكتابة بالكمبيوتر يمكن أن تفعل الشيء

لا! لم يمت!

فيما يمكن أن يكون رداً على مقالة «نيويورك تايمز»: مات القلم، نشرت مجلة «علم وحياة» (Science & Vie) الفرنسية تقريراً علمياً مهماً في هذا الشأن، تتناول فيه بالبحث العلاقة بين القدرة على الكتابة بالقلم والورق والمهارات العقلية الحيوية لأبنائنا.

وجاء في المقالة: في عدد من المدارس الأمريكية، بدءاً من بداية السنة الدراسية 2014م، لن تعود الكتابة المتصلة باليد إلزامية. ستستعمل هذه المدارس برامج كمبيوتر، مثل «وورد»، حتى يُتقِن التلاميذ الكتابة بالطابعة في نهاية المرحلة الابتدائية.

لكن التنظيم الأمريكي الجديد يمضي أبعد من هذا، فبعد الصف الأول، لن يعود مُلزماً تعليم الكتابة بالقلم. وليس في الأمر ما يدعو إلى الاستغراب، بالنظر إلى الإقبال الشديد على امتلاك الكمبيوتر الشخصي وتعميمه في البيوت والمدارس. لكن هذا غير قابل للحدوث في فرنسا، حيث يتمسك النظام التربوي تمسكاً شديداً بالورق والقلم في المدرسة.

صحيح، لكن هل يمكننا أن ننكر أن استخدامنا القلم يتضاءل شيئاً فشيئاً، مع انتشار الكتابة بالكمبيوتر؟ في بريطانيا، دلَّ استقصاء أن 40% من المواطنين يعترفون بأنهم لم يكتبوا بالقلم شيئاً منذ ستة أشهر. ولم ينظَّم استقصاء مماثل في فرنسا، لكن الاعتقاد الراسخ، أن الوضع مماثل على الضفة الجنوبية من بحر المانش. فالناس يُمضون وقتهم في إرسال النصوص عبر الرسائل الإلكترونية، ولا يمسكون ورقة وقلماً لكتابة الرسائل المطوّلة باليد.

الكتابة بالقلم لم نعد نحتاج إليها، إلا في كتابة شيك، أو إرسال بطاقة بريدية. مع أن تعلُّم نفسه. وفي مقابل كل بحث يرى أن القلم أفضل للتعلم والذاكرة، هناك أبحاث تبيّن أن الكمبيوتر متفوّق. فمثلاً، أثبتت دراسة استغرقت سنة، أجراها الدكتور بير ماركيس غريلز، مدير الأبحاث في جامعة برشلونة، أن الأطفال الذين استعملوا الألواح الإلكترونية في الصف، حسّنوا فهمهم للمواضيع الدراسية، وأظهروا إبداعاً أعلى وقدرة على التعلم المستقل. لقد استجوب غريلز 2000 تلميذ و150 معلماً، وقال إن 87% من المعلمين قالوا إن الألواح تساعد التلاميذ على تعلّمٍ أفضل.

وأجرت بام أ. مولر، وهي باحثة في قسم علم النفس في جامعة برنستون، دراسة مخالفة، عنوانها «القلم أقوى من الكمبيوتر» (The Pen Is Mightier Than the Keyboard) ترى أن الذين يكتبون ملاحظاتهم بالقلم والورق، يميلون إلى حفظ معلومات أكثر، من مستخدمي الكمبيوتر. لكن المشكلة هي أن مستخدمي الكمبيوتر يسجّلون كل شيء، فيما يسجّل حاملو القلم، المعلومات المهمة فقط. ويتفق أنصار القلم مع أنصار الكمبيوتر على أمر واحد، هو أن القلم في نهاية الأمر سيصبح من الماضي في وقت ما.

تقول مولر: «الجميع يتحوّلون إلى العالم الرقمي. وقد يبقى مكان للقلم والورق، حين يتعيّن التوقيع على ورقة ما، أو عند إرسال بطاقة معايدة بعيد الميلاد، أما في تسجيل الملاحظات والأعمال الأخرى، فلن يكون ممكناً أن ينقلب اتجاه الأمور».

لذلك فإن واينستين ختمت مقالتها تلك بالقول: «لذا، فإنني بقلب يعصره الألم، عليَّ أن أودّع القلم. ولكن لا بأس، فالإصبع هنا ليأخذ مكانه».



«نيويورك تايمز»، الرابط: http://www.nytimes.com/2014/07/24/fashion/the-demise-of-the-pen.html

الكتابة بالقلم ليس بالأمر السهل. غير أن الأبحاث العلمية تُجمع على أهمية هذا التعلم، حسبما يقول علماء الأعصاب. فهم مجمعون على أن الكتابة باليد لا تزال ضرورية في التعليم. ووقف تعليم الكتابة باليد خطأ فادح، ذلك أن هذا التعليم لا غنى عنه في تطوير مهارة أخرى لا غنى عنها: القراءة.

في سنة 2003م، أجرى ماريكه لونكامب وجان لوك فيليه، تجارب بواسطة آلة المسح المغناطيسي الطبي المسماة MRI، التي تتيح مراقبة نشاط الدماغ. دعا العالِمان متطوعين بالغين للتجربة، وقراءة حروف أو ما يشبه الحروف. وما يشبه الحروف هي رموز غير مفهومة، لكنها تقلِّد في شكلها كتابة الحروف. وكشفت التجربة أمراً مدهشاً: فعند قراءة الحروف كانت منطقة معينة في قشرة الدماغ تنشط، وهي منطقة تتحكم بالحركة، على الرغم من أن الأشخاص ما كانوا يأتون بأي حركة أثناء التجربة.

وفي المرحلة الثانية من الاختبار، أخذ العالِمان يطلبان من الأشخاص أن يكتبوا ما شاهدوه من حروف وأشباه حروف. هذه المرة، نشطت المنطقة المعنية في الحالين: عند كتابة الحروف، وعند كتابة أشباه الحروف. واستنتج فيليه، أن المنطقة هذه في قشرة الدماغ تتحكم بالكتابة. وهي تنشط حين نقرأ حروفاً، أو أي رموز تعلَّمنا كتابتها بالقلم، ولا تنشط حين تكون الحروف غير مفهومة، ولم يسبق لنا كتابتها بالقلم.

هل يمكن القول إذن: «أن تقرأ يعني أيضاً أن تكتب»؟ وهل يعني هذا أن لا بد من معرفة الكتابة، من أجل أن نعرف أيضاً القراءة؟

من أجل حسم هذه المسألة، وضع العلماء خطة اختبار أخضعوا له 76 طفلاً في سن الحضانة. فبعدما اختبروا قدرتهم على القراءة والكتابة، فصلوهم في فئتين، الأولى عليها أن تتعلم الحروف بكتابتها، والثانية بطباعتها على لوحة الكمبيوتر. وبعد أربعة أسابيع، اختبروا قدرة كل من الفئتين على القراءة. لقد تعرف الأطفال على الحروف التي كتبوها باليد، أفضل من الحروف التي طبعوها.

وأعيد الاختبار مع بالغين، استُخدمت في اختبارهم لغة أجنبية لا يعرفونها. وبينت آلة المسح المغناطيسي، أن مناطق قشرة الدماغ الخاصة بحركة الكتابة، نشطت عند رؤية الحروف المكتوبة بالقلم. واستنتج جان لوك فيليه، «أن الطفل إذا لم يتعلم الكتابة بالقلم، فإنه لن يستطيع استعمال ذاكرته الحسية - الحركية، للتعرف إلى الحروف، وهذا يعني بطء مقدرته على القراءة، فإذا كان الأمر كذلك بحروف، فالأحرى أن تزداد هذه الصعوبة عند قراءة أسطر وصفحات كاملة».

إذن فتعلم الكتابة بالطباعة دون الكتابة بالقلم، يعرّض قدرة المرء على القراءة للخطر.

لم يكن الفرنسيون وحدهم، من قال بهذا. ففي الولايات المتحدة، ذهبت كارين جيمس، الباحثة في جامعة إنديانا، أبعد من ذلك، إذ أكدت أن عدم تعلم الكتابة بالقلم يمنع تطور «دورة القراءة» في دماغ الطفل. وقد نشر فريقها سنة 2010م دراسة تؤكد هذا الأمر، بعد اختبار تناول 12 طفلاً بين الرابعة والخامسة من العمر. وقد خضع الأطفال لتعليم استمر 4 أسابيع، كان عليهم فيها أن يتعلموا الحروف، إما بالكتابة باليد أو بالمشاهدة البصرية وحدها. وبعد هذه الأسابيع الأربعة، أُخضع الأطفال للاختبار بآلة المسح المغناطيسي، وهذا أمر غير مألوف مع الأطفال في هذه السن. فتبيَّن أولاً أن الذين تعلموا الكتابة باليد تعرفوا على الحروف أفضل من أقرانهم الآخرين، وثانياً، أن «شبكة» نشأت في أدمغتهم شبيهة بالشبكة التي عند البالغين. ولم تظهر هذه الشبكة، عند الأطفال الآخرين، الذين تعلموا الحروف بالبصر وحده.

عند هذا الحد لم يعد ثمة مجال للشك: «الكتابة بالقلم ضرورية لإنشاء نظام التعرف على الحروف». ولم يبقَ إلا خطوة واحدة للقول إن الأطفال الذين لن يتعلموا الكتابة إلا بالطباعة على لوحة الكمبيوتر سيواجهون مصاعب في القراءة. لكن العلماء مترددون في التصريح بهذا الأمر.

فلا بد من دراسة جماعية للأطفال الذين سيكبرون على هذا. وليس لدى العلماء الآن بعد مَن كبر دون أن يتعلم الكتابة باليد. الأمر يحتاج إلى بضع سنوات، وحينئذٍ يكون الضرر قد حدث. ويقول جان لوك فيليه: «يجب أن نقيس نتائج التخلي عن تعليم الكتابة باليد أولاً قبل أن نعمّم. ولكن لنتصور مرور جيل أو اثنين، أي نحو خمسين سنة، قبل أن نكتشف أن أطفالنا يصادفون مصاعب في القراءة، وأن هذا يعزى إلى أنهم لم يتعلموا الكتابة باليد. فمن ذا الذي سيتولى إعادة اعتماد نظام تدريبي شامل للكتابة في المدارس؟».



almohtaraf assaudi / Abbas Khamis

بالقلم يتعلّمون... القراءة

قلم الحبر

في سنة 1867م، صدرت في الولايات المتحدة الأمريكية براءة اختراع قلم الحبر، باسم كلاين وهنري دبليو واين، لكل قلم يكتب بحبر مخزّن في خزّان حبر ملحق بالقلم.

لكن أول ما ذُكر في التاريخ عن قلم يحمل خزّاناً للحبر، كان من سنة 953م، في عهد المُعزّ الخليفة الفاطمي في مصر. وقد قيل فيه إنه قلم لا يلطّخ اليدين أو الثياب، وكان الحبر ينساب من الخزّان إلى ريشة في طرف القلم. ولعل هذا هو الجد الأول لقلم الحبر العصري، لكن لم يُعرَف إلى الآن كيف كان يعمل، أو ممّ كان مصنوعاً. ولم يأتِ على ذكره سوى نص وحيد.

بعد هذا القلم، اخترع الألماني دانيال شفنتر قلماً شبيهاً، وصفه في كتاب له سنة 1636م. وكان القلم مصنوعاً من أنبوبتين، واحدة تحتوي على الحبر، تُدخَل في الأنبوبة الثانية، التي تحمل في طرفها ريشة القلم. وكانت أنبوبة الحبر تغلَق بفلّينة، وكان الحبر «يُعصَر» من الأنبوبة الأولى من خلال ثقب صغير في الأنبوبة الثانية.

وفي سنة 1809م، حصل البريطاني برثولوميو فولش، على براءة اختراع قلم ذي خزّان حبر. ولم تكن هذه براءة الاختراع الوحيدة



إعلان إيطالي للقلم ذي الكلّة

الرابطة القلمية



من اليمين: ميخائيل نعيمة، عبد المسيح حداد، جبران خليل جبران، نسيب عريضة

خطرت فكرة إنشاء الرابطة القلمية عام 1916م إلا أنها تأسست رسمياً عام 1920م في نيويورك، على أيدي نخبة من الأدباء اللبنانيين والسوريين.

وورد في محضر الجلسة التأسيسية التي عُقدت في 20 أبريل من ذلك العام والتي دونها نعيمة بيده على حد تأكيده، أن «أحدهم رأى أن تكون لأدباء المهجر رابطة تضم قواهم وتوحد مسعاهم في سبيل اللغة العربية وآدابها. فلاقت الفكرة استحسان كل الأدباء الحاضرين وهم: جبران خليل جبران ونسيب عريضة ووليم كاتسفليس ورشيد أيوب وعبدالمسيح حداد وندرة حداد وميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي.

وبين تأسيسها وتفككها بموت جبران عام 1932م نشر أعضاؤها الجرائد والصحف العربية في بلاد المهجر، ومنها:

- مجلة «الفنون» وتُعنى بالأدب وناشرها كان نسيب عريضة.
- جريدة «السائح» وتعنى بشؤون المهاجرين وناشرها كان عبدالمسيح حداد.
- مجلة «السمير» وناشرها كان إيليا أبو ماضي وتعنى بشؤون العرب في أمريكا. كانت تصدر 5 مرات في الأسبوع وتوقفت عام 1957 بعد وفاة معظم المؤسسين.

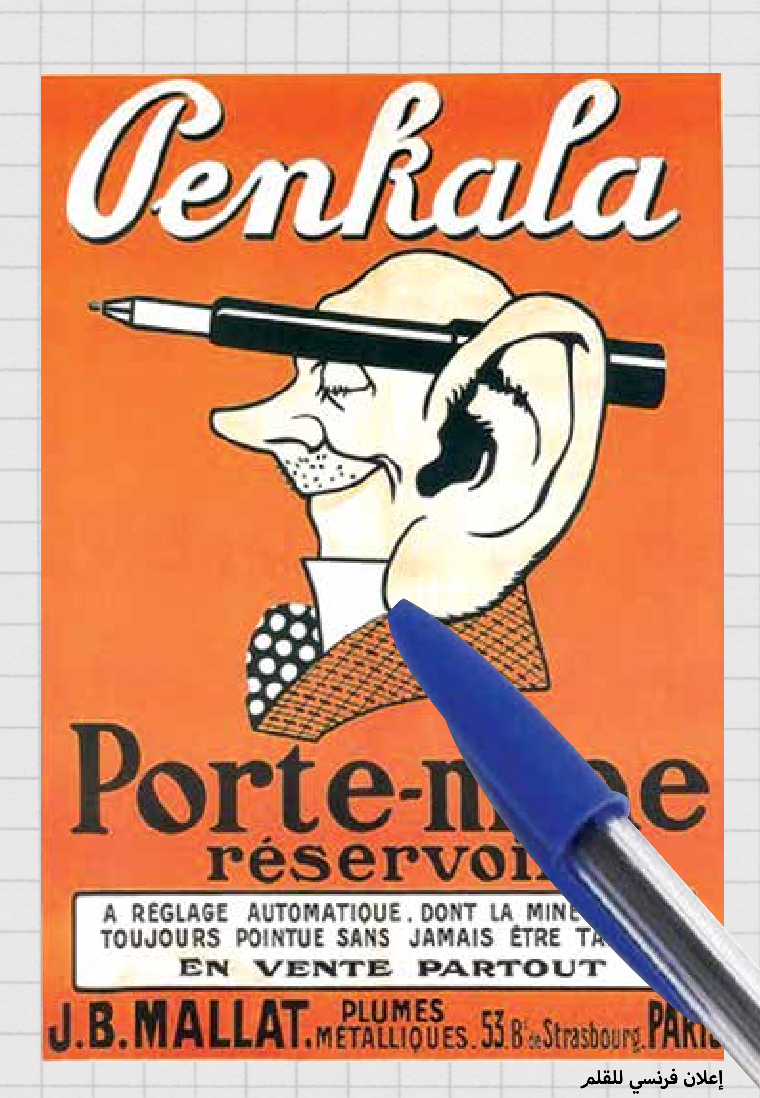
وتعد «الرابطة القلمية» من أهم الجمعيات الأدبية العربية على الإطلاق، في القرن العشرين.
ويكفي لتأكيد ذلك، النظر فيما كتبه أعضاؤها في الأدب والفلسفة والفكر والشعر.

التي سبقت براءة واين، ففي سنة 1827م، منحت الحكومة الفرنسية براءة اختراع ورخصة إنتاج، إلى طالب روماني في باريس اسمه بتراتشي بونارو.

وقد تزايد إنتاج هذا النوع من أقلام الحبر في خمسينيّات القرن التاسع عشر، وكان يصنعه جون متشل.

أما براءة اختراع قلم الحبر المسمّى «ballpoint»، أي القلم الذي له كلّة في ريشته، فقد صدرت في 30 أكتوبر 1888م، باسم جون جي لاود. وفي سنة 1938م، بدأ لازلو بيرو، وهو مجري ناشر صحف، بمعونة أخيه الكيميائي جورج، بتصميم أنواع جديدة من قلم الحبر، تحتوي في ريشتها على كلّة صغيرة من المعدن. وكان مبدأ القلم هذا، أن تدور الكلّة في طرف الريشة، فتبتل بالحبر، الذي في المخزن وتنقله لدى دورانها إلى الورق. وطلب بيرو براءة بريطانية في 15 يونيو 1938م لاختراعه هذا. لكنه اضطر في سنة 1940م، هو وأخوه وصديقهما خوان خورخي ماين، إلى الهجرة إلى الأرجنتين، هرباً من الحكم النازي في ألمانيا. وفي 10 يونيو من تلك السنة حصل بيرو على براءة ثانية، وأنشأ شركة أقلام بيرو الأرجنتينية. وبدأ تسويق أول النماذج التجارية من صنع هذه الشركة، في صيف 1943م.

على خط آخر، كان سلافوليوب إدوارد بنكالا، المهندس الكرواتي، في مملكة كرواتيا - سلافونيا، التي كانت تابعة للإمبراطورية النمسوية - المجرية، يبتكر سنة 1907م، الحبر الجاف. وقد أنشأ لصناعة أقلام الحبر الجاف، شركة بنكالا - موستر، مع مقاول يدعى إدموند موستر. وكان مصنعه واحداً من أكبر مصانع الأقلام في العالم، في زمانه. ولا تزال الشركة تعمل إلى يومنا هذا، تحت اسم «توز - بنكالا»، لحساب شركة أقلام زغرب.



إعلان فرنسي للقلم

بيك... الأكثر رواجاً في العالم

في سنة 1945م، اشترى رجل فرنسي اسمه مارسيل بيك (Bich)، وكان مديراً للإنتاج لدى أحد صانعي الحبر الفرنسيين، مصنعاً خارج باريس، وبدأ العمل في صناعة أجزاء أقلام الحبر، وأقلام الرصاص، مع شريكه إدوار بوفار. وفيما كان إنتاجه قِطَعاً للأقلام يتقدم، كانت تتقدم في الوقت نفسه صناعة أقلام الحبر ذات الكلّة في فرنسا وفي الولايات المتحدة. فلمعت في ذهن بيك، فكرة النجاح المدهش الذي قد يحرزه إنتاج قلم ذي كلّة يكتب بالحبر الجاف.

وبعدما اشترى حقوق براءة من مخترع مجري، أعلن بيك مولد قلمه الجديد للحبر الجاف، في ديسمبر 1950م. وأعلن أنه قلم عملي بسعر

هل انتهى عصره؟

زهيد، وسمّاه «بيك»، اختصاراً من اسمه، وتسهيلاً للفظه. وهكذا ولد قلم «بيك»، أكثر الأقلام مبيعاً في العالم على الإطلاق. ففي آخر أرقام الشركة، على الرغم من انخفاض المبيع بنسبة ضئيلة السنة الماضية، أنها باعت 22 مليون سلعة من الأقلام ومنتجاتها، في اليوم الواحد.

لقد صارت قصة «بيك» أسطورة يصعب أن تتكرر، في أي سلعة من هذه الفئة. ويذكر بيك، أن مبيعاته فاقت كل ما كان يتصوّره، بل يرجوه. ولا تزال أقلام «بيك»، في عصر الكمبيوتر، تحتل جيب كل من يكتب في العالم، لسهولة تناولها، ورخص ثمنها، وطابعها العملي المتفوّق.

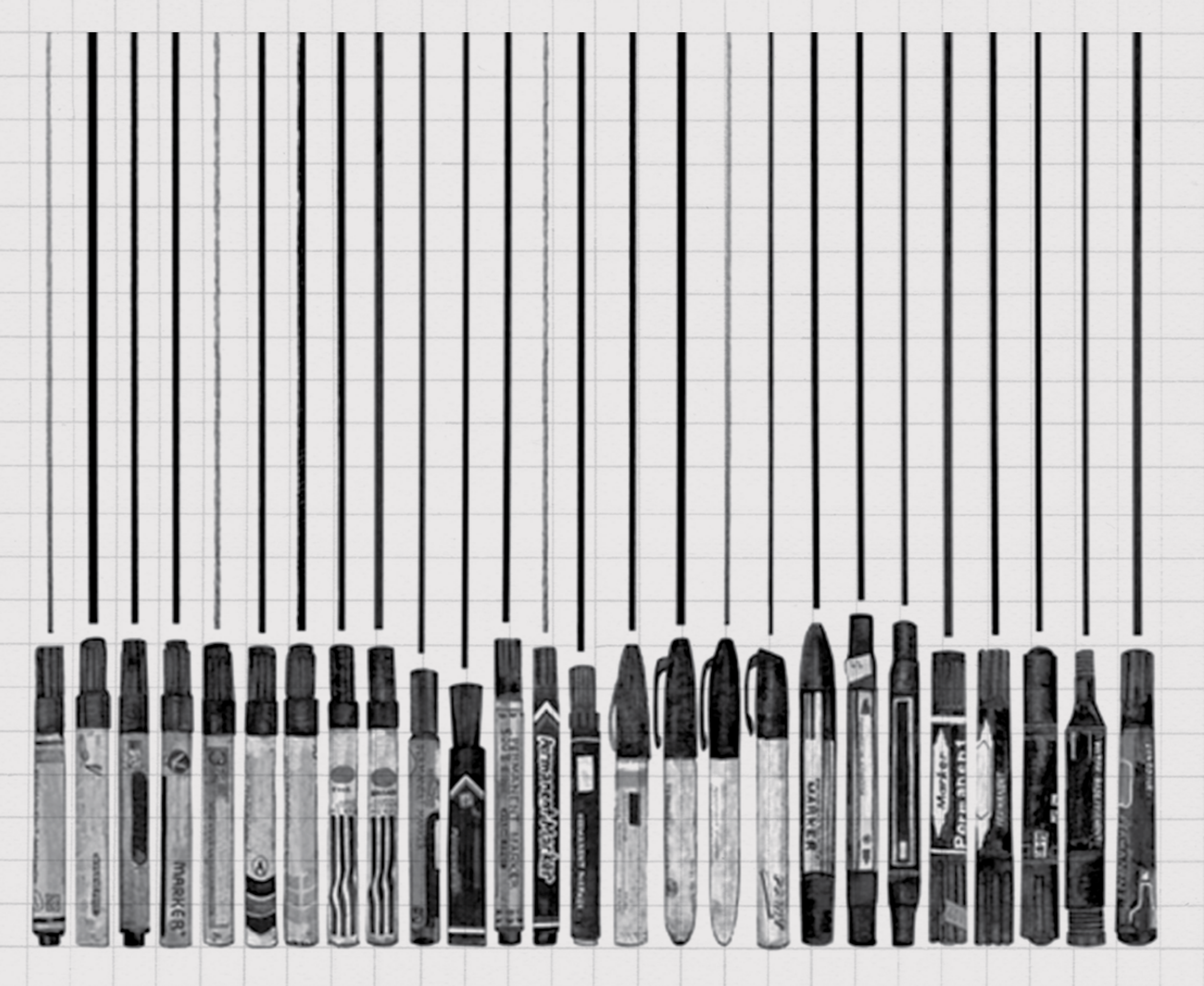
أنواع أخرى من الأقلام

يصعب حصر أنواع الأقلام التي اخترعها البشر لهذه المهمة الجليلة والمتنوعة: الكتابة أو الرسم. ومن أكثر هذه الأقلام شيوعاً اليوم، أقلام اللبّاد، وهي أقلام حبر تحتوي على خزّان حبر، لكن ريشتها مصنعة من اللبّاد.

وتمتاز هذه الأقلام، بطراوة ريشتها، فهي في الوسط، بين الريشة المعدنية القاسية، وريشة الرسم الليّنة. ولذلك، فإن مهامها قد تراوح بين الكتابة العادية، وبين كتابة الخط الفنية. وهي لا تحتاج إلى الضغط بها على الورق، بل تنساب عليه بيسر وسهولة.

ومن أنواع أقلام اللبّاد، أقلام التلوين، التي لا تختلف عن العادية، إلا في أن حبرها الذي تحتويه، يكون بألوان متعددة. ومن هذه الأقلام، ما تكون لبّادته عريضة، فيسمّى عندئذٍ: marker، أي واسماً، فبه توسم الكلمات والأسماء المهمة بالألوان.

ومن أنواع أقلام الحبر المصنّعة في العقود الأخيرة، أقلام الحبر الفاخرة، أكانت أقلام حبر سائل، أم أقلام حبر جاف. وهي من الهدايا التي كانت تُهدى، في المناسبات. ولا شك في أن توقيع الرؤساء والملوك على المراسيم والمعاهدات الدولية، يكون بأقلام فاخرة.



المقلمة

ما من تلميذ من أبناء جيلنا إلا ورافقته «المقلمة» يومياً إلى مدرسته. إنها العلبة المستطيلة التي توضب داخلها الأقلام المختلفة لحمايتها.

إننا لا نعرف كثيراً عن نشوء المقلمة. ولكن المؤكد أن هذا الابتكار الذي ينتج اليوم من مواد رخيصة مثل البلاستيك، وحتى سنوات قليلة من الخشب، عرف عصره الذهبي في الحضارة الإسلامية بحيث شكلت صناعة علب الأقلام فناً قائماً بحد ذاته. ووصلتنا نماذج كثيرة من علب الأقلام المصنوعة من الخشب الملون والمزخرف التي لا تزال تنتج حتى اليوم في مصر وإيران والهند كأدوات تزيينية ولو من دون الاتكال عليها في وظيفتها الأصلية. أما أفضل النماذج التاريخية فهي التي وصلتنا من الفترة المملوكية. إذ كان لكل سلطان مقلمته الخاصة المصنوعة من الفولاذ الأسود المطعَّم بزخارف هندسية من الفضة والذهب، وتحمل اسم صاحبها.



دليل المعلِّمين لمحتوى القافلة

هذه الصفحة هي للتفاعل مع قطاع المعلِّمين والمعلِّمات ومساعدتهم على تلخيص أبرز موضوعات القافلة في إصدارها الجديد، وتقريبها إلى مفهوم وأذهان الفئات العمرية المختلفة للطلاب والطالبات.


عين وعدسة

منزل الكاتب حين يصبح متحفاً

أيام هيمنجواي في كي ويست

في الطريق إلى كي ويست، المدينة الصغيرة في جنوب فلوريدا التي تحتضن منزل الأديب الأمريكي الشهير أرنست هيمنجواي ومتحفه، كنت أحاول تفتيش ذاكرتي محاولاً رسم صورة عنه. تذكرت بعض ما قرأته من كتبه، السير الشخصية التي كتبت عنه، ولعه المعروف بمصارعة الثيران الإسبانية، رحلاته الإفريقية، وسيرته الآسرة في باريس أو «العيد المتنقل» كما سماه، وأخيراً الرصاصة التي أوقفت حياته عام 1961م في كيتشوم. أعياد كثيرة صنعها هذا الروائي والصحافي والمغامر، وها أنا أحاول اكتشاف بعض أعياده في كي ويست.

محمد الدميني

متحف هيمنجواي

يمكن لهذه الزيارة الى بيت الأديب الأمريكي العالمي إرنست هيمنجواي ان تشكل مدخلاً لنقاش حول تكريم الأدباء العظام، وأيضاً لاستعراض شيء من أدبه وسيرته.


32 | 33

العلم خيال

القافلة نوفمبر / ديسمبر 2014

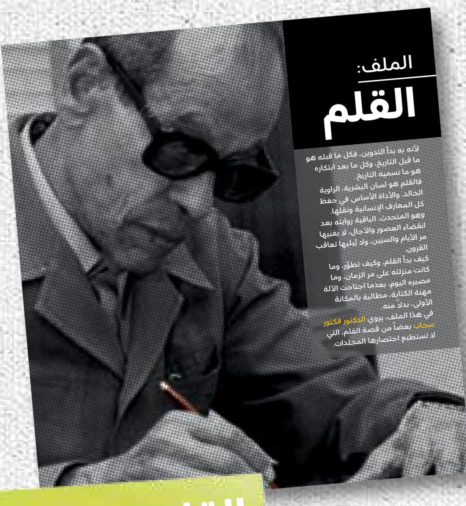
متى ستفتتح الحديقة الجوراسية؟

في رواية مايكل كرايتن الشهيرة «الحديقة الجوراسية – Jurassic Park»، التي تم إنتاجها عام 1993م فِلماً سينمائياً، قام العلماء بإعادة إيقاظ الديناصورات من سباتها الطويل، الذي دام لأكثر من 65 مليون سنة، عن طريق استخراج جزيئات الحمض النووي لكائنات ديناصورية، كانت محفوظة في الدماء التي امتصتها حشرات تنتمي إلى تلك الحقبة وعثر عليها متحجّرة في أحافير الكهرمان منذ ملايين السنين. قد تبدو هذه حبكة مقبولة لنص رواية خيال علمي.. لكن ما مدى مقاربتها للواقع؟

راكان المسعودي

استيلاد الديناصورات

موضوع علمي يبدد ما أشاعه الخيال الأدبي والسينمائي حول إمكانية استيلاد الكائنات المنقرضة مثل الديناصورات، بمجرد الحصول على حمضها النووي. فالحقيقة العلمية أكثر تعقيداً من ذلك.


الملف:

القلم

لأنه به بدأ التدوين، فكل ما قبله هو ما قبل التاريخ، وكل ما بعد ابتكاره هو ما نسميه التاريخ.
فالقلم هو لسان البشرية، الراوية الخالد، والأداة الأساس في حفظ كل المعارف الإنسانية ونقلها.
وهو المتحدث، الباقية روايته بعد انقضاء العصور والآجال، لا يفنيها مر الأيام والسنين، ولا يُبليها تعاقب القرون.
كيف بدأ القلم، وكيف تطوَّر، وما كانت منزلته على مر الزمان، وما مصيره اليوم، بعدما اجتاحت الآلة مهنة الكتابة، مطالبة بالمكانة الأولى، بدلاً منه.
في هذا الملف، يروي الدكتور فكتور سحاب بعضاً من قصة القلم، التي لا تستطيع اختصارها المجلدات.

القلم

يدور ملف هذا العدد حول القلم، ولا يكتفي باستعراض تاريخه وتطوره منذ بدء التاريخ المدوّن وحتى اليوم، بل يتناول أيضاً وجهة النظر القائلة باحتمال انقراض الكتابة بالقلم، أمام تطور الكتابة الإلكترونية.

طاقة

اليوم، نحصل على التيار الكهربائي اللازم لتشغيل أجهزتنا المتنوعة وشحن بطارياتها عبر شبكة معقدة لا يرى منها المستخدم العادي إلا قابساً جدارياً يتم تثبيت سلك «الفيش» فيه. خلف هذا القابس البسيط تكمن منظومة مهولة من الأسلاك والموزعات والمولدات وأبراج النقل. إلاَّ أن فكرة النقل اللاسلكي للطاقة تطمح إلى تجاوز ذلك كله، أو على الأقل تعدنا بالاستغناء عن القابس والحصول على الإمداد الكهربائي عبر الهواء... أو عبر أي سطح موصل... إنما بدون أسلاك تنتهي بفيش من أي نوع.

د. محمد خلف الغامدي

آفاق النقل اللاسلكي للطاقة الكهربائية

النقل اللاسلكي للكهرباء

أين أصبحت الجهود الهادفة الى نقل الطاقة الكهربائية لاسلكياً؟ وما الذي سيتغير في حياتنا وفي منازلنا فيما لو اختفت الأسلاك؟ الموضوع غني بالمعطيات العلمية، ومثير للكثير من الأسئلة.



Al-Qafilah Bi-Monthly Cultural Magazine

A Saudi Aramco Publication

November - December 2014

Volume 63 - Issue 6

P. O. Box 1389 Dhahran 31311

Kingdom of Saudi Arabia

www.saudiaramco.com



Saudi Aramco website







Qafilah website